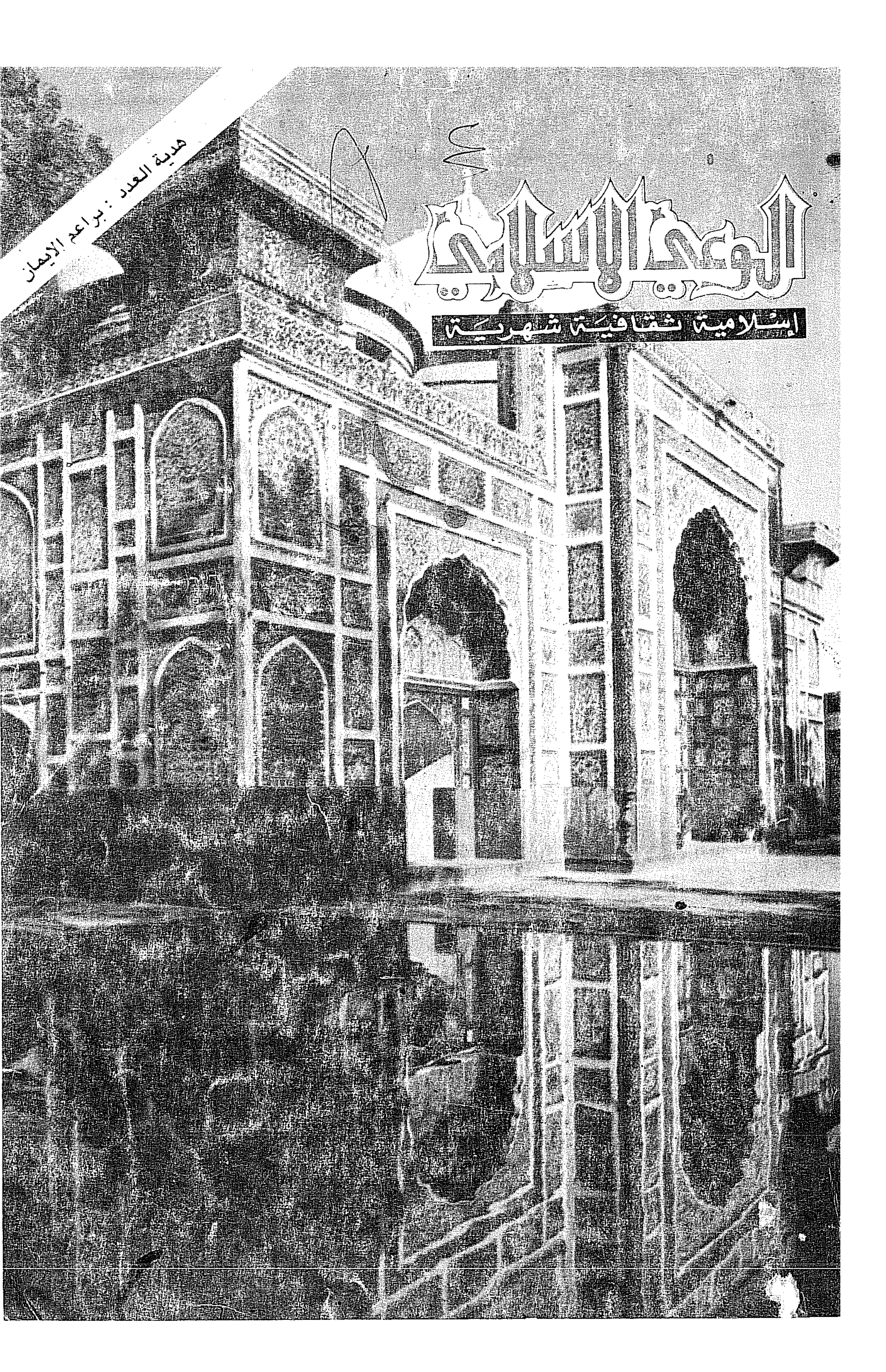
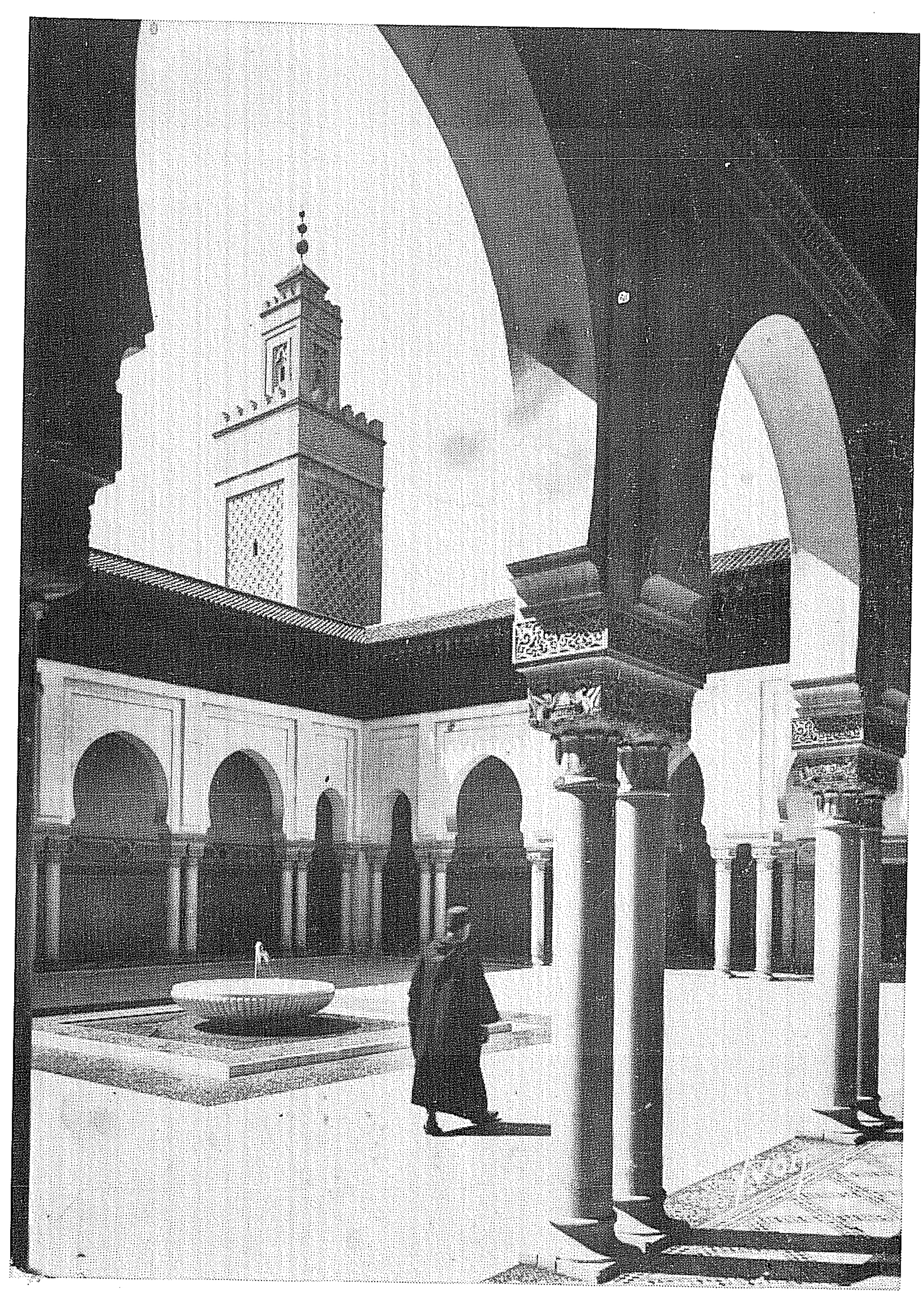

هدية العدد : براعم الإيمان
الوعي الإسلامي
إسلامية ثقافية شهرية



من روائع فن البناء الاسلامي

« مسجد باريس – فرنسا »



AL-WAIE AL-ISLAMI

KUWAIT P. O. BOX: 23667

السنة السابعة عشرة

العدد ١٩٤ ● صفر ١٤٠١ هـ ● ديسمبر ١٩٨٠ م

هدفها

المزيد من الوعي ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية

تصدرها

وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

عنوان المراسلات



الوعي الاسلامي

صندوق بريد رقم (٢٣٦٦٧) الكويت

هاتف رقم ٤٢٨٩٣٤ _ ٤٤٩٠٥١

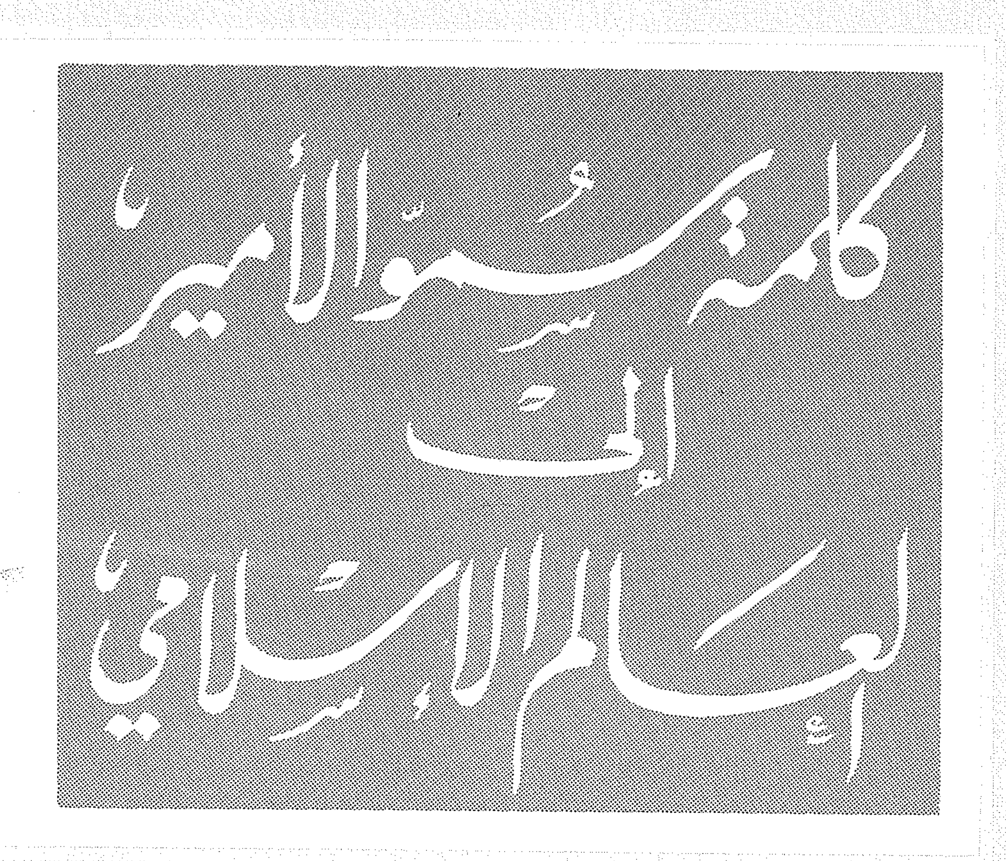
● لاتلتزم المجلة برد المقالات التي لم تنشر ●

● الثمن ●

الكويت	١٠٠ فلس
مصر	١٠٠ مليم
السودان	١٠٠ مليم
السعودية	ريال ونصف
الامارات	درهم ونصف
قطر	ريالان
البحرين	١٤٠ فلسا
اليمن الجنوبي	١٣٠ فلسا
اليمن الشمالي	ريالان
الأردن	١٠٠ فلس
العراق	١٠٠ فلس
سوريا	ليرة ونصف
لبنان	ليرة ونصف
ليبيا	١٣٠ درهما
تونس	١٥٠ مليما
الجزائر	دينار ونصف
المغرب	درهم ونصف

بقية بلدان العالم

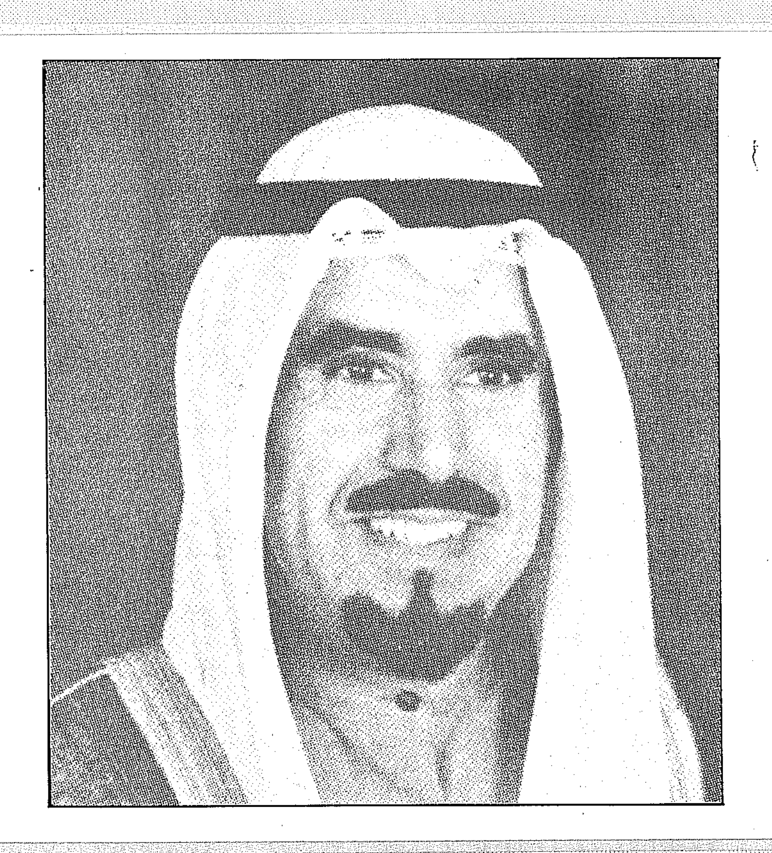
ما يعادل ١٠٠ فلس كويتي



وجه حضرة صاحب السمو أمير البلاد كلمة إلى المسلمين أمس بمناسبة مطلع القرن الهجري الخامس عشر دعاهم فيها للعودة إلى كتاب الله والاعتصام بحبل الله على مستوى الدولة الواحدة ومستوى العالم الاسلامي على اتساعه .

وقال سموه في كلمته إن تأليف القلوب نعمة أغلى من كل ما في الارض وثمرة عزيزة من ثمار الايمان .

ودعا سموه ـ حفظه الله ـ الى إنشاء محكمة عدل اسلامية تكون حكما وقاضيا ومصلحا بين المسلمين ، كما دعا الى التمسك بالشورى استجابة لأمر الله .



○ وفيما يلي نص كلمة صاحب السمو أمير البلاد :ــ

بسم الله الرحمن الرحيم

« قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم » .

اخواني أبناء وطني :

أحييكم في مطلع القرن الخامس عشر الهجري . وهي مناسبة عزيزة على المسلمين جميعا . ونتوجه الى الله سبحانه بالدعاء ان يتم نعمته فيعز الاسلام ويهدي المسلمين الى طريق الخير والصواب .

لقد كانت الهجرة نقطة الانطلاق بدعوة الاسلام ليعم نورها أرجاء الارض كافة كما كانت مرحلة فاصلة في تاريخ الانسانية اعطتها عقيدة خالدة وحضارة عالية رائعة وقيما في الروح والفكر والخلق هي التي تمنح الانسان انسانيته .

يدعونا الله الى الايمان به فيقول سبحانه « قل هو الله احد » . والى الاخوة والمساواة في قوله سبحانه « انما المؤمنون اخوة » يأمر بالعدل بين الناس في قوله سبحانه « ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي » ، والى الدعوة الى العلم والتفكر في قوله سبحانه « هل يستوي الذين يعلمون والذي لا يعلمون » . والى التوجيه نحو العمل والانتاج في قوله سبحانه « وان ليس للانسان الا ما سعى . وان سعيه سوف يرى » .

والى بناء القوة دفعا للطغيان في قوله سبحانه « واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم » .

اخواني :

أول ما يجب علينا في هذه المناسبة ان نشكر الله سبحانه على ما انعم به علينا من ايمان في قلوبنا . وخير في ارضنا . ومودة فيما بيننا . وان نذكر آباءنا وما تحملوه من اجل بناء هذا الوطن العزيز واسفارهم في البر والبحر . ودفاعهم عن الارض ، وتماسكهم في السراء والضراء . لم يخفضوا جبينهم الا لله تعالى ، عابدين يبسطون ايديهم بالخير ويملأون ايامهم بالعمل ويرجون تجارة لن تبور ، وبذلوا من الجهود ما استطاعوا به ان يحققوا لوطننا امنه واستقلاله .

كان القرن الهجري الماضي حافلا باحداث كبيرة في عالمنا الاسلامي ، فقد شهد مولد كثير من دوله بعد ان كانت تحت سيطرة استعمار اجنبي ، وجاء هذا ثمرة كفاح طويل شاركت فيه اجيال متعاقبة قدمت للدين وللاوطان ثمار الفكر وجهد السواعد ودماء الشهداء وزينة الحياة من المال والولد ، وتطلعت شعوبنا بعد استقلالها الى بنائها الداخلي وتوثيق الروابط فيما بينها ، وكانت في هذا تحقق معنى اساسيا من معاني الهجرة التي نحتفل الان بذكرياتها ، فالهجرة جهد منتظم يجمع بين الايمان والعلم والتخطيط لينقل المجتمع الى وضع اعلى هكذا صنع الرسول عليه الصلاة والسلام والذين معه هاجروا من مكة حيث كان الاسلام عقيدة من غير ارض الى المدينة حيث الاسلام ارض وعقيدة ونظام ، ومن دولة الاسلام في المدينة عاد ليحرر مكة من عبادة الاوثان ، وليتخذ من الجزيرة العربية قاعدة ينطلق منها نوره رحمة للعالمين .

ولكننا على هذه السيرة ـ كمسلمين ـ اصبنا احيانا وتعثرنا

احيانا اخرى ـ حققنا استقلالا سياسيا ولكن شابه اخطار منها الصراعات التي قامت بيننا احيانا على مستوى الدولة الواحدة واحيانا بين الدول الاسلامية . ومنها قيام الكيان الاسرائيلي في قلب ارضنا واستيلاؤه على الارض والمقدسات .

ولا شك في ان العالم الاسلامي قد حقق جوانب من التقدم في مجالات حياته جميعا ، ولكن هذا التقدم يهدده نزيف لاسبيل الى ايقافه الا بأسلوب جديد نستقبل به المشكلات مع مطلع القرن الهجري الجديد ، ولنعد الى كتاب ربنا نسأله حلول مشكلاتنا .

ان الله جلت قدرته يقول « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم اعداء فألف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا » . وهذا الاعتصام على مستويات عدة ابرزها مستوى الدولة الواحدة ومستوى العالم الاسلامي على اتساعه .

ويخاطب الله تعالى نبيه الكريم فيقول : « وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين . وألف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم انه عزيز حكيم » ، فاعتبرت الاية الكريمة تأليف القلوب نعمة اغلى من كل ما في الارض ، وثمرة عزيزة من ثمار الايمان ، نراه في صف الصلاة ، كما نراه في صف الحياة ، وصف الجهاد ، يجمع المسلمين في امر دينهم ودنياهم .

ولكن ليس هناك وطن يخلو من مشكلات ، بل ان في تكوين كل وطن بذورا من المتناقضات ، ولن نستطيع ان نقول عن اي وطن انه صورة النقاء في عناصر تكوينه ، كل امة حصاد تاريخ طويل من الالتقاء الحضاري والديني والفكري والعنصري قلت درجته او كثرت ، وليس امام اي امة الا ان يعيش ابناؤها في اطارهم الوطني في مودة وسلام وامان .

لقد ظلت الكويت قرونا دار امن واخاء وسماحة بريئة من التعصب عاش ابناؤها معا ، وخاضوا البحار معا ، فوق ارضها الطيبة يعملون ، ومن اجل سلامتها يجاهدون ، وفي ثراها بعد الحياة يرقدون ، ومنها يوم القيامة يبعثون .

ان توفير هذا الامان مسؤوليتنا جميعا ، وان فهم هذه الحقائق والسير عليها بتعاوننا وتعاضدنا لن يدع لنزعات التفرقة مجالا تهدد به وحدتنا الوطنية ، ان امن وطننا واجب مقدس في اعناقنا جميعا ، وليس منا من يسمح لاي يد ان تمسه بسوء .

فاذا انتقلنا الى مستوى العالم الاسلامي ، ومع اننا كمسلمين نتجه

في صلاتنا الى قبلة واحدة ونعبد ربا واحدا ، نبينا واحد ، قرآننا واحد ، فقد رفع بعضنا السلاح في وجه بعض والقاتل والمقتول ابناء دين واحد ، واحيانا ابناء وطن واحد . يدعونا الاذان الى الصلاة فنولي وجوهنا شطر المسجد الحرام ويدعو داعي الصراع فنسفك الدم الحرام .

وكم تقاتل المسلمون من قبل ، فماذا جنوا من وراء ذلك ؟ .. لقد اضاعوا بالصراع الداخلي اجزاء عزيزة من ارض الاسلام ، فخرجوا منها ولم يعودوا ، وانهكوا قوى اجزاء اخرى تأخرت بعد تقدم ، وأورثوا الابناء ثارات واحقادا ، حتى استعان بعضهم بالعدو على الشقيق والجار ،.. قرون مضت ودماؤنا تسيل باسلحتنا ، فهل نأمل متعاونين في مطلع القرن الهجري الجديد ان نضمد جراح الاسلام ، وندخر دمه ، فلا تبذل القطرة منه الا باغلى اثمانها دفاعا عن العقيدة والوطن .

ان الله سبحانه وتعالي يصف المؤمنين بقوله « انما كان قول المؤمنين اذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم ان يقولوا سمعنا واطعنا واولئك هم المفلحون » .

وفي العالم الاسلامي الان اتجاه مبارك نحو تطبيق الشريعة الاسلامية ، وعسى ان تمتد هذه الجهود لتشمل العلاقات بين هذه الدول ، ويرى القرن الهجري الجديد محكمة عدل اسلامية نرتضيها بيننا حكما وقاضيا ومصلحا ، وتكون خطوة ايجابية نحو املنا الكبير في تحقيق قوله تعالى « ان هذه امتكم امة واحدة وانا ربكم فاعبدون » .

اخواني ..

يقول الله تعالى « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

والخطاب الالهي موجه الى المسلمين جميعا ، وعليهم ان يترجموه الى حياة نابضة بالتقدم والخير .

ونحن نحتفل بهجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، نتذكر هديه في تطبيق الاسلام ، ففي الوقت الذي كان يعني فيه بعالمية الدعوة الاسلامية ، كان يعني بتكوين مجتمع المدينة ، ويضع اسس الدولة الجديدة ، ويبني الاسرة والفرد .

وينزل عليه الوحي بقوله تعالى « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » . وبقوله تعالى « واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا » .

لقد وصف ربنا جل وعلا المؤمنين بقوله « وامرهم شورى بينهم » ، فالشورى في الاسلام تطبيق للايمان ، وحين نتمسك بها نستجيب اولا

لامر الله الذي عشنا على اتباعه ، وقد تطورت اساليب الشورى بين دولة واخرى ، وهي احدى الوسائل التي تلتقي مع وسائلنا الاخرى في السعي الى غاية نعمل لها جميعا ، هي المحافظة على الكويت وتجنيبها اي خطر ، وحمايتها من اي طامع لينعم اهل الكويت في كويتهم ، يحمونها وتعطيهم ، يدافعون عنها وتحتويهم ، ناشرة لواءها على كل من هم في ارضها ليكونوا يدا واحدة قوية متماسكة تعمل باخلاص لتجني ثمرة اخلاصها .

اخواني ..

يأتي اتساع المسؤولية التي علينا وعلى ابنائنا ان يحملوها في هذا القرن الجديد . وقد جمع الله تعالى لها من مصادر القوة البشرية والطبيعية في العالم الاسلامي ما لم يتجمع بعد الانطلاقة الاولى في عهد الرسالة النبوية .

واذا كانت هذه المصادر خيرا من الله تعالى وعطاء . فهي اختبار لنا على المستوى الوطني والاسلامي . يدعونا الى مزيد من العناية بالاجيال الشابة التي ستحمل هذه المسؤوليات . وعدتها في ذلك :

- إيمان بالله دون تعصب ينهي عنه الاسلام .
- وفاء لوطن سعادتهم سعادته وامنهم امنه .
- وحب للعلم يدعوهم الى متابعة الدراسة والاطلاع .
- قدرة على الابتكار والتصرف في المواقف ومقابلة التفتح على كل جديد دون انطواء عنه او ضياع فيه .

ان اعداد شبابنا للمستقبل هو افضل انواع الاستثمار وستكون قلوب شبابنا وعقولهم اكبر ارصدتنا في القرن الهجري الجديد .

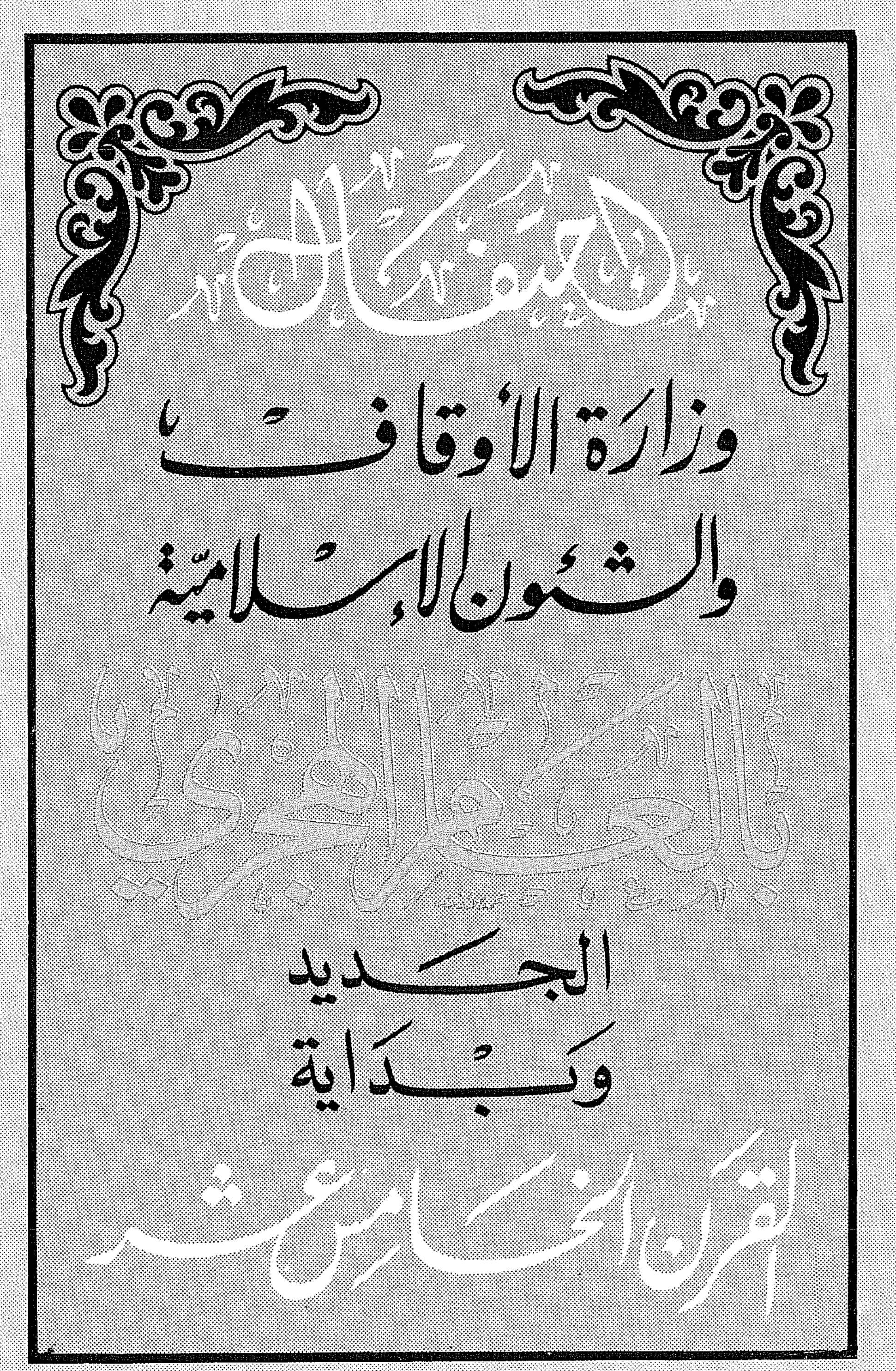
ان المسلمين في مطلع هذا القرن الجديد ينتشرون بصورة غير مسبوقة في قارات الارض جميعا ، يحملون كلمة الاسلام ، والاسلام حق وعدل وسلام ، وهذه الثلاثة من اسماء الله الحسنى وبها ندعوه .

الى هؤلاء الاخوة في جميع بقاع الارض ، الى الشعوب والحكومات الاسلامية ، الى كل محب للخير عامل له ، الى اخوتنا في الانسانية ، ابعث التحية باسم الكويت في مطلع القرن الهجري الجديد داعيا الله جلت قدرته ، ان يجعل اعوامه اعوام حق وعدل وسلام .

« يا ايها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا . فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما .

« صدق الله العظيم »

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

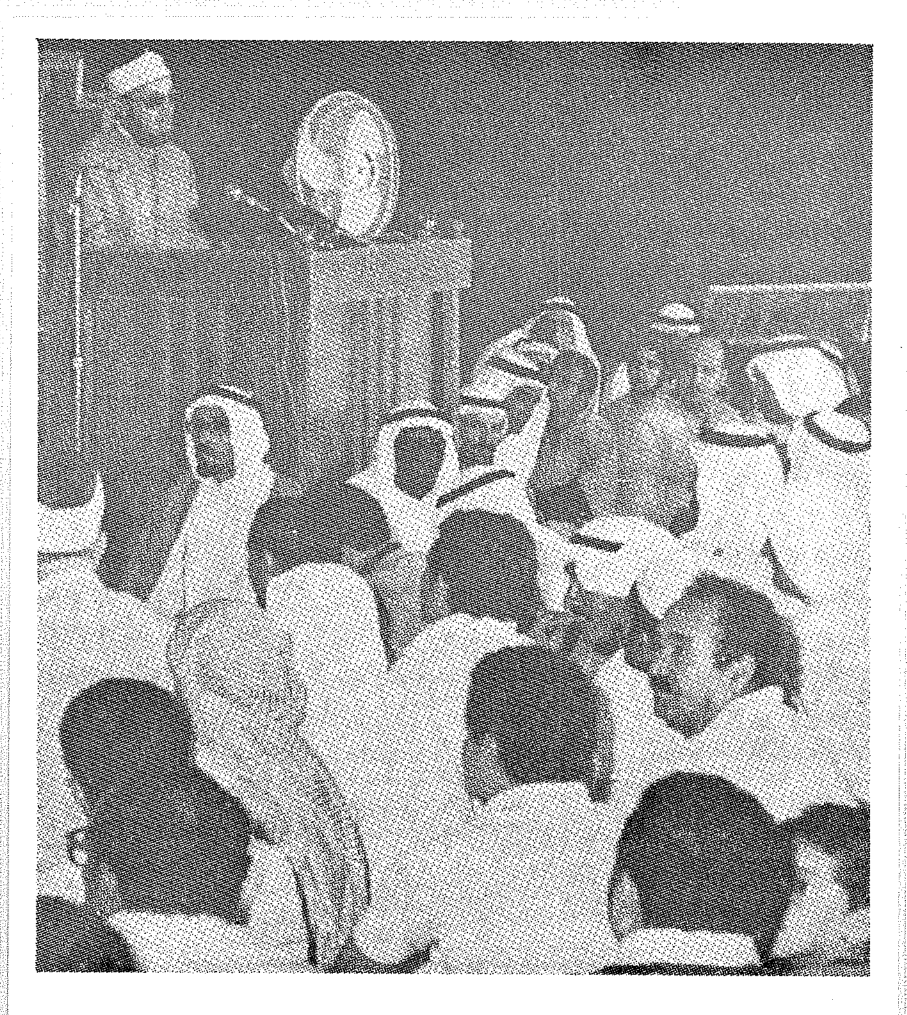

احتفال
وزارة الأوقاف
والشئون الإسلامية
بالعام الهجري
الجديد
وبداية
القرن الخامس عشر

اقامت وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية احتفالا اسلاميا كبيرا في مسجد فاطمة بالضاحية كان في طليعة الحاضرين فيه سمو ولي العهد رئيس مجلس الوزراء الشيخ سعد العبدالله ، ووزير الأوقاف والشؤون الاسلامية يوسف جاسم الحجي ، ووكيل وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية والوكلاء المساعدين وعدد من الشخصيات الاسلامية واعداد غفيرة من المسلمين وذلك بمناسبة حلول مطلع القرن الخامس عشر الهجري وقد حيت الكلمات التي القاها كل من وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية والدكتور عبدالعزيز كامل والدكتور خالد المذكور والشيخ محمد الغزالي والرائد محمد الحشاش مطلع القرز الخامس عشر وحثوا به المسلمين على ترجمة القول الى العمل في حياتهم اليومية لنصرة الدعوة الاسلامية هذا وقد بدأ الاحتفال بتلاوة من الذكر الحكيم ، واستهل الحفل بعد ذلك بكلمة لوزير الأوقاف والشؤون الاسلامية قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم ـ الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .
أما بعد ،

ففي هذه الليلة المباركة يهل هلال شهر محرم ١٤٠١ هجرية وبه يبتدىء قرن جديد في عمر الدعوة الاسلامية يبتدىء القرن الخامس عشر الهجري .

وفي ذكرى الهجرة المحمدية من كل عام كنا في مثل هذه الليلة نودع عاما مضى بما فيه من أحداث وعبر ونستقبل عاما جديدا بالأمل والرجاء .



وعاشت ظروفا صعبة وقاسية وأشرق نور الاسلام في جميع الآفاق وأطل التاريخ على كتائب الحق وهي تعلي كلمة الله وتملأ سمع المعتدين بأن الحق أمضى سلاح وان حظ الطغيان خاسر وانه على الباغي تدور الدوائر . فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض .

أيها الاخوة المؤمنون :

بعد وصول الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة اقام الدولة الاسلامية على أسس قوية نحن احوج ما نكون الى الاهتداء بها وخاصة في أقسى مراحل تاريخنا الطويل ، بادر صلى الله عليه وسلم بانشاء مسجد قباء في ضاحية المدينة ومسجده داخل المدينة لاقامة الصلاة

واظهار شعائر الاسلام التي حوربت في مكة وصار المسجد مركز اشعاع روحي ومدرسة علمية اخلاقية وكان في المسجد مجلس الشورى وعقد المفاوضات ومركز تحرك الجيوش ومحكمة القضاء بما أنزل الله وفي رحابه تعهد النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بأدب السماء ورباهم على منهج الله ، في المسجد ثقف الهداة وأعد الغزاة وخرج للتاريخ أعظم رجال .

ثم بادر صلى الله عليه وسلم بالمؤاخاة بين الأنصار وأزال الأحقاد والعصبيات التي كانت تحكم العلاقات بين الأوس والخزرج عهدا طويلا ذهبت فيه ريحهم وضاعت في متاهاته أموالهم ولعب اليهود بمصيرهم وقد ساعدت هذه المؤاخاة على تجاذب هذه القبائل وترقيتها من النواحي الفكرية والعقلية على أساس من مبادىء الدين الحنيف وقد ألف الله بين قلوبهم ونزعوا الى السلام والمحبة ثم آخى صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والانصار فتراحم الأنصار على هذه الأخوة وأكرموا اخوانهم المهاجرين وكانت عواطف الايثار والحب تمتزج في هذه الأخوة وتملأ المجتمع الجديد بالمثل العليا والقيم الاخلاقية الفاضلة وكانت هذه المؤاخاة ركيزة العمل لبناء الدولة الاسلامية على الحب وسلامة الصدر ، قال تعالى :

(والذين تبوآوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) .

أيها الأخوة المؤمنون :

مع اطلالة القرن الخامس عشر الهجري يجب ان نأخذ أنفسنا بدروس الهجرة وعبرها وان نحاسب أنفسنا على التفريط في الماضي وان نصلح حاضرنا بوحدة الصف وجمع الكلمة والحكم بما أنزل الله .

ان الأمل في الله كبير ان ينصر الاسلام والمسلمين ويؤيد كلمة الحق والدين وان يجعله قرنا مباركا في تاريخ المسلمين وان يهدينا جميعا الى الحق والخير والى صراط مستقيم أعاد الله هذه الذكرى بالتحرير الشامل الكامل لأرضنا ومقدساتنا وهدانا جميعا الى ما يحبه ويرضاه .

وختاما نغتنم هذه المناسبة الكريمة والذكرى العظيمة لنبتهل الى الله العلي الكريم ان يعيد هذه الذكرى وقد التأم شمل المسلمين وتوحدت كلمتهم ونصروا على اعدائهم ، كما ازف التهنئة المباركة الى حضرة صاحب السمو امير البلاد والى سمو ولي عهده والى المواطنين والمسلمين في كل مكان .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

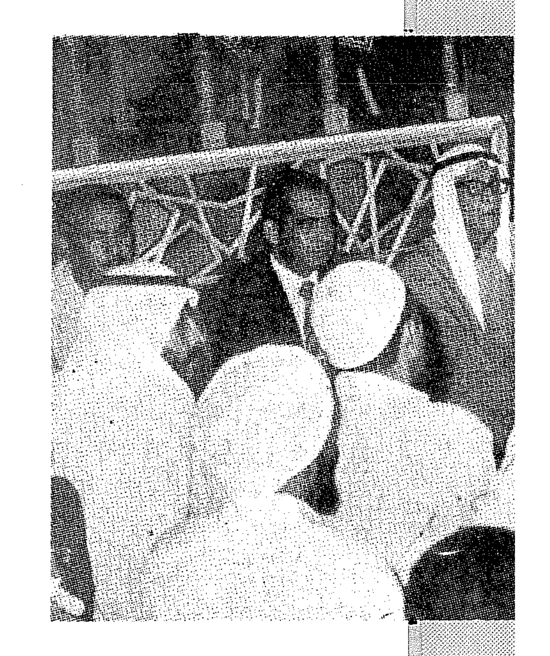


ولكننا في حفلنا هذا نستقبل مع المسلمين في كل مكان قرنا هجريا جديدا ونودع قرنا مضى أثقلته الاحداث والآلام حيث نال الأعداء فيه ما نالوا من كرامة المسلمين وعزتهم .

وحري بنا جميعا ونحن بين فاصل زمني من تاريخنا أن نستقبل القرن الجديد بالعزم والتصميم على تدارك أخطاء الماضي وتصحيح المسيرة كما أمر الله استجابة لقوله سبحانه وتعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) .

في مطلع هذا القرن الجديد لابد للمسلمين من وقفة عند المعالم الواضحة على طريق الهجرة المحمدية ليستخلصوا منها دروسا تنفعهم في حاضرهم وهم يمضون الى غايتهم المقدرة .

وإذا كانت الأمة المسلمة في شرق الدنيا وغربها تحتفل بذكرى الهجرة المحمدية فانها لا تسعد بهذه الذكريات إذا اقتصرت على خطب تذاع أو مقالات تنشر من غير ان يكون لها تأثير في واقع المسلمين وحاضرهم ، وإنما يسعد المسلمون بها اذا استفادوا من أحداثها وتأثروا بناتجها وايقنوا ان النصر يتحقق بالايمان المالك للقلوب وبالصبر الذي تذلل به الصعاب وبالاخلاص الذي يربط الانسان بربه وبأخيه الانسان .



● سمو ولي العهد مع كبار المدعوين داخل مسجد فاطمة

ايها الاخوة :

ان الهجرة في ذاتها بعث للايمان في نفس كل مسلم ودعوة صادقة الى العزة والكرامة وعدم الرضا بالاستسلام لسلطان القهر والطغيان وان العقيدة تهون في سبيلها كل التضحيات .

ومما لا شك فيه ان الهجرة القلبية سبقت الهجرة البدنية ، بالقلوب المؤمنة التي شرحها الله للحق هجرت ما كان عليه القوم من عقائد فاسدة حين سادت عبادة الاصنام وحين كان المجتمع الجاهلي يعاني الكثير من الحيرة والضياع ويتورط في الفسوق والعصيان في هذا الجو الفاسد هاجرت قلوب المؤمنين الى التوحيد البريء والاخلاص النقي والسيرة العطرة في السلوك والأخلاق والمعاملة .

وكانت هذه التربية الايمانية على يد محمد صلى الله عليه وسلم أساسا في الاعداد لحادث الهجرة وما صاحبه من تضحيات وبطولات وصبر وتحمل بصورة أدهشت العالم على امتداد أربعة عشر قرنا من الزمن .

وهكذا بانتصار الايمان على حب الحياة والمال والجاه من أهم عناصر النجاح للهجرة وتغير مجرى الدعوة التي ظلت حبيسة في مكة

حُكمُ المرتدّ عن الاسلام

الاسلام الحنيف في صورته الأخيرة التي أوحى الله بها إلى رسوله محمد — صلى الله عليه وسلم — يقوم على الحجة والبرهان . والمسلم مكلف بأن يدعو أهل الكتاب من يهود ونصارى الى الاسلام كما يدعو الملحدين والوثنيين سواء . ولا يكره أحدا على اعتناقه بأي نوع من أنواع الاكراه ، لأن منهجه — عقيدة وشريعة — يأبى ذلك ، وقد قال الله تعالى : (**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم**) . ومنذ بزغت شمس الاسلام والدعوة إليه قائمة بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن كما أمر الله تعالى رسوله في قوله : (**أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين**) . وغير المسلمين يعيشون في المجتمعات الاسلامية ، لهم عهد الله وعهد رسوله ، وعهد جماعة المسلمين ان يعيشوا في كنف المجتمع الاسلامي آمنين مطمئنين ، ولو كان هناك إكراه على تبديل الدين لما شرع الاسلام عقد الذمة ، وهو عقد يتضمن إقرار غير المسلمين على دينهم وإلزامهم أحكام القانون الاسلامي في غير الشؤون الدينية .

وبهذا الطريق الاختياري البحت الذي ارتضاه الاسلام لاعتناق منهجه ، لا يقبل الاسلام ممن دخل فيه أن يرتد عنه إلى أي نحلة او مذهب . فاذا ارتد مسلم عن إسلامه

كانت عقوبته القتل ومصادرة ثروته . لأن جريمة الردة تقع ضد النظام الاجتماعي للأمة الاسلامية ، فالتساهل مع مرتكبها يؤدي إلى زعزعة هذا النظام ، فوجب أن يستأصل صاحب هذه الجريمة من المجتمع ، حماية للنظام الاجتماعي من ناحية ، وزجرا عن جريمة الردة من ناحية أخرى .

والواقع أن المرتد عن الاسلام يرتكب جريمتين الأولى هي تحلله من التزامه ، لأن المسلم باسلامه يكون قد التزم بأحكام الاسلام ومقاصده ، فاذا ارتد عنه يكون هذا منه إخلالا بالتزامه . ومن المقرر في القواعد القانونية أن الاخلال بالالتزام يستحق عقوبة وجزاء . والجريمة الثانية إعلانه للارتداد ، لأنه إذا لم يعلن ارتداده كان منافقا لا يعرف ، ومن ثم عوقب على جريمته بأشد أنواع العقوبات وهي القتل ، كتشريع رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في قوله (من بدل دينه فاقتلوه) .

وأكثر الدول اليوم تحمي نظامها الاجتماعي بعقوبة الاعدام ــ أي القتل ــ لمن يخرج على هذا النظام أو يحاول هدمه ، أو إضعافه ، وهي العقوبة ذاتها التي فرضتها الشريعة الاسلامية لحماية النظام الاجتماعي الاسلامي .

وقد بين الله تعالى في كتابه أن من يرتد عن الاسلام ــ وقد ذاقه وعرفه ــ تحت مطاردة الأذى والفتنة : محبط للعمل في الدنيا والآخرة ، ومصيره الخلود في النار قال تعالى : **(ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)** . والتحذير الذي تحمله هذه الآية قائم إلى آخر الزمان . ليس لمسلم عذر في أن يترك دينه ويرتد عن إيمان وإسلامه ، ويرجع عن الحق الذي ذاقه وعرفه .

والمرتد عن الاسلام يستتاب ويمهل ثلاثة ايام فاذا اصر على جريمته عوقب بالقتل أيا كان معتقده وأيا كانت النحلة التي انتحلها بعد ردته : فالزعم بأن من خرج من الاسلام ودخل النصرانية أو اليهودية ليس بمرتد تنطبق عليه أحكام الردة ، لأن ثمة شبهة إيمانية بدين سماوي . زعم باطل ينبعث إما عن الجهل برسالات الله إلى خلقه ، وإما عن الجحود لآيات الله ظلما واتباعا للأهواء والشهوات ..

ذلك أنه بعد نزول الاسلام أصبح

هو الدين عند الله ، وليس هناك دين غيره يعترف به الاسلام ، لأن الله تعالى يقول :(**ان الدين عند الله الاسلام**) ويقول : (**ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**) .

لقد قرر الله تعالى في كتابه الكريم : أن أهل الكتاب ليسوا على شيء حتى يقيموا التوراة والانجيل وما أنزل إليهم من ربهم ، وحتى يدخلوا في الدين الخاتم تبعا لهذه الاقامة كما هو بديهي من دعوتهم إلى الايمان بالله والنبي في المواضع الأخرى المتعددة . قال تعالى : (**قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل إليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين**) .

كما بين الله تعالى الدين الذي يقبله من الناس أيا كان وصفهم قال تعالى . (**ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**) . فالآية تقرر أن من آمنوا بالله واليوم الآخر أيا كانت نحلهم ، وعملوا صالحا لا خوف عليهم ولا هم يحزنون . ومفهوم ضمنا في هذا الموضع ، وتصريحا في مواضع اخرى أنهم فعلوا ذلك على حسب ما جاء به الرسول الأخير . وما فهم ضمنا يعتبر من المعلوم من الدين بالضرورة ، فمن بديهيات عقيدة الاسلام ان محمدا هو خاتم النبيين (**ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين**) وانه أرسل إلى البشر كافة (**وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون**) .

وأن الناس جميعا على اختلاف مللهم ونحلهم وأديانهم واعتقاداتهم وأجناسهم وأوطانهم مدعوون الى الايمان بما جاء به في عمومه وتفصيلاته ، وأن من لا يؤمن به رسولا ، ولا يؤمن بما جاء به إجمالا وتفصيلا ضال لا يقبل الله منه ما كان عليه من دين قبل هذا الدين ولا يدخل في مضمون قوله تعالى (**فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**) .

ولقد أخذ الله موثقا جليلا ، كان هو شاهده ، وأشهد عليه رسله ، موثقا على كل رسول أنه مهما آتاه من كتاب وحكمة ، ثم جاء رسول بعده مصدقا لما معه أن يؤمن به وينصره ويتبع دينه . وهذا الميثاق بين أن كل نبي ليس له مأرب خاص في مهمته ، وإنما هو عبد اختاره الله للتبليغ .. والله سبحانه وتعالى هو الذي ينقل خطى دعوته من رسول إلى رسول ، ويخلص دين الله ـ بهذا الميثاق ـ من كل عصبية ذاتية .

وفي ظل هذه الحقيقة يبدو الذين يتخلفون من اليهود والنصارى عن الايمان بخاتم النبيين ومناصرته وتأييده تعصبا لانفسهم في صورة التعصب لديانتهم ، مع أن ديانتهم تدعو إلى الايمان به ونصرته ، يبدون خارجين عن تعليم أنبيائهم وعن عهد

الله معهم . قال تعالى : **(وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم واخذتم على ذلكم إصرى قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين . فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون . أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والأرض طوعا وكرها وإليه يرجعون) .**

وقد كان أهل الكتاب يلجأون إلى طريقة ماكرة لئيمة ، ليوقعوا ضعاف العقول وغير المتثبتين من حقيقة دينهم في بلبلة واضطراب ، وخاصة العرب الأميين الذين كانوا يظنون أن أهل الكتاب أعرف منهم بطبيعة الديانات والكتب ، فاذا رأوهم يؤمنون ثم يرتدون حسبوا انهم ارتدوا بسبب اطلاعهم على نقص في هذا الدين . وحكى الله طريقتهم في قوله : **(وقالت طائفة من اهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون . ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم)** وما تزال هذه الخدعة تتخذ إلى اليوم في صور أخرى أظهرها اتخاذ عملاء في صورة اساتذة وفلاسفة وأدباء وباحثين وصحفيين ، يحملون أسماء المسلمين . مهمتهم خلخلة العقيدة في نفوس المسلمين بشتى الطرق ، والتهوين من شأنها والدعوة الى تركها . وإبعادها عن مجال الحياة ، وسحق القاعدة الخلقية التي تستوى عليها العقيدة التطبيقية وهم بحالهم هذه ومحاولاتهم الآثمة يفعلون مثل اهل الكتاب الذين كان يقول بعضهم لبعض تظاهروا بالاسلام أول النهار واكفروا آخره لعل المسلمين يرجعون عن دينهم !!

(وبعد) **ألم يسمع اولئك الذين يزعمون أن من خرج من الاسلام إلى النصرانية أو اليهودية لا يعتبر مرتدا قول الله تعالى (قل ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)** ثم ألم يسمعوا قول الله تعالى : **(ياأهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون . ياأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون)** حتى يعودوا إلى رشدهم ويعلموا أن من تولى عن الايمان برسالة الاسلام في صورتها الأخيرة على يد محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ **فقد تولى عن دين الله كله وقد خاس بعهد الله كله ، وان المرتد عن الاسلام مرتد عن الدين إلى غير دين أيا كانت النحلة التي يرتد إليها .**

عقيدة أصلها من الله ثم حرفت ليكتم ما فيها من حق ، أو عقيدة أصلها وثني وباقية على وثنيتها ، أو إلحاد ينكر رسالات الله إلى خلقه ؟؟

رئيس التحرير

محمد الأباصيري



للدكتور / محمد الاحمدي أبو النور

للحديث النبوي مع القرآن الكريم وظيفتان رئيسيتان : الأولى هي الاعلام ببعض التشريعات التي لم يرد النص عليها في القرآن والتي يتم بها التشريع ، ويتكامل بها الاسلام .
والثانية هي تيسير فهم القرآن ببيان آياته وتوضيح غاياته ، وتحديد مفاهيمه وتفسير أحكامه .

فأما ان للحديث النبوي دوره في الاعلام ببعض التشريعات وفي إتمام الرسالة الاسلامية ، فلأن الحديث النبوي الذي يبلغ به التشريع او يستكمل به الدين موحى به من قبل الله عز وجل ولهذا قال تعالى ـ عما يتحدث به النبي صلى الله عليه وسلم في هذا المجال : **(وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحي يوحى)** النجم / ٣،٤ .
كما قال صلى الله عليه وسلم : » ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه « رواه ابو داود والترمذي باسناد حسن والمماثل للقرآن هو السنة التي أوحى بها مع القرآن ، وبلغها لنا النبي صلى الله عليه وسلم بحديثه القولي ، وتطبيقه العملي ، وسلوكه الرائد ، وهي المشار اليها بالحكمة في قوله تعالى : **(واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب**

والحكمة يعظكم به) البقرة / ٢٣١ .

ومماثلة السنة للقرآن في أمرين :

الأول : كونها وحيا كالقرآن .

والثاني : كونها أمرا واجب الاتباع كالقرآن .

وحين يحدث النبي صلى الله عليه وسلم بتشريع أي بتحليل أو تحريم أو إباحة - مثلا - لأمر لم يرد في القرآن الكريم ، فهو حينئذ - لا يحدث عن ذاته وانما يحدث عمن اليه التشريع وهو الله عز وجل ، لأن النبي مبلغ وليس مشرعا ، إذ التشريع مقتضى الألوهية والربوبية فالمشرع هو الله وحده .

ولقد قال تعالى : **(لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)** المائدة / ٤٨ . وبهذا او ذاك أبان سبحانه أن المشرع في الأصول والعقائد ، وفي الفروع والأحكام انما هو الله وحده .

وإذن فالوظيفة الأساسية الأولى للرسول انما هي البلاغ ، والاعلام بالأحكام والتشريعات عن الله عز وجل ، وهذا أمر يتجلى حتى في حال حكمه - عليه السلام - بين الناس .

إنه لا يحكم برأيه الشخصي ، انما يحكم بما أنزل الله عليه وبما يلهمه الله اياه وذلك ما ينبىء عنه قوله تعالى : **(وأن حكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما أنزل الله)** سورة المائدة/ ٤٩ .

وقوله تعالى : **(انا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله)** النساء / ١٠٥ .

الوظيفة الثانية للرسول هي بيان الكتاب الالهي وتفسيره .

وأما ان الوظيفة الأساسية الثانية للرسول صلى الله عليه وسلم هي البيان والتفسير للقرآن الكريم فذلك ما ينبىء عنه قوله تعالى : **(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم)** النحل / ٤٤ . وذلك حتى لا تؤخذ الآيات القرآنية مأخذ الكلام البشري فيما يتعلق بتحديد المراد منها ، وتفصيل الحكم فيها بعد أن تكفل الله ببيان وحيه ، بقوله سبحانه : **(ثم إن علينا بيانه)** القيامة/ ١٩ .

وحقا لقد نزل القرآن بلسان عربي مبين ، بيد أنه لا يكفي لبيان سوره وآياته ، أن يكون المرء متضلعا من علوم اللغة فاقها لأسرارها فقد يكون للكلمة معنى محدد في اللغة ، لكن مراد الله بها غير ما يتبادر الى الذهن بحسب اللغة ..

وقد يكون معنى الكلمة متعلقا بأمر غيبي كسدرة المنتهى ، والكوثر ، وعرض آل فرعون على النار غدوا وعشيا .

وقد يكون الأمر في بعض الآيات محتملا لعدة احتمالات غير أن احتمالا واحدا هو الذي يتعلق به الحكم في الآية ، فأنى لبشر أن يعين هذا الاحتمال أو يحكم بأن هذا هو المراد ولا شيء سواه ، مهما كان تمكنه من اللغة ، أو اقتداره على فهم أساليبها ؟

هذا فضلا عما يتعلق ببيان القرآن في الأحكام التشريعية ، والأعمال

السلوكية ، من تفصيل المجمل في مثل الصلاة ، والزكاة والحج وتقييد المطلق في مثل حد السارق ، وتخصيص العام في مثل قوله تعالى : **(الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الأمن وهم مهتدون)** الأنعام / ٨٢ ، مما لا يتسنى للاجتهاد البشري ـ مهما كان ـ أن يصول فيه أو يجول .

الأدلة على ذلك :

ويحسن بنا أن نتدارس مجموعتين من الأحاديث النبوية : اولاهما تتعلق بتشريع أمور لم يرد النص عليها في القرآن الكريم .

وثانيتهما تتعلق ببيان أمور يتوقف البيان فيها على إعلام من الله عز وجل

المجموعة الاولى :

من صحيح مسلم عن تشريع الرسول لأمور لم ترد في القرآن .

١ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يجمع بين المرأة وعمتها ، ولا بين المرأة وخالتها .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لا تنكح العمة على بنت الأخ ، ولا ابنة الأخت على الخالة » .

٢ ـ عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« لا ينكح المحرم ولا ينكح ولا يخطب » .

٣ ـ عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

« المؤمن أخو المؤمن ، فلا يحل للمؤمن أن يبتاع على بيع اخيه ، ولا يخطب على خطبة اخيه حتى يذر » .

٤ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم ، فأتاه رجل فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار فقال له ، رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنظرت اليها ؟ قال : لا قال : فاذهب فانظر اليها ، فان في أعين الأنصار شيئا » .

٥ ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إذا أفلس الرجل فوجد الرجل عنده سلعته بعينها فهو أحق بها » .

فماذا تعطينا هذه الأحاديث من تشريعات وأحكام ؟ انها تعطينا الاحكام التشريعية التالية :

١ ـ تحريم الجمع بين المرأة وعمتها ، أو بين المرأة وخالتها في عصمة واحدة ، او كما استنبط الفقهاء وقالوا : بين كل اثنتين لو قدرت احداهما ذكرا والأخرى انثى لم يجز » .

٢ ـ على المحرم بحج أو عمرة أن يعتبر نفسه في عبادة يحرم عليه أن يأتي بما ينافيها ، وعقد النكاح ، وخطبة المرأة من الأمور التي تتنافى مع الحج والعمرة ، زمن الاحرام بهما ، ومن هنا نهى عنهما النبي صلى الله عليه وسلم وسواء أكان عقد النكاح من المحرم لنفسه ، ام كان منه لغيره فكلاهما غير جائز وقتئذ .

٣ ـ اذا اتفق اثنان على إتمام صفقة تجارية بينهما فلا يحل لثالث أن يزيد في الثمن إغراء للبائع حتى يبطل اتفاقه مع الأول .
وكذلك اذا خطب خاطب فتاة ومال إليه آلها ، ووافقت ووافقوا لا يحل لمسلم أن يأتي أهل المرأة ليخطب فتاتهم على خطبتها لأخيه المسلم ، ذاكرا لهم من المزايا والاغراءات ما يجعلهم يصدفون عن الأول ليتموا زواجها به هو .
وذلك التحريم للبيع على البيع ، والخطبة على الخطبة ، يوغر الصدور بالعداوة والبغضاء ، ويوري زناد الصراع بين أفراد المجتمع اولئك الذين تجمع بينهم أخوة الاسلام ومودته كما تجمع بينهم مثله ومبادئه التي تفرض على كل منهم أن يعامل الناس بما يحب ان يعاملوه به ، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه ، وأن يكره لهم ما يكره لها .
٤ ـ تجويز رؤية المرأة التي أوقع الله في قلب المرء خطبتها ، وذلك لأن الزواج اتفاق أبدي ، فحتى يكون على بينة من تلك التي يريد أن يقترن بها أباح النبي صلى الله عليه وسلم له أن يراها .
٥ ـ اذا اشترى رجل سلعة من آخر على أن يؤديه ثمنها اذا باعها فلم يبعها وأفلس ، وطالبه البائع بثمن السلعة فلم يستطع المشتري دفع الثمن غير ان البائع وجد سلعته بعينها عند المشتري ، حينئذ يكون البائع أحق بها ، لأنه صاحبها .
وهذه الأحكام التشريعية الخمسة لم ترد في القرآن الكريم ، وإنما وردت احكام موضوعاتها وتشريعات أصولها فقد ورد في سورة النساء حديث تفصيلي عن المحرمات على المرء في الزواج من النسب ومن الرضاع ، كما جاء تحريم الجمع بين الاختين الخ .
بيد أن تحريم الجمع بين المرأة وعمتها وبين المرأة وخالتها لم يرد به نص قرآني ، الا ان السنة اكملت موضوع تحريم المحرمات وقامت هنا بدور رئيسي في اتمام الرسالة الاسلامية فيما يتعلق بتنظيم امر الزواج .
وقل مثل ذلك فيما يتعلق بنكاح المحرم وخطبته ، ففي سورة البقرة وعند قوله تعالى : **(واتموا الحج والعمرة لله)** البقرة / ١٩٦ ، احكام كثيرة عن الحج والعمرة لكنها لم تستوعب وتركت هذه المهمة للسنة النبوية ، ومن ذلك هذا المثال الذي مثلنا به من نكاح المحرم وخطبته .
وفي القرآن حديث عن المبادىء العامة التي تتعلق بالبيع والشراء ، وبعض الاحكام الخاصة بالتجارة كقوله تعالى : **(وأحل الله البيع وحرم الربا)** البقرة / ٢٧٥ وقوله سبحانه : **(يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم)** النساء / ٢٩ ، وقوله سبحانه : **(أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين . وزنوا بالقسطاس المستقيم)** الشعراء / ١٨١ و١٨٢ ، وغير ذلك .
بيد أن القرآن لم يتحدث مثلا عن

تحريم البيع على البيع ولا عن احكام التفليس كما لم يتحدث عن كثير من الأحكام المتعلقة بالبيع والشراء ، ومع ذلك لم يترك الله الأمة دون ان يكمل لها المنهج الاسلامي في الاقتصاد وما يرتبط به ، وذلك في السنة النبوية التي تصدر مع القرآن من نبع واحد ومشكاة واحدة هي مشكاة الوحي الالهي .

ان روعة الاسلام أن كل موضوع فيه موضوع متكامل وذلك من خلال القرآن والسنة معا .

ولئن قصد في القرآن الى التيسير على الأمة ، والاجمال في أكثر القضايا التي تعرض لها فلقد كان من مهام السنة النبوية ان تستقريء الجزئيات الباقية في عناصر الموضوع المعين ، لتدل الناس على حكم الله فيها ، وبذلك يكون المنهج الاسلامي في الموضوع الواحد قد استوعب ما يصلح شأن الافراد والجماعات دون ان تند عنه جزئية او يفوته عنصر !

ثم إن المنهج الاسلامي لم يعن بموضوع انساني دون موضوع ، ولم يلتفت الى جانب ليذر بقية الجوانب . ان الانسان في المنظور الاسلامي مادة وروح ، عقل وجسد ، فكر ووجدان ، وقد جاء المنهج الاسلامي الاقوم ملبيا حاجة الانسان في جوانبه هذه جميعا مع مراعاة الاتزان والاتساق فيما بينها حيث لا يطغي جانب فيها على جانب آخر ، ومن هنا تناول موضوع العقيدة كما تناول موضوع الشريعة ، وتناول موضوع تنمية الجسد كما تناول موضوع تنمية الروح ، وتناول موضوع العقل كما تناول موضوع الوجدان وشملت الهداية الاسلامية للانسان ما يتعلق بالاخلاق والعلاقات السياسية ، والاقتصادية والاجتماعية والدولية الى جانب ما يتعلق بالعقيدة والعبادة .

وكان دور السنة في هذه الجوانب جميعا هو دور المستكمل للمنهج المستوعب للجزئيات الذي يتمم مع القرآن الاسلام الذي ارتضاه الله للانسانية دينا ومنهجا .

كما كان للسنة النبوية دور آخر يمكن إجماله في بيان القرآن وتفسيره ولنوافك الان بالمجموعة الحديثية الثانية التي توضح لك هذه النقطة لترى إلى أي مدى نتوقف في فهم القرآن على الحديث النبوي

المجموعة الثانية من صحيح البخاري :

أحاديث يتوقف تفسير القرآن على العلم بها

١ ــ عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا رآها الناس آمن من عليها ، فذاك حين لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل » وفي رواية : « لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها ، فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا اجمعون ، وذلك حين لا ينفع نفسا إيمانها ثم قرأ الآية : **(يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا)** الأنعام / ١٥٨ .

٢ ــ عن أبي سعيد بن المعلى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي اوتيته » .

٣ ــ عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مفاتح الغيب خمس : **(ان الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت ان الله عليم خبير)** لقمان / ٣٤ .

ومن صحيح مسلم

٤ ــ عن أبي سعيد الخدري وابي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ينادي مناد : ان لكم ان تصحوا فلا تسقموا أبدا ، وان لكم ان تحيوا فلا تموتوا أبدا ، وان لكم أن تشبوا فلا تهرموا ابدا ، وان لكم ان تنعموا فلا تيأسوا أبدا فذلك قوله عز وجل : **(ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون)** الاعراف /٤٣

ف ــ ١٤ البيان لآي القرآن كيف كان يمكن للنبي صلى الله عليه وسلم فضلا عن أي بشر ان يحيط به لو لم يأت الخبر به عن الله عز وجل ؟

كيف يمكن لنا أن نحدد ان المراد ببعض آيات الله في قوله تعالى: **(يوم يأتي بعض آيات ربك)** هو طلوع الشمس وليس أي آية أخرى من آيات الله عز وجل ، تلك الآية التي إذا ظهرت أوصد باب التوبة فلا تقبل توبة من لم يتب من قبل ، ولا إيمان من لم يؤمن من قبل .

كيف يتسنى العلم بذلك الا ان يكون عن الله عز وجل يوحيه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيبلغه لنا النبي بكل أمانة وصدق .

وآية سورة الحجر : **(ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم)** الحجر / ٨٧ من الذي يحدد مراد الله منها سواه سبحانه ؟ ومن الذي يخبرنا بهذا المراد سوى من أوحى الله اليه بيانه ؟

كذلك ما يتعلق بالغيب وبالجنة وما اعد الله فيها للطائعين ، وبالنار وما اعد فيها للكافرين ، لا سبيل الى العلم بشيء منه الا عن طريق الوحي يبلغه مثل هذا الحديث الذي بين فيه النبي صلى الله عليه وسلم ما بين عن هذه الآية الكريمة : **(ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون)** .

تلك بعض الشواهد والمثل عن دور السنة في اكمال التشريع الالهي ، واتمام الرسالة الاسلامية ، وبيان القرآن وتفسيره .

ومن أراد ان يستزيد فليتصفح كتب السنة النبوية ، وليدرسها دراسة موضوعية مع القرآن الكريم ، فسيقف على الكثير مما يبهره ويروعه ، وسيعرف اكثر وأكثر لماذا أولى الله السنة النبوية من المنزلة والمكانة ما لم يوله لأي كلام آخر ، وسيعرف كذلك انه لا غناء عن السنة مع القرآن الكريم لكل من يريد أن يتعرف إلى الاسلام ، ويطبق منهجه ، ليعزبه في الدنيا ويسعد به في الآخرة .



انفلتت ألسنة كتاب الغرب وأقلامهم في صحفهم واذاعاتهم في اتهام النظام والتشريع الاسلامي واخذوا يعيدون ما استهلك من الكلام على مر العصور في هذا الشأن ولم يخل عصر من العصور في توجيه النقد اللاذع والقول البذيء المتهافت الى بعض الاحكام في النظام الديني الاسلامي حتى اصبح الحديث فيه نغمة مرذولة ثقيلة على القلوب والاذان .

وان تلك الحملات لتستعر وتتأجج حين تلوح في الافق بوارق القوة والوعي والانبعاث في الشعوب الاسلامية وكأن تلك الحملات قذائف معدة او قنابل مسددة تنتظر الامر بالانطلاق فتنطلق وتنتظر المناسبات لتؤدي دورها المقرر لها .

فكلما حدثت صحوة اسلامية في شعب من الشعوب الاسلامية ثارت ثائرتهم ، وأطلقوا كلمات الرجعية والتعصب والبربرية وما الى ذلك مما مهدت به اقلامهم ووعته قواميسهم يصفون بها الاسلام ويشنعون على

للاستاذ / ابو الوفا مصطفى المراغي

آرائه وأحكامه وخاصة ما يتعلق منها بزي المرأة وقطع يد السارق وجلد المخمور . واخذوا يتباكون على الحضارة ويستغيثون بالعالم ان يتداركها مما تتعرض له بتطبيق نظام الاسلام ان هؤلاء الكتاب ليطعنون الحضارة ويهزءون بمقوماتها قبل أن يتهموا الاسلام وينالوا منه فهل الحضارة في تقدير هؤلاء هي الخمر والجنس والتلصص ، أم الحضارة عمران وبنيان وعلم وفن بكل ما تسعه هذه العنوانات من معان ، وتنطوي عليه من حقائق فان كانت الحضارة عمرانا وبنيانا وعلما وفنا فما أنكرت الحركات الاسلامية شيئا من هذا ولاحظرته بحكم دينها وتقاليدها وان كانت الحضارة خمرا تفتك بالعقول والأبدان ، وتنبعث منها الشرور والاثام ، أو جنسا تهتك فيه الاعراض ، وتختلط به الانساب ؛ أو لصوصية تهدد أمن الناس وتنهب أموالهم وحقوقهم ، وانكرتها الحركات الاسلامية وأزمعت القضاء عليها ، فانما تنكر شرا وترفض باطلا وتحارب ضلالا ، ويشاركها في ذلك ذوو العقول والحكمة والفطر السليمة ان السر في تلك الحملات المسعورة شيء وراء الغيرة على الحضارة وعلى الحرية ووراء الغيرة على حقوق الانسان .

لقد تجاهل هؤلاء الكتاب ما تخوض فيه الشعوب من ويلات وحروب تذهب فيها الارواح بغير حساب لتحقيق مغامراتهم وانماء ثرواتهم بالاحتكار والسيطرة والنفوذ حتى انهم ليضحون بشعوب كاملة في سبيل ذلك كما فعلوا في فلسطين وغيرها . فاذا استيقظ شعب وهب للدفاع عن حقوقه وامواله واصلاح ما اعوج من اخلاقهم علا صياحهم وتجاوب نباحهم وتداعوا الى الشر ليدفعوا ما يهدد مخططاتهم من الخطر .

إن هذه الحملة المسعورة لتشويه الاسلام تستهدف الشعوب الاسلامية قاطبة وتستهدف اول ما تستهدف النظام الاسلامي وربما كان التاريخ يعيد نفسه فقد استهدف الاسلام في فترات تاريخية مختلفة لامثال تلك الحملات كما يعرف من له صلة بالتاريخ ومن هنا تأتي مسئوليات الشعوب الاسلامية لتقف في مواجهة ذلك الخطر صفا واحدا بكل ما تملك من الوسائل ما لم يتح لها من قبل وهي تملك من الوسائل المادية

والمعنوية أمضى الاسلحة ، فالانبعاث الديني الذي نحس مظاهره في كل مكان والثروات المعدنية هي الاسلحة التي لو احسن استخدامها كانت كفيلة بالنصر ، ولعل الانبعاث الاسلامي الذي بدت مظاهره في كثير من الشعوب الاسلامية هو الذي ازعج هؤلاء الكتاب وهاج حفائظهم .
ولعل الانبعاث هو الذي خبل عقولهم وزلزل أركانهم وأضل أقلامهم وجمع قاصيهم بدانيهم وغربهم بشرقهم فاتفقوا في غايتهم واختلفوا في وسائلهم .
ان الكتلة الشرقية تناهض الاسلام حرصا على مصالحها ونشرا لمبادئها وتعمل ذلك جهد المستميت جهارا نهارا .
وتتخير من المواقع والشعوب ما هو أنسب لظروفها وأقرب الى غايتها ، والغرب أيضا يناهض الشعوب الاسلامية حرصا على مصالحه ، متقنعا غير سافر ، ومستترا غير مجاهر ، ويصطنع الحذر والحيطة مراعاة لعلائقه ببعض الشعوب .
ان هذا الصراع الدائر بين الشرق والغرب قد قضى الله ان تكون ميادينه بعض الشعوب الاسلامية ، وهذا الصراع له جانبه السياسي وجانبه المادي والاجتماعي ، ويعسر عزل احد الجانبين عن الاخر ، ومن هنا كانت صلة الشعوب الاسلامية بما يدور في العالم من صراع فالجانب المادي هو الذي قضى على الشعوب الاسلامية ان تكون في مواقع الصراع .
والصراع السياسي والمادي ليس له في الواقع ضوابط من خلق او دين بل هو نار مستعرة تأتى على ما تصادفه ومن هنا كانت خطورته على المعتقدات والاديان .
فلا حرج أن تشوه محاسنها وبصور حقها باطلا وهداها ضلالا وعدلها ظلما ورشدها غيا ، ولهؤلاء الكتاب نقول : هل أنتم حقا حماة الحرية وهل انتم حقا اهل الغيرة على الكرامة الانسانية ؟ اذا كنتم حقا كذلك فأين مواقفكم من حكوماتكم ودولكم ومن سلوكهم الانساني حين يستنزفون الشعوب ويبيدونها بالالاف والملايين وينزلون بها من الوان العسف ما لم تعهده البشرية في احط العصور لقد خرست السنتكم واقلامكم عما جرى ويجري من فظائع في الصراع الدولي وان وقع شيء من ذلك منكم كان من وحي السلطة والمصلحة لا بدواعي الغيرة الخالصة والقلوب الحانية الرحيمة .
ليعلم هؤلاء المتحدثون عن الحضارة ان للحضارة الاسلامية عند شعوب الاسلام وفي اطار الاسلام مفهوما يخالف مفهوم الحضارة عند الشعوب غير المسلمة .
فمفهوم الحضارة فيما يختص بالمرأة عند الشعوب غير الاسلامية ان يطلق لها العنان في سلوكها وزيها تنتقل بفتنتها في كل ناد وتهيم بعواطفها في كل واد تستغوي وتستهوي من تشاء ولكن مفهوم الحضارة في الاسلام بالنسبة للمرأة أن تلزم حشمتها احتفاظا بكرامتها وحرصا على علاقتها الاسرية ان تعصف بها

الشكوك والظنون .

ومفهوم الحضارة عند تلك الشعوب فيما يختص بمعاقرة الخمر أن كل انسان له أن يشرب ما شاء ، يعربد وينتهك من الحرمات ما شاء ، ولكن مفهوم الحضارة الاسلامية في ذلك تحريم الخمر تحريما قاطعا قضاء على الجريمة ووقاية للمجتمع من آثارها وذيولها .

ومفهوم السرقة أن التلصص والاختلاس جزء من الحرية يعيث بها اللص فسادا ولا يؤاخذ الا عند التلبس بالجريمة ، وإن اخذ بعقاب أخذ بعقاب لا يعادل فظاعة جرمه ولا يمنعه من معاودة تكرارها .

ومفهوم الحضارة الاسلامية في هذا الشأن ان يؤاخذ مقترف هذه الجريمة بأشد العقوبات التي تناسب فظاعتها وتؤدي الغرض منها في زجر وتأديب .

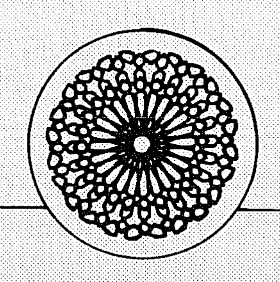
هذا مفهوم الحضارة في الاطار الاسلامي ولمن يدين بالاسلام من الشعوب ، ولكل شعب منها أن يمارس حضارته على هذا الاسلوب ، وليس لغيره أن يندد به أو يعترض عليها كما حتمت بذلك المواثيق الدولية .

إن للحضارة شئونا عامة تشترك فيها كل الشعوب لانها تكاد تكون شئونا انسانية عامة تمس الناس جميعا وشئونا حضارية خاصة تتميز بها كل أمة لانها تستمدها إما من دينها او طبيعتها او نظام الحياة فيها وتلائم مجتمعاتها واحوالها ، وهذه الشئون حق لأهلها ، وهم اولو الرأي فيها ، واقدر على الحكم عليها ، والواجب ان تترك لاهلها ، يقررون منها ما أثبتت التجربة صوابه ، ويرفضون ما استبان فساده فلهم الربح إن احسنوا وعليهم الخسارة إن أساءوا .

لقد ختمت العصبية الهوجاء على قلوب بعض هؤلاء الكتاب ، وجعلت على أبصارهم غشاوة فأعمتهم ان يروا محاسن الشريعة الاسلامية ، أو يفهموا أسرار بعض الاحكام الحضارية الاسلامية ولم يدركوا اغراضها ومقاصدها التي اوحت بتقريرها وفرضها ، وقيموها تقييما خاطئا وحكموا عليها بما حكموا به وزلت أقدامهم وخانهم الانصاف والتوفيق .

ولكن الذين عنوا بدراسة الشريعة ، ووقفوا على أسرارها ، وتعمقوا اغراضها ومقاصدها ، شهدوا لها بالاحكام والاحسان ، كما شهدوا بصلاحيتها لسياسة البشرية وكفايتها في تدبير شؤونها .

والكلمة الاخيرة التي نقولها لهؤلاء الكتاب المسرفين في النقد والتجريح عليكم أنفسكم وشعوبكم ودعوا الشعوب الاسلامية لشأنها وما ترى فيه الخير لمجتمعها فما خولكم الله الوصاية عليها وما جعلكم حماة لها ، انكم لو فعلتم لأرحتم الناس من مشاكلكم وصراعاتكم ، فما اختلت احوال الشعوب ونزل بها ما تعاني من ألوان العذاب الا حين وصيتم انفسكم فلم تحسنوا الوصاية وجعلتم انفسكم قادة فلم تبلغوا ولم تبلغ بكم الشعوب غاية .



التجارة في الإسلام

الاحتكار

يقول الحق تبارك وتعالى : (**وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا**) البقرة/١٤٣

.. فالوسطية دعامة من دعائم النظام الاسلامي وهي من اهم دعامات الحياة الاجتماعية للمسلمين ، وهي مطلوبة في كل امر من امور الدنيا او العمل للآخرة .

ولذلك يرفض الاسلام في نظامه

للاستاذ / عبد السميع المصري

المالي تلك الفردية المتطرفة التي يرعاها النظام الرأسمالي والتي تتجاهل حقوق الجماعة ، وتتيح للفرد ان ينكر مصالح الجماعة ويتناساها في سبيل تحقيق اعلى نسبة من الربح ممكنة .

كما لا يقر الاسلام رأسمالية الدولة التي يتبناها النظام الاشتراكي والتي تضحي بحقوق الفرد وحريته من اجل مصلحة الجماعة ، والتي قد تتطرف الى مدى ابعد من الاستغلال الرأسمالي لحاجات المجتمع .

لكن الاسلام ـ في ربطه الأبدي بين المادة والروح .. فطرة الانسان التي فطر عليها ـ يدعو افراد المجتمع المؤمنين لان يتساموا في دوافعهم الذاتية لأن للتضحية من اجل الاخاء الاسلامي اجزل الثواب عند الله ، ولأن المسلم في عمله انما يبتغي وجه الله اولا ويرعاه في تصرفاته .

فيحبب الاسلام الى التجار ارخاص الاسعار للتيسير على الناس لما في ذلك من مرضاة الله والفوز بثوابه .

« ولقد نهى الاسلام عن التغالي في الربح وعن الفحش في الكسب لان قلة الربح مع كثرة البيع تؤديان الى وفرة المكسب مع التيسير على المسلمين ، وكان علي بن ابي طالب يدور في سوق الكوفة ويقول : معاشر التجار ، خذوا الحق تسلموا ، ولا تردوا قليل الربح فتحرموا كثيره » .

واذا كان الجالب مجاهدا في سبيل الله ـ كما جاء بالحديث الشريف ـ لأنه يرفع الحرج عن الناس وييسر لهم امور معاشهم فان المحتكر خارج على دين الله كافر بنعمة الاسلام كما يقرر الرسول صلى الله عليه وسلم في نفس الحديث .

والاحتكار في نظر الحنفية هو « شراء طعام ونحوه وحبسه الى الغلاء اربعين يوما » ، وعند الشافعية : « شراء القوت في وقت الغلاء ليمسكه ويبيعه بعد ذلك بأكثر من ثمنه للتضييق حينئذ » ، وعند الحنابلة مثل ذلك « بمعنى ان الاحتكار هو حبس الشيء انتظارا لغلائه وهو الأمر المرادف للامتناع عن البيع » .

ويرى الدكتور محمد سلام مدكور في كتابه « الاحتكار وموقف التشريع الاسلامي منه » .. « ان الاحتكار المحظور في الشريعة الاسلامية هو حبس اي شيء تشتد حاجة الناس اليه ، ويستعملونه في حياتهم ، ويتضررون من حبسه عنهم ، ويستوي في ذلك ان يكون ذلك الحبس نتيجة شراء او اختزان ، وان يكون

الشراء من مصر او غير مصر ، وان يكون ذلك الشيء طعاما او غير طعام ، ويشمل ذلك ما اشتراه في وقت الغلاء ، او اشتراه في وقت الرخص ليرفع سعره ويغليه على الناس عند الضيق والاحتياج » وهو ما يتفق مع قول ابي يوسف : (كل ما اضر بالناس حبسه فهو احتكار ، وان كان ذهبا او ثيابا) .

والأحاديث الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في النهي عن الاحتكار واظهار بشاعة جريمته كثيرة نذكر منها :

« **الجالب مرزوق والمحتكر ملعون** » .. رواه ابن ماجه والدارمي .

والاسلام يحارب الاحتكار لما فيه من اهدار لحرية التجارة والصناعة ، وتحكم في الاسواق يستطيع معه المحتكر ان يفرض ما شاء من اسعار على الناس فيرهقهم ويضارهم في معاشهم وكسبهم ، فوق انه يسد ابواب الفرص امام الآخرين ليعملوا او يرتزقوا كما يرتزق المحتكر ، ويقتل روح المنافسة التي تؤدي الى الاتقان والتفوق في الانتاج .

وقد رأينا بعض المحتكرين يلجأون الى اتلاف فائض انتاجهم لرفع الاسعار ، كما حدث في البرازيل عندما احرقت الأطنان من البن بينما الملايين لا تجد حاجتها منه ، وكم رأينا صيدليات تحتكر الأدوية وتمنعها عن المرضى الذين يعانون من آلام امراضهم ، ودافعها الى الاحتكار الجشع والسعي وراء كسب حرام ، والاتجار في آلام البشر الذين يموتون في سبيل أن تزيد ارباح المحتكر .

إن الاحتكار جريمة ضد الانسانية تستوجب الطرد من حظيرة الله ، ولذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « **الجالب مرزوق والمحتكر ملعون** » لأن المحتكرين ـ كما يقول جون آيز استاذ الاقتصاد في الجامعة الأمريكية ـ : « تائهون في مطاردة المال الذي يجب ان يكون الوسيلة الى الحياة الطيبة ، لا غاية في ذاته ، حتى نسوا الغاية وأمعنوا في التعلق بالوسيلة » .

« وخطر الاحتكار على الاقتصاد العالمي اصبح في غير حاجة الى مزيد من البيان ، وكلنا نعلم كيف تغلغل الاحتكار ـ الظاهر والخفي ـ في اكثر ميادين الانتاج العالمي ، وكيف تحالف المحتكرون من اقطاب المال عبر حدودهم مع زملائهم في بلاد اخرى ، ونجحوا في تحديد الاسعار التي تؤتيهم الربح الفاحش ، وخلقوا الأزمات وتآمروا على بخس اثمان المواد الخام التي تنتجها البلاد النامية ، اضرارا بأكثر من ثلثي سكان الأرض ، ولا زالت جهود الأمم المتحدة ـ العناصر الطيبة فيها ـ تتوالى وتتعثر في محاولة التخفيف من ويلات هذا الداء الوبيل » .

إن التحريم الاسلامي للاحتكار يسري على كل انواعه المحلي والعالمي ، لأن هدف المحتكر واحد ، وهو التحكم في ضرورات الناس .

وقد اتخذ الاحتكار الدولي في

العصر الحديث صورا رهيبة ، لا سيما بعد ما تحقق من تطور في أساليب الانتاج ، أدى الى قيام المشاريع الضخمة التي يعجز الافراد عن القيام بها ، ثم النظرة المادية البحتة للاقتصاد ، وترك الحرية المطلقة للملكية بغير حدود .

وقد استعاضت الشركات الكبرى عن المنافسة في سبيل الاجادة وخفض الاسعار لصالح البشرية ، بهذه الصور البشعة من أنواع الاحتكار ، فرأينا :

١ ـ نظام الشركة القابضة التي تقوم بشراء معظم الأسهم في الشركات الاعضاء ـ ولنقل ـ انها شركات سيارات على سبيل المثال ـ وبذلك يكون لها سلطة تحديد الاسعار في جميع شركات السيارات في عدة دول أو في دول العالم كله .

٢ ـ الاندماج : وهو اتحاد شركتين أو أكثر فتشتري احدى الشركات جميع أسهم الشركات الاخرى ، فلا يصبح في الوجود الا شركة واحدة تحتكر السلعة التي كانت تنتجها الشركات المندمجة ، وتقضي على المنافسة .

٣ ـ اتحاد الثمن : وفي هذا النوع من الاحتكار يتفق المنتجون فيما بينهم على تحديد الاثمان ، أو تحديد كمية الانتاج ، ليحصلوا على أعظم ربح ، وقد يكون هذا الاتفاق شفويا لكنه احتكار واحتكار غير مركز في هيئة واحدة .

« وهناك أنواع أخرى من الاحتكارات كشفت عنها لجنة التجارة الاتحادية في الولايات المتحدة الامريكية ، وعجزت كل الوسائل القانونية هناك عن التغلب عليها ، أو الحد من سلطانها واستغلالها وانحرافاتها . » .

ولا شك أن حرب التجويع التي تشنها بعض الدول الاستعمارية المنتجة للسلع الغذائية كمنع القمح عن مناطق المجاعة أو الذرة ، هو من سبيل الاحتكار الذي حرمه الاسلام .. انه احتكار يقطع الاواصر الانسانية ، ويحارب الرحمة ، ويزرع الاحقاد بين بني الانسان .

أين هذا من موقف المسلمين في مشارق الارض ومغاربها عام الرمادة ، يوم أن أصاب القحط الجزيرة العربية ، فانهمرت المؤن من مصر وافريقية والعراق وكل أرض علت فيها راية الحق لتنقذ أخوة في الانسانية ، حتى كانت قوافل عمرو ابن العاص بالنجدة أولها في المدينة المنورة ، وآخرها في الفسطاط على النيل .

أين هذا من شعار الاسلام الذي يرفعه للبشرية **(يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا)** الحجرات /١٣ .

انه أمر للبشرية بأن تتعارف وتتراحم ، وتدرك أن لا فضل لأحد عند الله خالقها الا بالتقوى .

ولبشاعة جريمة الاحتكار نرى ان الاجماع يكاد أن يكون تاما بين فقهاء المسلمين على حربه ومقاومته ، وأول مراحل هذه الحرب أن يؤمر المحتكر

بالبيع بسعر المثل ، فاذا لم يبع باع عليه القاضي .

كما يجمعون على استحقاق المحتكر لعقوبة التعزير ، وهي عقوبة كان يوقعها المحتسب ، ويقول عنها ابن القيم :

« يتغير التعزير بحسب اقتضاء المصلحة له زمانا أو مكانا أو حالا ، ويختلف تقدير العقوبة فيه حسب خطر الجريمة وتأصلها في نفس المجرم » .

« لذلك فقد تصل عقوبة التعزير الى الحبس أو الضرب أو العقوبة المالية على جرائم الاحتكار أو مخالفة التسعير » .

لكن هذا الشخص الذي يستحل اخفاء طعام الناس ، أو منع دواء عن مريض ، ألا يعد مفسدا في الارض بما يثيره من قلق في النفوس ، واضطراب في الاوضاع ، ومرارة في الصدور ؟ ألا ينطبق عليه قول الحق تبارك وتعالى : **(انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الارض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم)** المائدة/٣٣ .

ان مثل هذا الرجل حرب على الاسلام يحاد الله ورسوله بما يسعى فيه من زرع الآلام والاحقاد بين الناس .. بينما الاسلام يسعى الى السلام وبسط الرحمة والطمأنينة في النفوس .

ولو أن أهل التجارة والصناعة والزراعة اتجهوا في عملهم الى الله واحتسبوه في سبيل الله ، وآمنوا بأن الله ذو حق في المال ، بل هو الخالق الرازق مقسم الارزاق ، لما وجدوا سببا للخصومة والفرقة بسبب المال ، ولسعوا الى تحصيله وانمائه بهذه العقيدة ، لأن البسطة في المال والضيق فيه مرهونان بمشيئة الله . **(ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا)** الاسراء / ٣٠ .

وطالما اعتقدوا أيضا أنه لا بد أن يكون وضع الرزق في معايش الناس على هذا النحو من السعة والضيق لصالح المجتمع وأمنه .

(ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض ولكن ينزل بقدر ما يشاء انه بعباده خبير بصير) الشورى/٢٧ . طالما اعتقدوا هذا وذاك فلا مجال في سعيهم ونشاطهم للبغضاء والشحناء ولا للحسد والحقد ، والسبيل الى الانتفاع بنعمة الله في المال بعد الجهد ، واعداد النفس للسعي ، هو التوجه الى الله في اخلاص وفي عمل صالح :

(ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسألوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما) النساء / ٣٢ .

وفي ظل هذه العقيدة الداعية الى السلام ، والى ابتغاء وجه الله في كل سعي ، من الممكن أن تمضي المنافسة في عالم المال في اطار السلام ودعوة الاسلام .



للاستاذ / حسن الحفناوي

كنا قد ذكرنا ــ في مقال سابق ــ طرفا من الدلائل العقلية على صدق الرسالة المحمدية الشريفة ، وإن من يتأمل سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ليجد الصدق يطل من كل حوادثها .

ففي غزوة الخندق ــ مثلا ــ او الاحزاب ، كان الأمر بالنسبة للمسلمين محنة من أشد ما قابلوه من المحن ، ولشدة هذه الواقعة ، فانها كانت تمحيصا

للمؤمنين ، إذ ثبتت إيمان المؤمنين ، وكشفت نفاق المنافقين ، وكانت هذه الوقعة ، ثمرة خبث وحقد من اليهود ، فبعد ان أبعد بنو النضير عن المدينة ، ونزحوا إلى خيبر ، خرج زعماؤهم ، وعلى رأسهم حيي بن اخطب ، يقوده الحقد الاعمى ، ويسوقه الغل المرير ، خرج الى قريش يؤلبها ضد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويتحالف معها ، على استئصال شأفة الاسلام والمسلمين ، وقد صادف ذلك هوى من قريش بعد أن هاجت في نفوسهم مكامن ما أحدثته فيهم موقعة بدر ، حتى قال أبو سفيان لهم : « مرحبا وأهلا .. أحب الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد » . بل بلغ من غدر اليهود ، وسوء طويتهم ، أن قريشا قالت لهم : يا معشر يهود .. أنتم اهل الكتاب الأول والعلم .. أخبرونا عن خلفنا مع محمد .. أديننا خير أم دين محمد ؟ فنحن عمار البيت ، وننحر الكوم (أي النياق) ونسقى الحجيج ، ونعبد الهتنا ، فكذب اليهود على أنفسهم ، وعلى ربهم وعلى دينهم وعلى قريش ، فقالوا : « اللهم أنتم أولى بالحق منه ، إنكم تعظمون هذا البيت ، وتعبدون ما كان عليه آباؤكم » فنزل فيهم قوله تعالى : **(ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا . اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا)** النساء / ٥١ ، ٥٢ .

ثم لما ضمن اليهود قريشا خرجوا الى غطفان واغروهم بثمر خيبر سنة ان ناصروهم ، فوافقت غطفان ، كما راحت قريش تؤلب اتباعها ، كما البت يهود بني سليم ، فخرجت وأتباعها في أربعة آلاف أو يزيد ، منهم ثلاثمائة فارس ، وخرجت سليم بسبعمائة ، وخرجت بنو فزارة في ألف ، وخرجت أشجع في أربعمائة ، وكذلك بنو مرة ، كما خرجت غطفان حتى تكامل الجمع عشرة آلاف او يزيد ، أما المسلمون فكانوا نحو ثلاثة الاف ، وقد كرب المسلمون لذلك كربا شديدا ، فالأعداء أكثر عددا ، وأوثق عددا ، خاصة وأن الأعداء ينتوون محاصرة المدينة ، مما جعل النبي صلى الله عليه وسلم ــ بمشورة سلمان ــ يخندق حول المدينة ، وزاد الأمر كربا وشدة ، ما قام به يهود بني قريظة ، إذ نقضوا عهدهم مع المسلمين ، بعد ان ظنوا أن الدائرة دارت على المسلمين ، وقد بعث لهم النبي صلى الله عليه وسلم يذكرهم بعهدهم فازدادوا تنكرا ، ثم اخذوا يستعدون للحرب والقتال ، وزاد من ضيق المسلمين ظهور نفاق المنافقين ممن كانوا قد اظهروا الاسلام ، وأبطنوا غير ذلك . دام حصار الأعداء للمدينة عدة ليال ، حتى ضاق القوت بالمسلمين ، واشتد الكرب ، وعظم البلاء ، إلى حد يكاد ينسى ، الانسان نفسه ، وقد وصف الله تعالى شيئا من ذلك الكرب أدق وصف ، بقوله تعالى : **(إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلـزالا شديدا . وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا . واذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن**

فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا) الاحزاب / ١٠ـ ١٣ .

وفي خضم هذا البلاء ، وعنفوان ذاك الكرب ، والموت يطل على المسلمين من كل حدب وصوب ، لا يزداد النبي صلى الله عليه وسلم إلا تقربا بربه ، واعتصاما بنصرته ، وتشبثا برجائه ، اذ جعل يدعو ربه ويقول : « اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك ، اللهم إنك إن تشأ لا تعبد .. » وذلك قاطع في نظر كل ذي نظر ، في صدقه صلى الله عليه وسلم ، وصدق رسالته العظمى .

ومن وقائع الغزوة نفسها .. غزوة الأحزاب .. ما أوردته أمهات كتب السيرة ، من أن عمرو بن ود ، كان مقاتلا فاتكا في قريش وكان بطلها المغوار ، وكان قد اشترك في بدر ولكن اثبتته الجراح فلم يحضر أحد ، ووجد في غزوة الخندق فرصته ليستعيد مجده من جديد ، وليؤكد بطولته فنادى بالمبارزة ، ولم يكن يجرؤ على الخروج له احد ، إذ الخروج لمبارزته يعني الموت المؤكد الذي ليس منه بد ولا مناص ، ودعت الشجاعة ، ذلك الفارس الأبي ، علي بن أبي طالب ان يهم بالخروج له ، لولا ان الرسول صلى الله عليه وسلم منعه إشفاقا ، اذ قال له : اجلس ، انه عمرو ، فأخذ عمرو يتحدى المسلمين ويقول لهم : اين جنتكم التي يعدكم بها ربكم ، ألا يحب أحد أن يدخلها ، فهم علي ان يخرج لولا ان منعه النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي المرة الثالثة اصر علي ان يخرج فقال الرسول صلى الله عليه وسلم ، إنه عمرو ، قال : وإن كان عمرا يا رسول الله ، فلم يجد الرسول بدا من تركه يخرج له ، حرصا على كرامة المسلمين ، واستجابة لرغبة علي وان كان الموقف مخيفا ، فعلي شاب لم يصل في تمرسه ومرانه تلك المرتبة التي تؤهله الى مبارزة بطل فريد كعمرو ، هذا الحرج ، لم يزد الرسول الا قربا من ربه ، اذ تطلع الى الله تعالى وقال : « الهي .. اخذت مني عبيدة يوم بدر ، وحمزة يوم احد ، وهذا علي اخي وابن عمي فلا تذرني فردا وانت خير الوارثين » وعبيدة هو عبيدة بن الحارث ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم تبارز يوم بدر مع شيبة بن ربيعة فأصاب كل منهما الآخر واستشهد بعد ذلك متأثرا بجراحه ، وحمزة هو عم الرسول صلى الله عليه وسلم استشهد في أحد ، المهم أن الحرج كلما ازداد ، والضيق كلما الم ، والخطر كلما أحدق ، فلا يزيد ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم الا تقربا لربه ، وتلك آية قاطعة في صدقه صلى الله عليه وسلم .

هذا ولو تأملنا حادثة اخرى وقعت في احدى السرايا لوجدنا من صدقه صلى الله عليه وسلم ما يستقر في قلب أي منصف ، ففي سرية تدعى سرية زيد بن حارثة ، الى العبيص ، وقع المغيرة بن معاوية اسيرا ، فسلمه الرسول صلى الله عليه وسلم موثقا الى عائشة رضي الله عنها ــ في رواية قوية ــ وذلك لمراقبته وقال لها : احتفظي عليك بهذا الأسير حتى اعود وخرج لشأن آخر ، ولكن عائشة تلهت عنه مع امرأة بالحديث ، فاستطاع الهرب ، فلما عاد الرسول صلى الله عليه وسلم . ولم يجد الأسير ، وسأل عائشة عنه ، فقالت لقد غفلت عنه ، وكان ها

هنا ، فغضب الرسول صلى الله عليه وسلم وقال لها : قطع الله يدك ، وخرج فصاح بالناس ، فجدوا في أثر الأسير حتى استطاعوا ضبطه ، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم على عائشة ، فوجدها في حالة من الذعر ، والذهول ، تنظر إلى يدها وتقلبها ، فعجب الرسول صلى الله عليه وسلم ـ وقال لها : ما لك يا عائشة ؟ قالت : لقد دعوت علي بدعوتك ، فأنظر كيف تقطع يدي .. فخشي الرسول نفسه أن تستجاب الدعوة ، فتوجه الى الله تعالى قائلا : .. اللهم اني بشر أغضب وآسف كما يغضب البشر ، فأيما مؤمن او مؤمنة دعوت عليه بدعوة ، فاجعلها له رحمة » .. فتأمل كيف انه خاف على زوجه من دعوته وابتهل إلى ربه أن يجعلها بردا وسلاما عليها ، معتذرا ببشريته التي قد تجعله يغضب احيانا ، وإن كان غضبه دائما لله ولحرمات الله ، بل وتأمل كيف ان عائشة وهي التي تعاشر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وتلم بكل أحواله وخصائصه ، ايقنت أن الدعوة سوف تجاب ، وأخذت تترقب احتمال تحققها ، أليس ذلك كله دليلا واضحا على صدقه صلى الله عليه وسلم .

وثمة دلائل من الحديبية ..

منها : ما رآه النبي صلى الله عليه وسلم في نومه ، إذ رأى أنه دخل البيت الحرام معتمرا ، محلقا رأسه معرفا مع المعرفين (أي واقفا بعرفه) ومن المعروف أن رؤى الأنبياء انما هي من قبيل الوحي ، ولذلك فان أبا الأنبياء ابراهيم عليه السلام عندما رأى في نومه أنه يذبح ولده أدرك أن ذلك وحي من السماء ، لا بد له ان يصدع به ، لذا جد في تنفيذه لا تثنيه عن ذلك عاطفة ، ولا ضعف ، ولا تعلة . وقال لولده : **(يا بني اني ارى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى)** الصافات / ١٠٢ ، ولما كان ولده يدرك هذا المعنى ، ويعلم ان رؤيا الرسول أمر من السماء فانه قال : **يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين** » الصافات /١٠٢

عندما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه دخل مكة معتمرا ، أدرك أن ذلك وحي من السماء فاستنفر الصحابة إلى العمرة ، وطلب بعضهم ان يتسلحوا حرصا وحذرا ، ولكنه صلى الله عليه وسلم ، لعمق ثقته بربه وبما امره به ، رفض ذلك ، وقال : انما خرجنا معتمرين ولسنا محاربين ، وذلك على الرغم من العداء المستحكم آنذاك بين المسلمين وبين قريش .. فتأمل .. كيف انه صلى الله عليه وسلم يثق بكل ما يأمره به ربه ، ولو كان الأمر رؤيا منامية ، مما يقع في صدق صلته بربه تعالى .

ومنها : ان قريشا تصدت للمسلمين ومنعتهم من الاعتمار ، وانتهى الأمر بعقد اتفاق بين الطرفين هو صلح الحديبية ، وعندما جعلوا يحررون الصلح .. أبدت قريش كثيرا من العنت ، اذ رفضت ان يعنون الصلح بعبارة : « بسم الله ، الرحمن الرحيم » وقال ممثلهم أنا لا أعرف الرحمن ، وإنما باسمك اللهم ، كما رفضوا عبارة « بين محمد رسول الله » وقال قائلهم : « لو عرفت انك رسول الله ما

خالفتك ، وإنما أنت محمد بن عبدالله فشق الامر كثيرا على المسلمين ، حتى وثب بعضهم مشهرين سيوفهم ذودا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكن الرسول منعهم ، وقبل ما طلبته قريش ، كما تعنتت قريش في شروطها حتى ضج المسلمون لذلك ضجة كبرى ، ومع ذلك قبل الرسول صلى الله عليه وسلم .. ضج المسلمون حتى قال عمر رضي الله عنه للرسول عليه الصلاة والسلام : « ألسنا بالمسلمين » قال : « بلى » قال : « فعلام نعطي الدنية في ديننا » فلنسمع جواب الرسول ، صلى الله عليه وسلم – إذ قال : « انا عبدالله ورسوله .. ولن اخالف امره .. ولن يضيعني » . وليس في هذا الأمر ضعف كما ذهب إلى ذلك بعض ضعاف البصائر من المستشرقين ، وإنما تفسيره الواضح ، انه رأى في نومه أنه يعتمر ، ولم ير أنه يحارب ، فهو يريد تنفيذ الرؤيا كما رآها باعتبارها وحيا سماويا ، وذلك قاطع في صدق صلته بربه ، بل ونفى شبهة الضعف التي ثارت في نفوس أولئك الذين لا يتفهمون الأمور ، بنفيها ، آن النبي صلى الله عليه وسلم ، في ذات الموقف وقبل عقد الصلح ، كان قد بعث عثمان بن عفان ألى قريش للتفاوض ثم سرت إشاعة أن قريشا قتلوه ، فبايع النبي أصحابه على الموت في بيعة شهيرة في الاسلام امتدح الله الصحابة فيها ، في القرآن الكريم ، اذا لا ضعف ولا شبهة ، وانما هو صدق وإيمان ، ولذلك عندما ثار عمر .. كان قول الرسول له موضحا لذلك المعنى إذ قال : « أنا عبدالله ورسوله ، ولن أخالف امره ، ولن يضيعني » .

وثمة حادث آخر .. فقد روى في امهات كتب السيرة مثل « أمتاع الأسماع وغيره » أن الرسول صلى الله عليه وسلم بلغه ان جمعا من بني ثعلبة بن سعد من غطفان وبني محارب بن خصفة بن قيس قد تجمعوا يريدون الاغارة على المسلمين وتزعمهم دعثور بن الحارث ، فابتدرهم الرسول صلى الله عليه وسلم إذ خرج إليهم في نحو أربعمائة وخمسين مقاتلا ، وعسكر بجنده لدى احد الجبال ، فأمطرت السماء مطرا ثقيلا ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد ذهب منفردا لقضاء حاجته ، فأصابه المطر فبل ثوبه فنزعه ونشره على شجرة ، ليجف ، واضطجع تحتها ، وكان دعثور يراقبه من طرف خفي ، فانتهز هذه الفرصة وباغت النبي صلى الله عليه وسلم مشهرا سيفه ، وقال له : « يا محمد .. من يمنعك مني اليوم ؟ » قال : الله .. فسقط السيف من يده ، وانتابته رعدة شديدة ، فأخذ النبي السيف ، ثم قام فقال له : من يمنعك مني الآن .. فقال : لا احد ، فخلى النبي سبيله ، فأسلم وأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم سيفه .

فانظر : انه في معمعان تلك المحنة ، التي يعاين الانسان فيها الموت بعينه ، فهو أعزل وذاك عدو يكاد يملكه ، وهو مشهر سيفه ، فلا يزيده ذلك الا اعتصاما بالله ، ولجوءا اليه ، وهكذا كان كلما ضاق به الأمر ، وأحدقت به المحن ، وأحاطه الخطر ، لا يزداد الا تقربا من ربه وتسليما اليه ..

افلا يدل ذلك لكل ذي بصيرة دلالة واضحة قاطعة ، على ايمان صادق لا شبهة فيه ، ولا تصنع .



للمستشــــار : محمــــد عزت الطهطاوي

لما قضى الله سبحانه وتعالى بذهاب المسيح عليه السلام من هذا العالم الدنيوي سواء بالوفاة بعد قبض روحه شأنه شأن باقي البشر او برفعه الى السماء بعد ان نجاه الله من اعدائه – اليهود الذين تآمروا على قتله وصلبه (كما رفع إدريس عليه السلام الى السمـــاء من قبـل) قام تلاميـذه وحواريوه بنشر دعوته في التوحيـد والسلام وحب الخير الى الناس .

إلا أن الوثنية وقد كانت غالبة على اهل الارض في ذلك الزمان دفعـت المتأثريـن بهـا والذيـن اعتنقـوا النصرانية الى ان يستمدوا مما رسخ في اذهانهم واستقر في خيالهم من امور الشرك ومن الطقوس الوثنيـة السائدة ما طمسوا به الحق السماوي الذي جاء به المسيح من عقيدة نقية في التوحيد المجرد لله وحده وانه انسان رسول تكلم بالحق طبقا لما ذكره عنه انجيل يوحنا وهو يخاطب اليهـود

المتآمرين على قتله في قوله : (ولكنكم الآن تطلبون ان تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله) .. (انظر نص انجيل يوحنا اصحاح ٨ عدد ٤٠) .

كيف كانت النصرانية في بداية أمرها ؟

كانت النصرانية في بداية امرها ديانة سماوية نزلت على المسيح عليه السلام ، لكنها كانت عقيدة مكملة لليهودية ومصححة لما شابها من انحرافات مع توالي الحقب والازمان .. ولذا جعلت شريعتها الأساسية توراة اليهود مع تعديلات قليلة ورد ذكرها في انجيل المسيح .. لذا كان المفهوم الطبيعي للنصرانية ان تحكم بشريعة التوراة الأصلية ، مع مراعاة التعديلات الواردة في الانجيل .

غير ان الذي حدث بالفعل لم يكن كذلك ، فلقد انتقلت النصرانية من فلسطين الى اوروبا ومن المجتمع اليهودي الى المجتمع الروماني .. وعلى الرغم من النفوذ الضخم الذي مارسته الكنيسة في اوروبا في العصور الوسطى ، لم تكن الشريعة النصرانية مطبقة في غير الاحوال الشخصية .. وما عدا ذلك من امور كان يحكمه القانون الروماني بجاهليته ووثنياته .

وللتدليل على ما سبق شرحه نذكر شهادة بعض الباحثين والعلماء والأساقفة المعاصرين طبقا للآتي :

اولا : **ماذا يقول الكاتب الامريكي درابير :**

يقول في كتابه : (النزاع بين الدين والعلم) لقد دخلت الوثنية والشرك في النصرانية عن طريق من تظاهروا باعتناقها رياء وكذبا ، ليتقلدوا المناصب العالية في الدولة الرومانية دون ان يؤمنوا بها .. وقد فعل ذلك قبلهم الامبراطور (قسطنطين) الذي اعتنق النصرانية ولم يتخل عما اعتاد من ظلم وفجور .. لقد اعتنق النصرانية مرغما بعد ان رفعته الى العرش آملة ان يتقيد بأوامرها ، ويساعد على انتشارها غير انها لم تستطع ان تقضي على جرثومة الوثنية الرومانية فيه .. وكانت نتيجة ذلك الصراع ان امتزجت مبادىء النصرانية وقيمها وعقائدها ببقايا تلك الوثنية ونشأ عن ذلك الامتزاج دين جديد ، هو خليط من النصرانية الأصلية والوثنيات اليونانية والرومانية .

ثانيا : **ماذا يقول الاستاذ مجدي مرجان الباحث القبطي المصري ؟**

يقول في كتابه (الله واحد أم ثالوث) ..

١ ــ ان المتتبع لتاريخ الأديان الوثنية يجد ان الثالوث المقدس يعتبر اصلا من اصولها ومعتقدا من اهم معتقداتها .. وقد قال بهذا الثالوث قدماء المصريين وقال به الهنود وقال به غيرهم من الأمم الوثنية .

٢ ــ ان الخلاف الأساسي بين النصرانية والاسلام ، بل بين النصرانية وكافة الرسالات السماوية ، هو في هذه الصورة المشوهة عن الله التي الصقتها الوثنية بالنصرانية بقصد هزيمتها والقضاء

عليها .

٣ ـ ولقد قرر الاستاذ مالفير وجود تشابه كبير بين الثالوث الهندي والثالوث النصراني ، حيث ذكر في الكتب الهندية القديمة التي ترجمت الى الانجليزية شارحة وثنية الهنود القدماء اوجه التشابه الكبير بين القانون الايماني الهندي وبين القانون الايماني في عقيدة النصرانية .

٤ ـ إنه بعد ذهاب السيد المسيح ، اضطر تلاميذه وحواريوه من اجل احياء دعوته الى نقلها من ارض اليهود الى الشعوب الوثنية المحيطة بها ، كالرومان واليونانيين وغيرهم ورغبة من هؤلاء المبشرين في نشر الدعوة النصرانية بين تلك الشعوب الوثنية وخوفا من ان تجد بين هذه الشعوب نفس المصير الذي وجدته بين اليهود الذين ضاقوا بها ورفضوها اضطر المبشرون النصارى الى تطعيم النصرانية ببعض الطقوس والشعائر والعادات التي وجدوها في تلك الشعوب الوثنية .. ويبدو ان هؤلاء المبشرين كانوا حسني النية فقد رأوا ان هذه هي الطريقة الوحيدة لتقريب الديانة النصرانية الى اذهان الوثنيين ، وظنوا انه مع مرور الوقت فان النصرانية ستتطهر من تلك العادات والطقوس وستعود الى صفائها .

٥ ـ ولقد تحول فعلا الى النصرانية كثير من الوثنيين ولكنهم نقلوا اليها ايضا مزيدا من العادات والشعارات الوثنية .. واضطر دعاة النصرانية وقتئذ الى السكوت وغض الطرف والمجاملة ، وذلك للابقاء على هؤلاء الوثنيين وعدم تنفيرهم من النصرانية ، علهم يستقيمون بعد ذلك على نهج العقيدة الصحيح .

٦ ـ لكن الواقع الأليم أن الذي حدث فعلا ، هو غير ما توقعه اولئك المبشرون النصارى البسطاء ، فلقد تغلبت تلك الطقوس والشعائر الوثنية وطمست جوهر الرسالة السماوية العظيمة التي اتى بها المسيح عليه السلام .

وهكذا وبمرور الوقت وتعاقب الأجيال اخذت الأحكام الالهية تتغير لتحل محلها أحكام أرضية ، وأخذت الحقائق تتقهقر لتفسح الطريق للأوهام ، وأخذت النصرانية تتباعد شيئا فشيئا عن الدين السماوي العظيم الذي اتى به المسيح عليه السلام من لدن الرحمن الرحيم ، وكان للموقف المتهاون الذي وقفته النصرانية ومبشروها ازاء الوثنية وعاداتها ، هو السبب في تغلب الوثنية على النصرانية وتطويعها لمشيئتها وطقوسها ، ذلك ان الوثنية قريبة لغرائز البشر الحسية وشهواتهم البهيمية .

ثالثا : **القس بولس إلياس اليسوعي وهو من رجال الدين النصارى :**

يقول ذلك القس في كتابه يسوع المسيح : (لقحت الكنيسة الفكر الوثني بالفكر المسيحي فحمل مرسلوها الى اليونان حكمة التوراة وآداب الانجيل .. وأخذوا منهم

وضوح التعبير ودقة التفسير فنتج عن هذا التلاقح تراث جديد نقلوه الى روما – ولقد احترمت الكنيسة تقاليد الشعوب ، وحافظت على تنوع الطقوس عند مختلف الطوائف ، فما فرضت صيغة موحدة للصلاة .

رابعا : **ويقرر الدكتور احمد شلبي استاذ التاريخ الاسلامي والحضارة الاسلامية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة في كتابه مقارنة الأديان عن المسيحية :**

١ – ان النصرانية مرت بعهود ضعف واضطهاد ، وقد امتد هذا الاضطهاد الى انجيل المسيح فالتهمه وقضى عليه .. وهكذا فقدت النصرانية كثيرا من رجالها في قمتهم المسيح نفسه .. وفقدت أكثر مراجعها الأصلية وهو انجيل المسيح ، فأصبح مصدر النصرانية الحقيقي واهنا او بالحرى معدوما .

٢ – ولقد وقفت حضارات اخرى اقدم جدا من النصرانية بين بين – بين التعدد الذي قال به البابليون وبين التوحيد الذي قال به المصريون في عهد أخناتون وكذا قال به الاسرائيليون ، فظهرت بدعة (التعدد في وحدة والوحدة في تعدد) وقد قال بهذا الهنود قبل المسيح بأكثر من الف عام فقد كان عندهم براهما – وفشنو وسيفا – يعدونها ثلاثة جوانب لاله واحد وكانوا يعدون براهما واحدا له ثلاثة اقانيم .

خامسا : **ويقول ويلز وهو احد علماء مقارنة الأديان في بلاد الغرب :**

إنه بعد الفتح الاغريقي لمصر اصبحت مدرسة الاسكندرية الحديثة مركزا لحياة مصر الدينية ، بل وصارت في الحق مركزا للحياة الدينية للعالم الهلليني كله ، فأقام بطليموس الأول معبدا عظيما هو معبد السرابيوم ، كان يعبد فيه نوعا من ثالوث الأرباب مكونا من :

١ – سيرابيس
٢ – وايزيس
٣ – وحوريس

ولم يكن الناس يعدونها اربابا منفصلة بل هيئات ثلاث لاله واحد .

ما هو وجه الخلاف بين نشأة الاسلام ونشأة النصرانية :

إن وجه الخلاف بين نشأة الاسلام ونشأة النصرانية انه بينما اضطرت النصرانية الى النمو في حضانة الوثنيات التي سادت المجتمع الروماني والمجتمع اليوناني قضى الاسلام على الوثنية منذ البداية قضاء مبرما ، ونشر تعاليمه التي تقوم على الوحدانية للذات الالهية دون لبس او غموض .

وتحدثنا كتب السيرة النبوية انه لما عرض عبدة الأوثان على النبي صلى الله عليه وسلم ، ان يعبدوا الله فترة وان يعبد آلهتهم فترة اخرى ، رفض النبي صلى الله عليه وسلم ذلك العرض بشدة ونزل الوحي الالهي بآيات بينات قضت على تلك الفكرة في مهدها وذلك في قوله تعالى : **(قل يا ايها الكافرون . لا اعبد ما تعبدون . ولا انتم عابدون ما اعبد . ولا انا عابد ما عبدتم . ولا انتم عابدون ما اعبد . لكم دينكم ولي دين)** سورة

الكافرون ـ هكذا كان موقف الاسلام منذ انبلاج نوره في مكة المكرمة .

اما النصرانية فان الامبراطور قسطنطين الروماني ، كان يعمل جاهدا بغية توطيد ملكه للتأليف بين النصرانية والوثنية التي كانت سائدة في المجتمع الروماني ، وظن دعاة النصرانية وقتئذ ان قبولهم للأوضاع الوثنية انما هو قبول مرحلي لا محيد عنه وان النصرانية ستستطيع ان تنجو آخر الأمر من رجس الوثنية ، ولكن النتيجة ظهرت على عكس ما كانوا يتوقعون فلقد تغلبت الوثنية وقضت في النهاية على عقيدة التوحيد ـ واقرت عقيدة التثليث والتي ترتكز على ان الاله عبارة عن ثلاثة اقانيم هي « الأب » وهو الاصل ـ و « الابن » وهو الكلمة تجسد في المسيح ـ و « روح القدس » الذي التقى بالعذراء مريم قبل ولادة المسيح .

ما هو موقف الاسلام من عقيدة النصرانية في الثالوث :

لما جاء الاسلام هاديا للبشرية كانت دعوته في الألوهية دعوة الى الوحدانية والى تنزيه الاله الواحد من لوثة الشرك والتعدد ، وانه متصف بجميع صفات الكمال وان ذاته منزهة عن التثليث الذي تسرب من الوثنية الى النصرانية ، لذا كان موقف الاسلام موقف المصحح للنصارى في عقيدتهم في الذات الالهية ومناديا لهم بالعودة الى جوهر التوحيد الذي هو اصل الديانات السماوية ولا جدال في ان التوحيد هو اشرف العقائد الالهية ، وأجدرها بالانسان في ارفع حالاته العقلية والخلقية .

القرآن الكريم يقضي بمحكم آياته على فكرة الثالوث ويقرر أن الحق الذي لا جدال فيه هو أن الله إله واحد .

١) قال تعالى : **(يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد)** النساء/١٧١ .

فلقد نادى الله سبحانه النصارى بقوله تعالى : **(يا أهل الكتاب)** وفي هذا توبيخ لهم ان يتدبروا كتابهم الذي نزل على رسولهم المسيح عليه السلام ، ويتأملوا ما فيه وهو بلا ريب ان وجد ليس فيه شيء مما يدعون ويفترون كذبا لا اساس له ولا دليل يعتمد عليه فيما زعموه بان : **(المسيح ابن الله)** لأن هذا القول يناقض الدليل الواضح والحق الثابت ، اذ الاله لا يلد ولا يولد ، فان ذلك أمارة الحدوث وعلامة الاحتياج ، وان المسيح لا يعدو كونه رسولا من الله ، وقصر نص الآية على الرسالة للمسيح ، فيه زجر شديد لهؤلاء الذين يقولون على الله غير الحق ، وفي ذكر الآية لاسمه وفي نسبته لأمه اشارة الى انه انسان ككل الناس ولدته انثى ، وأنه وجد بسبب كلمة الله وأمره (كن) ، مثله كمثل آدم عليه السلام خلقه من تراب ، ثم قال له كن فيكون من غير سبب مادي من وجود أب له ،

كما جرت به سنة الله في توالد بني آدم ، وانه تكون في بطن امه ونشأ فيها بنفخ الله تعالى الروح فيه ، لذلك وصف بانه روح منه اي من الله تشريفا وتفضيلا ، وليست « من » هذه تبعيضية بل كانت تشريفا وتعظيما له عليه السلام ، واذا كان هذا شأن المسيح ليس الها ولا ابنا لله ، اقتضى الأمر تكليف النصارى الايمان بالله وحده ربا لا شريك له في العبادة ، وليس معه ثان ولا ثالث وكذا تكليفهم بالايمان بجميع الرسل وفي جملتهم المسيح عليه السلام ومحمد عليه الصلاة والسلام .

والتعبير بقوله : **(ولا تقولوا ثلاثة)** لبيان ان مجرد النطق بذلك منكر وقبيح فضلا عن ان يكون اعتقادا وايمانا وفيه اشارة الى ان ما ذهب اليه النصارى لا ظل له من الحقيقة .

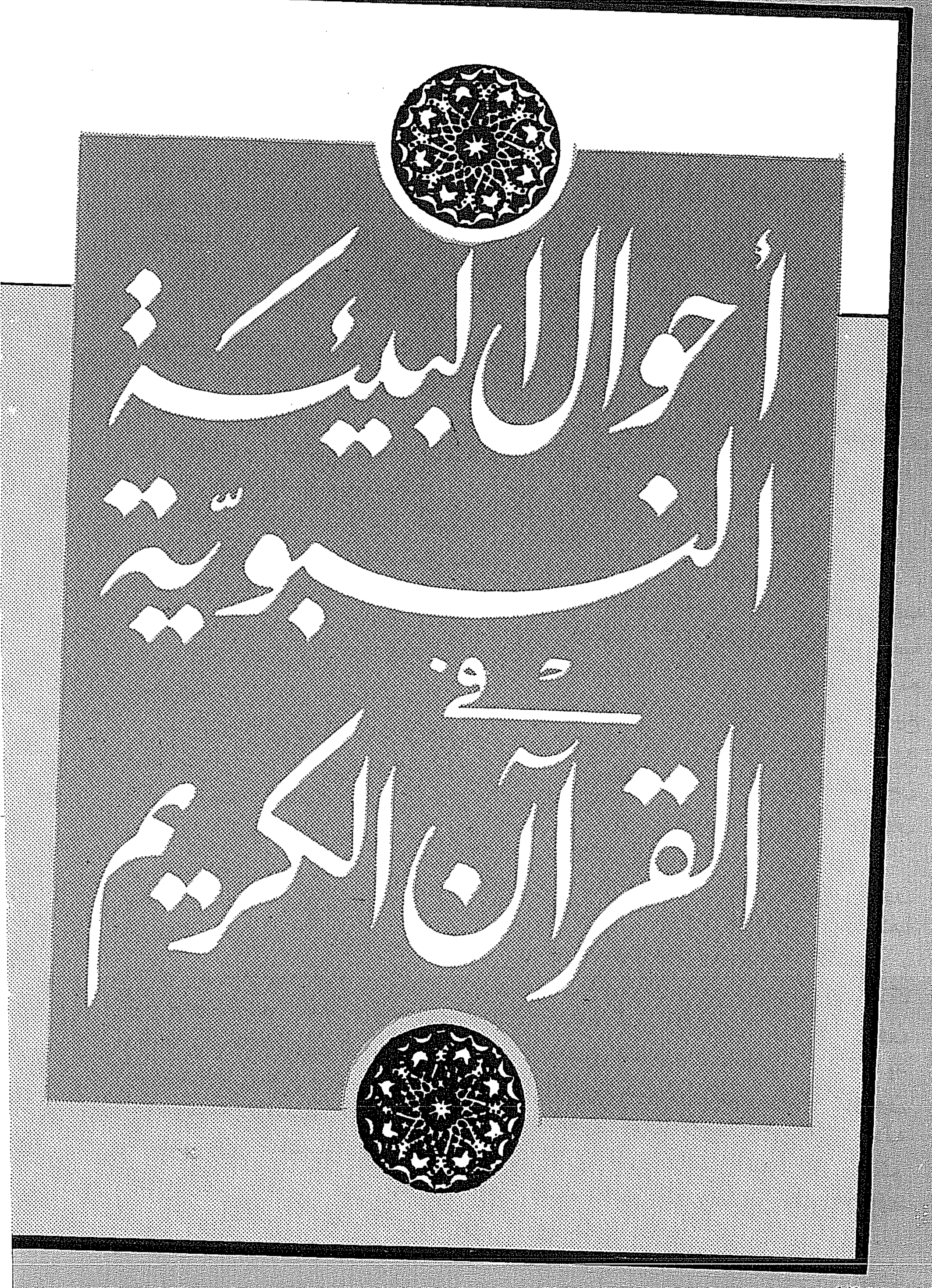
ثم يبذل القرآن النصيحة لهم في قوله تعالى : **(انتهوا خيرا لكم)** فلقد امرهم بالانتهاء من هذا القول وهو قول التثليث لأنه شرك محض وان في خروجهم منه خيرا لهم ، لأنهم يخرجون من العقيدة الناشئة عن الضلال والأوهام ، بزعمهم ان الله مركب من اقانيم ثلاثة ، لأن العقل كما يحيل تعدد الآلهة ، يحيل كذلك تركبها واتحادها وان في رجوعهم الى التوحيد هو رجوع منهم الى العقيدة الصحيحة المبنية على الحجة والبرهان فيفوزون من الله بالرضوان .

٢) وقال تعالى : **(لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد)** المائدة/٧٣ في هذه الآية قضى الله بالكفر الصريح على القائلين بالتثليث لأنه كما ذكرنا آنفا انه تسرب الى النصرانية من العقائد الوثنية .

وخلاصة القول :

إن التثليث تقرر رسميا بعد المسيح عليه السلام بأكثر من ثلاثة قرون وربع القرن ، وانه دخيل على النصرانية الحقة الموحدة ، وقد اعترف كبار علماء اللاهوت النصارى في قاموس الكتاب المقدس ان عقيدة التثليث (لم ترد في الكتاب المقدس) ويظن ان اول من صاغها واخترعها هو ترتليان في القرن الثاني للميلاد ، وقد خالفه كثيرون ولكن مجمع نيقيه المسكوني اقر التثليث عقيدة رسمية للنصرانية سنة ٣٢٥ ميلادية ، ثم استقر التثليث بعد ذلك عند جميع الكنائس النصرانية على يد اوغسطنيوس في القرن الخامس الميلادي) انتهى ما ورد في قاموس الكتاب المقدس .

والحق أنه لا يمكن عقلا أن يكون الاله إلا واحدا ، اما تعدد الآلهة كما في التثليث فهو وصم لها بالقصور ، لأن قدرة كل واحد منهم تكون حينئذ مقيدة بقدرة الآخرين ، والاله لا يكون محدود القدرة والسلطان ، لأن تحديد القدرة وصم له بالعجز والاله لا يكون عاجزا ، واذا لا يمكن ان يكون الاله إلا إلها واحدا قال تعالى في محكم كتابه الكريم **(وما من إله إلا إله واحد)** المائدة/٧٣ .


أحوال البيئة النبويّة في القرآن الكريم

للاستاذ محمد عزة دروزة

من مفاتيح فهم القرآن فهما سليما ملاحظة ما ورد فيه من فصول ، فيها ترديد لما كان من واقع اجتماعي ، ومعاشي ، وفكري ، وعقلي ، وديني ، وعقائدي ، في بيئة النبي صلى الله عليه وسلم التي نزل القرآن للمرة الاولى فيها، ومن فصول عاطفة على ذلك فيها ، تنديد أو تثريب ،أو إفحام أو حوار ، أو حجة أو مقارنة ، أوتنبيه او إثبات أو نفي .. الخ ، حيث يكون ملاحظة ذلك عاصمة من الوقوع في إشكالات وحيرة وتساؤل في صدد آيات وفصول قرآنية كثيرة ، حيث يجد المدقق في القرآن الكريم الصلة وثيقة بين ما كانت عليه بيئة النبي صلى الله عليه وسلم وعصره ، من تقاليد وعادات وعقائد وأفكار ومعارف ، وبين محتويات القرآن الكريم .
ونستدرك فنقول : إننا لا نعني أن القرآن قد احتوى جميع صور البيئة ، وأن ما احتواه منها قد جاء مبتدئا لها ، فهناك صور أخرى من دون ريب للبيئة لم ترد في القرآن كما أن ما جاء فيه منها قد جاء في الحقيقة عرضا ، وبسبيل الدعوة أو الموعظة أو التذكير أو التشريع أو التنبيه أو الأمر أو النهي أو التوضيح أو الاجابة على سؤال أو مشكل مما اقتضته الحكمة الربانية ليكون مصدر إلهام وإيحاء وتوجيه ، ومرجع تشريع وتلقين في جميع العصور ، وليس عائدا أو محصورا بأهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم وعصره ، كما يفيد الأسلوب الذي جاءت به الآيات والفصول ، والذي صار بذلك فريدا معجزا ، ومرشحا للقرآن وللشريعة القرآنية والرسالة الاسلامية للخلود والأبدية .
وهذه الصلة واضحة :
اولا : من جهة أن الدعوة الاسلامية والوحي القرآني إنما اقتضتهما حكمة الله بسبب ما كان عليه الناس ــ وأهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم من جملتهم بل في مقدمتهم ، لأنهم المخاطبون الأولون ــ من خلاف في فهم وإدراك وجوب وجود الله تعالى وكمال صفاته وتنزهه واستغنائه عن الشريك والولد والولي والمساعد . ومطلق تصرفه في كونه ، واستحقاقه وحده للعبودية والخضوع والاتجاه ، ووجوب

نبذ ما سواه ، ومن انحراف عن طريق الحق والخير والعدل والفضيلة ، ومن اختلاف عظيم في المذاهب والعقائد والطقوس ، سواء في ذلك كل العرب وغيرهم . والكتابيون والأميون والمشركون ، ثم بسبب أن ذلك ناشيء عن ما كان من تقاليد وأفكار ومعارف وأهواء وتأويلات ومفاهيم عند الناس وأهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم في المقدمة اقتضت حكمة الله نسخها أو تعديلها .

ثانيا ــ مما احتواه القرآن من فصول الجدل والتنديد والتقريع في صدد هذه التقاليد والعادات والأفكار والمعارف والأهواء والتأويلات والمفاهيم ، فيها اشارات كثيرة إلى كثير من صورها المتنوعة . وفيها ربط بينها وبين مواقف أهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم من الدعوة الاسلامية . يضاف إلى هذا المظهر القرآني العام نصوص قرآنية خاصة في هذا المعنى وردت في مواضع عديدة وبأساليب متنوعة اذا تمعن القارىء فيها ظهرت له هذه الصلة ظهورا جليا ، ونزيد الأمر ايضاحا بالأمثلة التالية :

١) في القرآن الكريم آيات كثيرة جدا في مختلف أحوال الملائكة ، وهذه الآيات مما يدخل في عداد المتشابهات ، من حيث أن بعضها يحتمل وجوها عدة من التأويل ومن حيث أن تأويل بعضها لا يعلمه إلا الله تعالى . ومن حيث أن الواجب المنطوي في هذه الآيات يقضي بالوقوف منها عندما وقف القرآن عنده ، وقرره بدون تزيد ، مع استشفاف حكمة ورودها .

وبسبيل ذلك نقول : ان المفهوم مما تريده الآيات الكثيرة من واقع عقائدي وديني هو أن أهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يعتقدون بوجود الملائكة ، وانهم بنات الله ، ويسمونهم تسمية الأنثى ، وأنهم ذوو حظوة لدى الله عز وجل ينفذون أوامر الله ويؤيدون أنبياءه . وكانوا تأسيسا على ذلك يتحدون النبي الذي كان يقول : إن الله يوحي إليه وينزل الملائكة عليه باظهارهم جهارا عيانا لتأييده ، وكانوا إلى اعتقادهم بأن الله خالقهم ورازقهم ورب السموات والأرض وما بينهما على ما تلهمه آيات قرآنية عديدة يعبدون الملائكة أيضا . أو بتعبير أدق يشركونهم في العبادة مع الله تعالى بقصد الشفاعة والحظوة والقربى إليه وضمان قضاء مطالبهم منه على ما تلهمه آيات عديدة قرآنية أيضا ، ويتفرع من هذا ما في القرآن من نفي متكرر لاتخاذ الله ولدا في معرض الرد على المشركين والتنديد بهم ، والقصد من ذلك هو عقيدتهم بكون الملائكة بنات الله عز وجل (وكلمة ولد تطلق على الصبي والبنت) .

فبهذا كله يمكن ان يفهم ويفسر بيسر حكمة ما احتواه القرآن الكريم من الآيات الكثيرة جدا في الملائكة . ولقد احتوى كثير منها ــ وهذا من مظاهر تلك الحكمة او مقاصدها تقريرات بكون الملائكة عبيدا لله ، وكونهم لا يستكبرون عن عبادته ويخافونه ويفعلون ما يأمرهم به ، ولا يعصون له أمرا ، ولا يجرأون على دعوى الألوهية ، وكونهم هم أنفسهم يبتغون إليه الوسيلة والتقرب بالطاعة والخضوع والعبادة والتقديس الدائم ، حتى إنه يأمرهم بالسجود لآدم فيسجدون له امتثالا

لأمره ، وبكونهم لا يشفعون الا لمن أذن به ورضي عنه . على ما هو مثبوت في آيات كثيرة . وفي ذلك الحجة القرآنية البالغة التي هي من مقاصد تلك الحكمة بأن الله تعالى هو الأوحد المستحق للعبادة ، والتقرب والوسيلة إليه بالطاعة وصالح العمل والتقديس والتسبيح . وإن من السخف والضلال إشراك عبيده وخدمه ومنفذي أوامره وطالبي الحظوة إليه معه ، لأنهم لا يملكون ذلك لأنفسهم ، ومن باب أولى لا يملكونه لغيرهم ، على ما تلهمه آيات كثيرة .

ولقد كانت فكرة الاستشفاع بالملائكة والتقرب بهم إلى الله تعالى لضمان قضاء مصالحهم ومطالبهم ورغائبهم ودفع الأذى وجلب النفع راسخة في أهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم ، فانعكس ذلك في أيات كثيرة فيها نفي لنفع الشفاعة بدون رضاء الله وإذنه . ولقد حكت آيات عديدة في سياق حكاياتها لمشاهد الآخرة تنصل الملائكة من ذلك ، وإعلانهم بأن الله هو وحده وليهم تقوية لتلك الحجة . ولقد كان المشركون يحاجون النبي صلى الله عليه وسلم في إشراكهم الملائكة في العبادة ، ويقولون : إن الله لو لم يشأ ذلك لما فعلناه على ما ذكرته بعض الآيات ، فأوحى الله بأيات فيها رد مفحم عليهم .

وكل ما تقدم يعكس صلة البيئة النبوية بالتنزيل القرآني ، ويساعد على فهم القرآن الكريم ولقد كان كل هذا ورسوخه في أهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم من أسباب استمرارهم في شركهم ، واستمرار المعركة القرآنية ضد الشرك والمشركين ، وبقاء معظم أهل مكة ومن ورائهم معظم العرب مشركين طيلة العهد المكي ، وشطرا كبيرا من العهد المدني ، ويعكس هذا كذلك صلة البيئة النبوية بالتنزيل القرآني ويساعد على فهم القرآن الكريم أيضا .

٢ ــ وشأن الجن مثل شأن الملائكة في امر خفائها مع شيء من الاختلاف بسبب طبيعة الملائكة ، من حيث أن هؤلاء خلق خير ، وأولئك خلق شر . وفي القرآن آيات كثيرة في مختلف أحوال الجن ، وهي مثل آيات الملائكة تدخل في عداد المتشابهات من حيث أن بعضها يحتمل وجوها عديدة للتأويل وأن تأويل بعضها لا يعلمه إلا الله تعالى ، ومن حيث أن الواجب المنطوي في هذه الآيات يقضي بالوقوف عند ما وقف القرآن بدون تزيد مع استشفاف حكمة ورودها ، وبسبيل ذلك نقول إن المفهوم مما ردته آيات كثيرة من واقع عقائدي وديني هو أن اهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يعتقدون بوجود الجن ، وأنهم خلق قوي مخيف ، وأنهم يستطيعون أن يتسلطوا عليهم ، ويؤذوهم ويخطفوهم وأن يختلطوا في أجسادهم فيسببون لهم الصرعة والتخبط من مسهم . وانهم يوسوسون لهم بسيئات الأعمال والأخلاق ويزينونها لهم ، وأن أهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم بسبب ذلك كانوا يخافونهم ويعوذون بهم ويعبدونهم اتقاء لشرهم وأذاهم ، فبهذا كله يمكن أن يفهم ويفسر بيسر كذلك حكمة احتواء القرآن الكريم للآيات الكثيرة في الجن أيضا . ولقد احتوى كثير منها ــ وهذا من مظاهر أو مدى تلك الحكمة ــ تقريرات بكون الجن لا يعلمون الغيب ، ولا يستطيعون الأذى والوسوسة والتأثير إلا على من يستسلم

لهم ، ويشذ عن طريق الله الحق . ويكون منهم طوائف يؤمنون بالله ورسله وكتبه ــ ويكون غير هؤلاء ملعونين عند الله مطرودين من رحمته معرضين لنقمته وغضبه وعذابه في الآخرة ، ويكون من واجب المؤمن الصادق ان يستعيذ بالله ويلجأ إليه حينما يتعرض لنزعاتهم ووساوسهم فيكون في ذلك نجاته منهم ، وفي ذلك الحجة القرآنية البالغة التي هي أيضا من مظاهر ومدى تلك الحكمة بأن الله تعالى وحده هو المستحق الأوحد للعبادة والتقرب والتوسل بالطاعة وصالح العمل ، وبأن من السخف والضلال اتباع الجن وعبادتهم والاعتقاد بأنهم قادرون على النفع والضرر بغير إذن الله تعالى .

ويتفرع عن هذا ابليس والشياطين ، وكلمة ابليس هي ذم من (أبلس) بمعنى يئس اي اليائس من رحمة الله ، وكلمة شيطان أيضا هي كلمة ذم من (شاط) أو (اشتط) بمعنى بغي واعتدى وعتا . والكلمة بمعنى شديد البغي والعدوان والعتو . والكلمتان مستعملتان من العرب قبل نزول القرآن وصيغتهما فصحى لأن القرآن نزل بلغة العرب ، ولا بد من أنهم كانوا يعرفون معناهما المذكور ، وكانوا يطلقون كلمة الشيطان ايضا على الباغي العاتي من الأنس ، وجاء هذا في بعض آيات القرآن أيضا ولقد ذكر القرآن أن ابليس والشياطين من الجن ، وفيه آيات كثيرة تذكر وساوس إبليس والشياطين للمشركين والكفار ، وتأثر هؤلاء بهم والوقوع في شراكهم ووساوسهم كأمور راهنة من أحوال أهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولقد احتوى القرآن الكريم آيات كثيرة بالتنديد بالمشركين بسبب ذلك وبيان ضلالهم كما احتوى آيات كثيرة تقرر أن إبليس والشياطين إنما يؤثرون في وساوسهم وتزييناتهم على المنحرفين والفاسقين والظالمين والمترفين . وأنهم ليس لهم سلطان على عباد الله المخلصين ، وهكذا تبدو الصلة ظاهرة أيضا بين التنزيل القرآني وأحوال بيئة النبي صلى الله عليه وسلم ، ويساعد ذلك على فهم وتفسير القرآن وادراك ما في آياته من حكمة وعبرة ، وفي القرآن حكاية مشاهد اخروية يتنصل فيها الشيطان من متبعيه ، وهذا من مظاهر وبوادر تلك الحكمة .

٣ ــ وفي القرآن آيات كثيرة تفيد وتردد ما كان للزعامة والثروة ــ وكثيرا ما كانت الاثنتان تجتمعان معا ــ من قوة وتأثير في بيئة النبي صلى الله عليه وسلم ، وتفيد بأن الزعماء والأثرياء والمترفين هم الذين قادوا معركة المناوأة للنبي صلى الله عليه وسلم ورسالته وأثروا على الجمهور ومنعوه من الانضواء الى الاسلام حتى ليكاد معظم القرآن المكي وما فيه من حجاج وحملات وقصص وامثال وحوار ومواقف وإنذار ووعيد يكون في صدد معركة النبوة مع الزعامة ، مما هو متصل بحالة بيئة النبي صلى الله عليه وسلم ، ويعكس صلة التنزيل القرآني بها ، ويساعد على تفسير القرآن وفهمه أيضا .

وفي القرآن المكي بخاصة آيات عديدة فيها مشاهد أخروية وحكاية ما سوف يدور من حوار بين الزعماء (المستكبرون) والعامة (الضعفاء والمستضعفون) وفيها تنديد وتوجيه مسئوليات وندامة وحسرة ، وتعكس هي ايضا ما كان من تأثير

الزعماء والأثرياء على العامة ، وقيادتهم لمعركة المناوأة للنبي ورسالته ، وبالتالي تعكس صلة التنزيل القرآني بالبيئة ، وتساعد على فهمه وتفسيره ، ولقد وصف القرآن قوم النبي صلى الله عليه وسلم بشدة الجدل والخصومة ، والمقصود هم الزعماء والنبهاء الذين كانوا يقودون المناوأة ضد النبوة والرسالة ، بل كانوا طرفها الرئيسي ، ولقد حكى القرآن كثيرا من أقوالهم ومواقفهم ، ولقد انكشفت عبقرية ومواهب كثير منهم عقليا وفكريا وسياسيا وحربيا ، بحيث يقال : إن موقف الزعماء والنبهاء لم يكن من غباء وجهالة وحسب ، بل كان من استعظام الزعماء واستكبارهم عن الانضواء إلى دعوة محمد النبي صلى الله عليه وسلم الذي لم يكن زعيما ولا ثريا ، ومن اختصاصه دونهم وهم أصحاب القوة والوجاهة والمال والتأثير والنفوذ والسلطان على ما جاء في آيات عديدة ، ولقد كانوا يتعجبون من خلاف الكتابيين ونزاعهم فيما بينهم ، ويحلفون أن لو جاءهم كتاب عربي ورسول عربي لصاروا أهدى منهم ، ولقد كانوا يرون انفسهم أهدى من النصارى باتخاذهم الملائكة بنات الله ، بينما النصارى يتخذون انسانا ابنا له ولكن اختصاص الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة هو الذي أثارهم ، لأنه ليس زعيما ولا ثريا ، مما يعكس أيضا صلة حالة البيئة بالتنزيل القرآني ويساعد على فهمه وتفسيره ، ولقد كان ما احتواه القرآن من دعوة إلى المساواة والأخوة بين جميع المنضوين للاسلام بدون فرق بين عظيم وصعلوك ، وغني وفقير ، وحر وعبد ، وأبيض وأسود مما يثير الزعماء ويجعلهم يحتجون على النبي ، ويطلبون ابعاد الفقراء والصعاليك عنه ، حتى لقد حدثت النبي نفسه لحظة ما بشيء من الاستجابة لهم ، بقصد كسبهم للدعوة ، لأن في ذلك تثبيتا ونشرا لها بين الجماهير المتأثرة بهم ، وهذا أيضا يعكس صلة البيئة بالتنزيل القرآني ، ويساعد على فهمه وتفسيره .

ولقد كان كذلك ما احتواه القرآن من دعوة إلى البر بالفقراء والمساكين ، وانفاق المال والتنديد بكنزه ، والتفاخر به وانذار المتكاثرين المتفاخرين الباخلين ـ وهذا مبثوث في سور كثيرة ـ مما أثار في الأثرياء الذين كانوا أيضا عماد القوة المناوئة للنبوة والرسالة ، مما يعكس أيضا صلة التنزيل القرآني بالبيئة ، ويساعد على فهم القرآن وتفسيره .

٤ ـ إن الآيات القرآنية الواردة في شعائر الحج تفيد صراحة وضمنا أنها كلها أو جلهاكانت ممارسة قبل البعثة فأقرت في الاسلام بعد تنقيتها من شوائب الشرك والوثنية والقبح الذي كان يتمثل في الطواف في حالة العرى التام ، وكان العرب ينسبونها إلى ابراهيم ، فرددت بعض آيات القرآن ذلك ، وكانت تلك التنقية اعادة للأمر إلى نصابه الذي لا بد أنه هو الذي كان عليه في عهد ابراهيم عليه السلام ، وهذا ما تؤيده بعض آيات القرآن ، مع أن فيهاما قد لا يفهم حكمة إقراره ، مثل الطواف حول الكعبة ، والسعي بين الصفا والمروة ، ورمي الجمرات في مني ، واستلام الحجر الأسود ، والمتبادر أن ذلك متصل بتقاليد الحج العربية بعد أمد

طويل من عهد ابراهيم ورسوخها . وفيها مظهر لوحدة العرب على اختلاف منازلهم ، حيث كانوا يشتركون جميعهم في الحج . ومواسمه وتقاليده وحرماته وأشهره الحرم ، وحكمة إقرارها في الاسلام منطوية في ذلك الرسوخ ، من جهة ، وما كان لها من فائدة وأثر في الوحدة المذكورة التي كان القرآن يدعو إليها من جهة أخرى .

ولعل قصد تأنيس العرب بالدعوة الاسلامية مما ينطوي في تلك الحكمة أيضا ، وفي سورة القصص آية مهمة في هذا الباب وهي قوله تعالى : (**وقالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا**) الآية / ٥٧ حيث تفيد أنهم حسبوا أن تكون الدعوة الاسلامية قد هدفت إلى الغاء تقاليد الحج ، وكان من مقتضى هذه التقاليد حرمة مكة ومنطقتها وتوافد العرب من كل صوب عليها ، وإقامة المواسم حولها . فكان خوفهم من أسباب امتناعهم عن الاستجابة للدعوة مع أنهم لمحوا أن فيها هدى وحقا ، حيث يعكس هذا ، الصلة الوثيقة بين التنزيل القرآني وتقاليد البيئة النبوية قبل الاسلام ، ويساعد على فهمه وتفسيره .

٥ ــ في القرآن آيات كثيرة فيها قصص وأخبار ومواقف عديدة عن إبراهيم عليه السلام ليست واردة في سفر التكوين ، أول أسفار العهد القديم الذي هو المصدر الوحيد الذي وصل إلى عهدنا الذي ذكر هذا النبي ، وفصل سيرته وسيرة ذريته ، ومن تلك الأخبار والقصص والمواقف دعوته لأبيه وقومه ومحاجته معهم ، وتكسيره الأصنام ، ومحاولتهم حرقه بالنار ، ودعاؤه بأن يجنبه الله وبنيه الأصنام ، واسكانه بعض ذريته في منطقة بيت الله المحرم ، وانشاؤه مع ابنه اسماعيل الكعبة ، وكونه أول من دعا إلى حجها ، وكون العرب أو بعضهم ينتسبون إليه . ودعاؤه مع اسماعيل بأن يرسل الله اليهم رسولا منهم يهديهم . وجميع ذلك مما كان متداولا بين أهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة على ما ذكرته الروايات القديمة الكثيرة . فردده القرآن ولو لم يرد في أقدم مصدر تاريخي وصل الينا ، ذكر فيه ابراهيم عليه السلام ، مما يعكس الصلة بين التنزيل القرآني وبين ما كان متداولا في بيئة النبي صلى الله عليه وسلم قبل الاسلام ، ويساعد على فهمه وتفسيره .

واستشفاف حكمة وروده في القرآن ، فالعرب كانوا يدعون إلى توحيد الله ونبذ الشرك والأصنام ، وكانوا يدعون أنهم أبناء ابراهيم واسماعيل عليهما السلام . وقد دعوا الله بأن يجنب أبناءهما الأصنام وبأن يرسل إليهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ، وقد استجاب الله لدعوتهما وأرسل هذا الرسول فلزمتهم الحجة .. ويتبادر لنا والله أعلم أن ذلك هو الهدف الجوهري في كل هذه الأخبار القرآنية .. وأنها لم ترد في القرآن للسرد التاريخي ، وانما لتحقيق هذا الهدف الجوهري .

٦ ــ ليس في القرآن المكي حملات عنيفة على اليهود الذين كان يسكن منهم في الحجاز جاليات كثيرة من أصل اسرائيلي . واكتفى فيه بذكر قصص موسى

وفرعون وبني إسرائيل الأولى مستهدفا بذلك ما استهدفه بذكر قصص الأنبياء الآخرين من عبر وعظة وتذكير ، وقد جاءت قصص موسى وفرعون وبني اسرائيل باسهاب أوفى مما جاءت به قصص الأنبياء والأمم الأخرى مما يمكن ان يكون سببه أو حكمته وجود الجاليات الكثيرة ، وصلته الوثقى بالبيئة النبوية . في حين أن القرآن المدني احتوى حملات شديدة لاذعة على اليهود والاسرائيليين ، واصفا لسوء أخلاقهم ودسائسهم ومكائدهم مع وصل حاضر هذه الأخلاق بأخلاق آبائهم الأولين . وهذا أيضا متصل بحالة قائمة في البيئة النبوية وظروفها . إذ لم يكن لليهود في مكة كيان وتكتل ومركز قوي ، وكان لهم ذلك في المدينة وما جاورها ، ولم يقع بينهم وبين النبي في مكة احتكاك وصدام وتشاد بل وكان من أفرادهم القلائل الذين كانوا في مكة بالاضافة الى أفراد من النصارى موقف ايجابي ، وقد أعلنوا جميعهم فرحهم بما كان ينزل على النبي وتصديقهم بأنه منزل من الله ، وآمنوا واندمجوا في الاسلام في حين وقع بينهم وبين النبي بعد هجرته إلى المدينة صدام وتشاد بسبب ما كان لهم من مركز قوي اجتماعي واقتصادي وديني ، حيث رأوا في دعوته وتعلق الناس به خطرا على ذلك المركز ، فظهر أثر ذلك في الأسلوب القرآني المدني دون الأسلوب المكي ، ويعكس هذا كما هو ظاهر صلة التنزيل القرآني بأحوال البيئة ، ويساعد على فهمه وتفسيره .

٧ ــ ولقد كان الرق والانتفاع به تجاريا وجنسيا من الأمور الراسخة في بيئة النبي صلى الله عليه وسلم ، فانعكس ذلك فيما جاء عنه في القرآن ، حيث اقتضت حكمة التنزيل تنظيمه تنظيما عادلا وبارا مع الحث على تحريره ، ومع أساس تشريعي قرآني لالغاء استرقاق أسرى الحرب ، وهذا هو المورد الأعم والأغلب للرق ، حيث يبرز في ذلك صلة التنزيل القرآني بالبيئة ، ويساعد على فهمه وتفسيره .

٨ ــ ولقد كان صنع الخمر والانتفاع به تجاريا وممارسة شربه راسخا في بيئة النبي صلى الله عليه وسلم فانعكس ذلك على ما جاء في القرآن عنه أولا في السور المكية التي نبهت على ما فيه من غول وما يحدثه من نزف . وثانيا في السور المدنية حيث جاء في احدى آيات البقرة قوله تعالى : (**يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما**) الآية / ٢١٩ وحيث نهى عن الصلاة في حالة السكر قال تعالى : (**يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى**) النساء / ٤٣ .

ثم حرم بتاتا بعد ذلك قال تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه**) المائدة / ٩٠ .

٩ ــ ومثل هذا يقال في الميسر والربا وقد ذكر الميسر في آية سورة البقرة الانفة بما ذكر ، ثم حرم بتاتا مع الخمر في آية سورة المائدة السابقة . ولقد نبه القرآن بسبب رسوخ الربا وممارسته على أن الربا لا ينال رضاء الله وبركته ، قال تعالى : (**وما آتيتم من ربا ليربو في اموال الناس فلا يربو عند الله**) الروم / ٣٩ ، ثم نهى عن أكله أضعافا مضاعفة قال تعالى : (**يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا**

اضعافا مضاعفة) آل عمران / ١٣٠ ، ثم شدد في تحريمه بتاتا بعد ذلك ، قال تعالى : (وأحل الله البيع وحرم الربا) البقرة / ٢٧٥ ، وسورة البقرة نزلت بعد سورة ال عمران على ما رواه المفسرون .

١٠ ـ والمشاهد الاخروية في القرآن مما يعكس صلة التنزيل القرآني بأحوال البيئة النبوية بالاضافة الى الحقيقة الايمانية لليوم الآخر وحسابه وثوابه وعقابه ، فمن حكمة ذكر مشاهد الحساب والثواب والعقاب الأخروية والتخويف والتبشير (ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون)ـ سورة الزمر / ١٦ (ذلك الذي يبشر الله عباده) سورة الشورى/ ٢٣ والاستبشار والخوف انما يكون من معرفة آثار ما يبشر به ويخوف منه . ولهذا اقتضت حكمة الله تعالى بالاضافة الى الحقيقة الايمانية أن تكون مشاهد الحساب والثواب والعقاب الأخروى من مألوفات الناس في الدنيا ، ومن مألوفات أهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم الذين خوطبوا بالقرآن لأول مرة للترغيب والترهيب ، ويشمل ذلك الجنات التي تجري من تحتها الأنهار وما فيها من مساكن والنخل والرمان والفواكه ومجالس الشراب الأنيقة التي يدور الولدان فيها على الجالسين بالأباريق والكؤوس ، ومزج الشراب بالزنجبيل والمسك والكافور ، وصحاف الذهب والفضة وقوارير الفضة وحلى الذهب والفضة واللؤلؤ والثياب الحريرية والفرش الزرابي والنمارق والسرر المرفوعة ولحوم الطيور وغيرها وغيرها .
وريح السموم وظل اليحموم والماء الحميم وشواظ النحاس والزقوم والغسلين والضريع ومقامع الحديد ومجالس القضاء والشهود وكتب الأعمال الخ .. مما يعكس صلة التنزيل القرآني بأحوال البيئة ويساعد على فهمه وتفسيره . مما يلفت النظر أنه ليس في المشاهد الأخروية القرآنية مجالس غناء وطرب وشراب ، وأنه ليس في الروايات التي تروى عن حالة بيئة النبي صلى الله عليه وسلم ما يفيد أن ذلك مما كان مترقبا ومما كان الاهتمام له والتعلق به شديدين كالشراب ومجالسه ، وأدواته ، وفي هذا دليل يؤيد ما ذكرناه .

١١ ـ ومما يتصل بالتنزيل القرآني والبيئة النبوية قصص القرآن الكريم والمدقق فيها يرى أنها اقتصرت أو كادت تقتصر على القصص العربية التي كانت أحداثها في جزيرة العرب ، والقصص الواردة في أسفار العهد القديم والعهد الجديد التي تدور على قصص خلق آدم وطوفان نوح ونسلهما ونسل ابراهيم ، وسكناهم في أرض فلسطين وعدوان الاسرائيليين على فلسطين ، وبعض قصص مسيحية ويهودية أخرى . مع أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أمم وبلاد كثيرة لها نشاط وحياة وحضارة وعلوم وفنون . وحكمة ذلك فيما يتبادر لنا تفسيره هو أن معرفة أهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم الذين خوطبوا بالقرآن لاول مرة كانت قاصرة أو كالقاصرة على ما كان متداولا من روايات واخبار وأنباء العرب ، وابراهيم واسماعيل ، ومن كتب كانت متداولة في أيدي الكتابيين من يهود

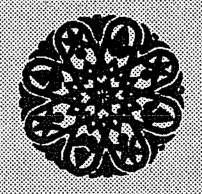
ونصارى الذين كان منهم جاليات في الحجاز واليمن والبلاد المجاورة التي كان تجار الجزيرة ومسافروها يزورونها للتجارة وغير التجارة من حيث ان تأثر السامعين للقرآن لاول مرة بالقصص ، واعتبارهم واتعاظهم بها وهذا وذاك هو المقصد الجوهري في القصص القرآنية انما يتحقق إذا ما كانت هذه القصص مما يعرفها ويسمعها أهل بيئة النبي كليا أو جزئيا ، ولا يخرج عن هذا ذكر الروم وهزيمتهم والوعد بأنهم سيغلبون ، ولا ذكر ذي القرنين فالحرب كانت تجري بين الروم ، والفرس في بلاد الشام والعراق ، وهي مجاورة للجزيرة العربية وتصل أخبارها بسرعة إلى أهل البيئة النبوية ، بل كان بعض معاركها في العهد المكي من البعثة النبوية وهي التي ذكرت في سورة الروم . وكان المسلمون يفرحون بانتصار الروم لأنهم أهل كتاب ويدينون بالنصرانية وكانت الجالية الكتابية في مكة قد انضوت إلى الاسلام . وكان المشركون يفرحون بانتصار الفرس وانكسار الروم نكاية بالمسلمين ، حتى لقد جرى رهان بين أبي بكر رضي الله عنه وأحد زعماء المشركين على أن النصر سوف يكون للروم بعد غلبهم (**غلبت الروم . في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون . في بضع سنين لله الامر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون . بنصر الله .**) الروم/ ٢ — ٥

وذو القرنين هو على أصح التفاسير فيما ظهر لنا من التمحيص للروايات والأقوال ملك الفرس « كورش » أو « دارا » وكان أهل جزيرة العرب ومنهم أهل بيئة النبي صلى الله عليه وسلم على صلة وثيقة بالفرس .

وكل ما تقدم يعكس صلة التنزيل القرآني بالبيئة النبوية ، ويساعد على فهمه وتفسيره .

وليس ما أوردناه هو جميع ما تظهر به الصلة بينه وبين التنزيل القرآني ، ولكنه يكفي لابراز ذلك للتنبيه على وجوب ملاحظته ، لأن ذلك مهم في فهم مواضيعه وتقريراته وروحه ومداه . ويجعل الناظر فيه يندمج في الوقائع ومقتضياتها ولا يبتعد عن حقيقة الواقع .

ويعصمه من التورط في الجدل والتزيد وتحميل العبارات ما لا تتحمله أو أخذها مجردة عن ملابساتها . مع التذكر بأن ما احتواه القرآن من صور مما له صلة بالبيئة النبوية ، وقد جاء بأسلوب وفي سياق غير محصور في نطاق محلي ، وزمن محدود ومطلقا شاملا فيه من التوجيهات والتقلبات والوصايا والتنبيهات والحكم والمواعظ ما له صفة الشمول والاستمرار والدوام والعالمية والانطباق على كل زمان ومكان ، مما يتسق مع ما قرره القرآن من أن الله تعالى أنزله ليكون بيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين والمؤمنين وذكرا للعالمين ، وبذلك تبرز المعجزة القرآنية الكبرى في الأسلوب والمدى وهذا فضلا عن ما في المحكمات القرآنية التي وردت الاشارة اليها في سياق الأمثلة التي تعكس صلة التنزيل القرآني بالبيئة من مثل ذلك ، والحمد لله رب العالمين .



الذات المسلمة والابداع الحضاري

بعيدا عن نلك الجدل العقيم ، حول دور الانسان الفرد والانسان المجتمع في العملية الحضارية ـ فاننا نؤمن إيمانا لا يخالجه شك بأن « الانسان الفرد » هو الأصل الأصيل لكل حضارة في التاريخ ، ثم يأتي بعده « الانسان المجتمع » ، وبالتالي ، فان ما يصيب الانسان المسلم من أمراض حضارية تؤثر بطريقة جوهرية على المستوى الذي تستطيع به هذه الحضارة أن تستجيب للتحديات البيئية أو البشرية .

إن « الانسان » ـ بكل المقاييس ـ هو أساس العملية الحضارية . وإن حضارتنا الاسلامية ليست نشازا في هذا المجال ، بل لعلها من أكثر الحضارات اهتماماً بدور الانسان في التاريخ !!

للدكتور : / عبد الحليم عويس

ولهذا فهي ـ ابتداء ـ لا تعفيه من أية مسئولية تحت أي شعار ، كالقول « بخطيئة آدم » بالمعنى الكنسي ، وما يتبعه من تحمل المسيح لآلام البشر !! كما أنها لا تجعل المسئولية الجماعية بديلا عن المسئولية الفردية ، بل (**كل نفس بما كسبت رهينة**) المدثر / ٣٨ ، (**ان كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبدا . لقد أحصاهم وعدهم عدا . وكلهم آتيه يوم القيامة فردا**) مريم / ٩٣ ـ ٩٥ . وهذا الانسان كما هو معروف ـ كائن معقد مزود من خلال تركيبه العضوي (البيولوجي) والنفسى (السيكولوجي) والعقلي والروحي ، المتكامل . بكل الامكانات والطاقات التي تؤهله للسير في طريق التاريخ الحضاري صعودا وهبوطا : (**لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم . ثم رددناه أسفل سافلين**) التين / ٤ ، ٥ . (**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**) الاسراء / ٧٠ .

ولأن هذا الانسان ـ في النظرة الاسلامية ـ كائن متكامل في بنائه ، وهو ذو طاقات متعددة لكنها متشابكة ومتكاملة ، وهو ـ كذلك ـ لا يتحرك الا بدوافع متعددة توازي طاقاته كلها ...

لأنه كذلك ، فنحن نصطلح بأن نطلق عليه اسم (الذات) ـ أو (الذات الانسانية) المسلمة !!

وهذه (الذات) هي هذا المجموع الكلي ، أو الكائن المتشابك الذي يضم في أحشائه وبدون تشطير (النفس والجسم والعقل والروح) ....

ان هذه (الذات) هي التي أطلق سراحها في التاريخ ، بعد أن هبطت من الجنة ، وهي ـ بكيانها ذاك ـ قد نيط بها أن تصنع (حضارة) متكاملة مثل تكاملها ، متوازنة مثل توازنها ، منسجمة مثل انسجامها ... ذلك لأنها انما تصنع حضارة لذاتها ... (حضارة انسانية) وبالتالي ، فلا بد أن تشبع عن طريق هذه الحضارة كل طاقاتها .

وفي التاريخ ، تتابع الأنبياء ، وكلهم يقدم « الحضارة الانسانية الملائمة » المنسجمة مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، مركزين على الجوانب التي اهتز رصيدها ، حتى يعود التوازن والانسجام من كل

الجوانب .

وعندما جاء الاسلام سار على الدرب ، فكان هو أيضا : **(فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم)** الروم / ٣٠ ، ونجح هذا الدين العظيم في مهمته التاريخية ، فقدم انسانا متكاملا ، وقدم من خلاله حضارة متكاملة أبدعت في شتى الجوانب ، روحية ، أو عقلية ، أو مادية ، والأهم أنه قدم هذه الحضارة المتعددة الجوانب ، على نسق (توحيدي) يفرض نزعته (التوحيدية) على كل صورة ابداعية من ابداعات هذه الحضارة ، فنية أو علمية أو روحية .

ولقد ظلت هذه الحضارة الاسلامية في كافة عصورها ومراحلها وحدة تاريخية متكاملة ، كما أن الأصول الروحية والمادية التي قامت عليها هذه الحضارة ظلت ماثلة في كيان المجتمع الاسلامي في ابان عصره الأول والوسيط ، ولا تزال ماثلة في عصره الحديث – بدرجة متفاوتة ، لكنها موجودة ، وكاملة – على مستوى التنظير الأقل – وأيضا ، وبنفس المستوى ، ظل الانسان المسلم هو المترجم الحقيقي – في مجال الفكر والتطبيق – لمنهج هذه الحضارة ، وظل العمود الفقري الذي تعتمد عليه الحضارة الاسلامية ، وهي تقوم بدورها في التاريخ .

ان هذا الانسان المسلم ، أو بالتعبير الذي أحسن استخدامه الشاعر المفكر المسلم محمد اقبال : « الذات المسلمة » حمل أمانة تجسيد الحضارة الاسلامية في كل جزئيات فكره وسلوكه .

– فكان – حقا – خليفة لله في الأرض – يحمل الى البشرية ، الأمانة التي حملها الانسان ، وكان هذا الانسان النموذج الحضاري الذي تتحقق فيه الشروط الكاملة للقيام بالدور الحضاري ، وهي – في رأي اقبال – ثمانية شروط :

– الارتكاز على قيادة ملهمة : (النبوة) .

– وعلى اعتبار روحي : (التوحيد) .

– وعلى دستور : (القرآن) .

– وعلى مركز محسوس : (الحرم) .

– وعلى هدف واضح تقره الجماعة .

– وتكون له السيادة على قوى الطبيعة .

– وأن تتطور ذاته في اتجاه الذات الكلية الجامعة .

– وأن يحتفظ للأمومة بحقها (ولعله يقصد دور المرأة عموما وذكر الأمومة لأنها أشرف أدوار المرأة) .

● ومن الضروري لهذه الذات أن تتصادم بالعوامل الخارجية (التحدي) حتى تظهر قوتها وحيويتها وعبقريتها وقدرتها على المقاومة والنمو ... وفي قصيدته (دور الانسان في التاريخ) يبرز اقبال هذا الدور الخطير العظيم عبر محاورته (الداخلية) التي يحاور فيها الانسان خالقه وخالق الكون :

● أنت خلقت الليل ... وأنا صنعت المصباح
● أنت خلقت الصلصال ... وأنا صنعت الكوب
● أنت خلقت الصحاري والجبال والغابات
● وأنا صنعت البساتين والحدائق والأرائك
● ...... أنا الذي صنعت المرآة من الحجر
● ...... وأنا الذي حولت السم الى شراب نافع

هذه هي « الذات المسلمة » التي صنعت الحضارة الاسلامية ، والتي أدت دور خليفة الله في الأرض !!

● ● ●

ثم تراكمت الأخطاء

● حين تسلط الملك العضوض ، وسقطت ارادة المسلم السياسية .
● وحين أصبح الاسلام (جباية) لا (هداية) وسقطت ارادة المسلم الاجتماعية .
● وحين استأثر (ببيت المال) أسرة أو جماعة وسقطت ارادة المسلم الاقتصادية .
● وتنازع المسلمون فيما بينهم ، فسقطت عوامل كثيرة من عوامل شعورهم الواحد .

●●● وقبل كل ذلك ، كانت الذات المسلمة تفقد أجزاء من ذاتها ، فتتفاعل مع عوامل الهدم الخارجية ... وكانت أزمتها الكبرى في داخلها ، فلم تستطع مقاومة (التحديات الجديدة) ....

وبين الحين والحين كانت تثور — كما ذكرنا — أيام عمر بن عبد العزيز ، وأيام المرابطين والموحدين ، والسلاجقة ، وفي بعض دول الهند الاسلامية ، وأيام صلاح الدين ، وفي أيام المماليك ، ومع كثير من خلفاء آل عثمان ... وفي العصر الحديث ، بل في أيامنا تلك ، ولا تزال ثورتها مستمرة وان كانت حالتها ما زالت أقل من مقاومة العوامل الخارجية !!

وفي ظل هذا السقوط توالت عوامل الانهيار التي تبعثر أجزاء هذه الذات ، وتمزق كيانها ... وتباعد بينها ، وبين أن تتمثل القرآن والسنة وتترجمهما الى حضارة متحركة مبدعة ...

● ● ●

لكن عودة هذه « الذات المسلمة » بكل شروطها الايجابية ، وبكل تفاعلها مع الرسالة ... وبكل التزامها بالدور الانساني العام ...

أجل ... ان عودة هذه « الذات المسلمة » التي تتصدى لحمل الأمانة ، ودور القيادة — أمر ضروري ... ليس للذات المسلمة وحدها ، ولا للأمة المسلمة وحدها ، بل من أجل جميع الانسانية الضالة ... ولا نقول « الخراف الضالة » ... ولكي تستمر حضارة الانسان على هذه الأرض ، اذا ما كان مقدراً لها في علم الله أن تسير آماداً أخرى في التاريخ .

حياة الانسان على الأرض

قال الله تعالى :

(قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين . قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون . يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون . يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) الأعراف/ ٢٤ ـ ٢٧ .

(قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) البقرة/٣٨ ، ٣٩ .

(قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكري

الحلقة الرابعة

للدكتور محمد طموم

فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى . قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى . وكذلك نجزي من أسرف ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وأبقى) طه/١٢٣ ـ ١٢٧ .

بعد استعراض ما حدث لآدم وحواء قبل نزولهما الى الأرض ، نجد أن الله سبحانه وتعالى قد فضل الانسان على سائر خلقه ، وعلم آدم الأسماء كلها ، ثم كون الأسرة منه ومن حواء ، وبين لهما عدوهما ، وجعلهما يعيشان تجربة حية في الجنة ، حيث بدأ التقنين لهما بالأمر والنهي والاباحة ، والوقوع في الخطأ ، والشعور بالذنب بعد كشف عورتهما ، والرجوع الى الله بالتوبة ، وإيقاع العقوبة عليهما ، وتنفيذها باخراجهما من الجنة ، والهبوط منها ، وإنزالهما إلى الأرض مع عدوهما وعدو البشرية جمعاء ، وهو الشيطان إبليس ، لتكون الأرض مستقرا ومتاعا مؤقتا ، ويعيش الزوجان فيها ، ويكونا أول أسرة من الانسان على الأرض لتكون نواة للبشرية ، وتأتي بالذرية من الأولاد والأحفاد ، ويتكون المجتمع منهم ، وتعمر الأرض بهم ، وتتحقق الخلافة التي أرادها الله من خلق الانسان .

علم الانسان الأول :

الانسان الأول والأسرة الأولى لم تكن جاهلة ، وإنما كانت متعلمة ، وقد علم الله آدم وحده ، ثم علم آدم وحواء ، باعتبارهما الأسرة الأولى للمجتمع الانساني ، ثم أولاد آدم وذريته باعتبارهم المجتمع الانساني الأول .

وقد سلك الله في تعليم الانسان كل سبل التعليم وتنوع أساليبه ، ولم يترك وسيلة من وسائل التعليم إلا اتبعها مع الانسان ، من وقت أن خلقه الله ونفخ فيه من روحه ، ولم يتخل الله عن الانسان في أي وقت من الأوقات ، أو في اي عصر من العصور ، أو في أي مكان وجد فيه الانسان .

وقد مر تعليم الانسان وتعلمه بمراحل مختلفة وهي :

١ ـ تعليم آدم وحده عندما خلقه الله .

٢ ـ تعليم آدم وحواء في الجنة .

٣ ـ تعليم آدم وحده في الجنة بعد أن تقرر هبوطه منها .

٤ ـ اختيار آدم رسولا ليعلم زوجته وذريته في الأرض .

٥ ـ تعليم أولاد آدم بالوسائل التعليمية .

كما أن التعليم تم في أزمنة مختلفة ، وأمكنة متعددة ، ولذلك

أقسمها بهذا الاعتبار الى مرحلتين ، أو الى فترتين :

١ ـ فترة ومرحلة الطفولة والمراهقة ، ويصح تسميتها بمرحلة الصبا .

وهذه المرحلة كانت قبل هبوط آدم وحواء من الجنة ، وقد شملت هذه الفترة مراحل التعليم الثلاث الأول .

٢ ـ فترة ومرحلة البلوغ ، وتسمى بمرحلة التكليف .

وهذه المرحلة كانت بعد نزول آدم وحواء إلى الأرض ، لتكون مستقرا لهما ومقاما ، وقد شملت هذه الفترة مرحلتي التعليم الأخيرتين .

طفولة الانسان الأول وصباه :

الانسان الأول حينما خلق لم يكن له طفولة ومراهقة ، ولم يبق وحده فترة طويلة ، وانما خلق الله له حواء ليأنس اليها ويتعاونا ، وهي أيضا لم تكن لها طفولة ومراهقة ، وبناء على ذلك لا يتصور نزول الأسرة الأولى الى الأرض على الفور ، لتتحمل أعباء الحياة ومشاقها بالتكليف بالمأمورات والمنهيات ، ولذلك كان لابد من فترة تدريب وتعليم ، تؤهل الأسرة الأولى لتحمل تبعات الحياة على الأرض ، فاقتضت حكمة الله تعالى أن يكون تدريب وتربية الأسرة الأولى وتعليمها في الجنة ، قبل هبوطها الى الأرض ، فكانت الحياة في غير الأرض ، بمنزلة الطفولة والمراهقة والصبا لغيرهما من بني آدم ، حتى إذا وصلت إلى درجة التمييز والادراك الكامل ، واصبحت صالحة للحياة على الأرض التي خلقت لتعميرها ، صدر امر الله بالهبوط من الجنة ، بعد ترتب المسببات على الأسباب ، حتى تكون الأسرة الأولى راضية بما حكم عليها .

مرحلة التعليم والتدريب :

والانسان حينما نزل إلى الأرض لم يكن فردا واحدا ، وإنما كان أسرة من ذكر وأنثى ، وهما آدم وحواء ، ولم ينزلا إلى الأرض وهما جاهلان غير مدركين لشيء كالحيوانات ، وإنما كانت هذه الأسرة متعلمة ومدربة بعض الشيء على الحياة ومقوماتها ، وذلك قبل نزولها إلى الأرض ، ونذكر بعض ما تعلمته الأسرة وتدربت عليه :

١ ـ أن الله سبحانه وتعالى علم آدم الأسماء كلها ، واختبره فيها ، فأداها على أكمل وجه ، وقد كان أول المخلوقات التي تعلمت هذه الأسماء ، ولم يعلمها أحدا من مخلوقات الله قبله ، بل هو الذي أعلمها غيره من مخلوقات الله وأرقاها وأفضلها من بعده ، وهي الملائكة ، قال الله تعالى : (**وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم . قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون**) البقرة/ ٣١ ـ ٣٣

٢ ـ بين الله لآدم مكانته ، وأنه فضله على سائر خلقه ، وأشعره بذلك

حينما طلب من الملائكة أن يسجدوا لآدم ، قال تعالى : **(وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا ابليس)** البقرة/٣٤ ، وذلك اعترافا بأفضليته عليهم ، وتكفيرا عن طعنهم فيه ، قال الله تعالى :

(قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك) البقرة/٣٠ .

٣ ـ كشف الله تعالى لآدم عداوة إبليس له ، وأظهر تكبره عليه ، وعدم التسليم بأفضليته ، قال الله تعالى :**(فسجد الملائكة كلهم أجمعون . إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين)** الحجر/٣٠ ، ٣١ ، وقال تعالى : **(قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين)** الأعراف/١٢ .

ولم يكتف الله تعالى بذلك ، بل حذر آدم منه ، وقرر له عداوته بصريح اللفظ ، وأن هذه العداوة ليست قاصرة عليه ، وانما عداوة ابليس للأسرة الانسانية كلها ، قال الله تعالى : **(فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى)** طه/١١٧ .

٤ ـ عرف الله ادم وحواء أن لكل واحد منهما عورة ، وأنه يجب ستر العورة ، وعلمهما كيفية ستر العورة ، قال الله تعالى : **(فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة)** الاعراف/٢٢ .

كما أعلمهم أن الشيطان يسعى دائما لاظهار عورة الانسان وكشفها ، قال الله تعالى : **(فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما)** الاعراف/٢٠ .

٥ ـ علم الله الانسان التوبة ، وألفاظها ، وكيفيتها ، والاعتراف بالذنب ، وطلب المغفرة والرحمة من الله ، وأن هذا هو طريق الفلاح والنجاح ، ومن لم يتقبل الله توبته فسيكون مصيره الخسران المبين ، فما بال من لا يعرف التوبة ، أو لا يسعى اليها ، قال الله تعالى : **(فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم)** البقرة/٣٧ ، وقال تعالى : **(قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين)** الاعراف/٢٣ .

٦ ـ علم الله الانسان معنى القانون ، وما يترتب على معصيته ، والخروج عن طاعة الله ، والفرق بين المعصية والكفر بالله ورفض الأمر ، وأتاح الله للانسان ان يمر بتجربتين قانونيتين :

الأولى : وقعت لغيره ، حينما أمر إبليس بالسجود ، فاستكبر وكفر وحكم عليه وكانت كافية ليتعلم الانسان من غيره .

والثانية : وقعت للأسرة الأولى ، حينما نهاهما الله عن القرب من الشجرة ، وتابا بعد المعصية .

٧ ـ علم الله الانسان قبل نزوله إلى الأرض أمورا كثيرة ، ومعاني متعددة لا يمكن حصرها ، منها على سبيل المثال لا الحصر :

الجنة والنار ، الخلود والتأقيت ، الكفر والتسليم ، المعصية والطاعة ، الكبر والخضوع ، المتعة والشقاء ، السكن والاستقرار والخوف والحزن ، الأمر والنهي والاباحة ، يوم القيامة والحشر ، الهبوط والخروج ، الهدى والأعراض ، العري والستر ، الجوع والظمأ ، وغير ذلك كثير .

بلوغ الانسان وتكليفه

كان هبوط الأسرة الأولى ـ آدم وحواء ـ من الجنة ، ونزولها إلى الأرض ، لتكون مستقرا لهذه الأسرة ومقاما . بدءا لحياة التكليف ، وعلامة على بلوغ الانسان ، ودليلا على صلاحيته للحياة فيها ، وقدرته على تحمل المشاق ، وإدراكه للخير والشر ، والطاعة والمعصية ، والتفريق بين المرشد والمفسد ، ومن يريد له الخير ، ومن يريد له الشر ويوسوس له بالمعاصي ، ولذلك كانت حياة الانسان على الأرض ، هي مرحلة التكليف والبلوغ والرشد ، بعد انتهاء مرحلة الطفولة والصبا ، والتعليم والتدريب .

التشريع السماوي بدأ مع الانسان ولازمه

وجدنا أن الله تعالى علم الانسان الأول وزوجه ، ورباهما ودربهما على التكليف في الجنة ، وهي المتعة الكاملة ، وجعلهما يعيشان هذه التجربة بحلوها ومرها ، بين الأحباب والأعداء المتربصين ، ليدربهما على حياة المستقبل ، فكيف يتصور أن يتخلى عنهما ، ويتركهما بعد نزولهما إلى الأرض ، بدون تكليف وتشريع وتقنين ، ينظم حياتهما وحياة ذريتهما ، حتى يعيش الجميع سعداء في الدارين ، الدنيا والآخرة ، واذا كان في الجنة تنظيم وتقنين ، فهما على الأرض في حاجة الى التقنين أشد ، وذريتهما اليه أحوج ، للتعلم والاسترشاد في حياتهم الدنيوية ، خاصة وأن بنى آدم لم يمروا بالمرحلة السابقة ، وليس لهم سابق علم أو تجربة .

وعلى ذلك فلا يتصور عقلا ـ بعد كل هذا ـ أن الله سبحانه وتعالى يتركهم بغير توجيه وإرشاد ، لما فيه الخير لهم ، ولما فيه مصلحتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة ، وهو الذي نظم الكون ، وقنن لكل مخلوقاته ، فكيف يتخلف ذلك مع من فضله على سائر خلقه حتى الملائكة .

كما يستحيل ذلك شرعا ، وقد قال الله تعالى : (**قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك اصحاب النار هم فيها خالدون**) البقرة/٣٨ ، ٣٩ .

وقال تعالى : (**قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا**

ونحشره يوم القيامة أعمى) طه ١٢٣ ، ١٢٤ .

وقال تعالى : **(من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا)** الاسراء/١٥ .

وقال تعالى : **(وإن من أمة الا خلا فيها نذير)** فاطر/٢٤ .

وقال تعالى : **(وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)** الذاريات/٥٦

وقال تعالى : **(أيحسب الانسان أن يترك سدى)** القيامة/٣٦ .

وقال تعالى : **(وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين)** الأعراف/١٧٢ .

وعلى ذلك فوجود التشريع السماوي مع وجود الانسان على الارض أمر ضروري ، وواقع طبيعي ، يتناسب مع ما خلق الانسان لأجله .

آدم أول رسول :

قال الله تعالى : **(ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى)** طه/١٢٢

كان آدم عليه السلام أول رسول من عند الله للبشر على الكرة الأرضية ، أرسله الله تعالى معلما لأول مجتمع إنساني عاش على الأرض ، والذي تكون من أول أسرة إنسانية ، وهى آدم وحواء ، وما تفرع عن هذه الأسرة الوحيدة ، من ذرية وأحفاد ، وقد أرسله الله – بعد أن رباه وأهله لهذه المسئولية – ليعلم زوجته وأولادهما :

١ – أن الله واحد ، وأنه لا شريك له ، قال تعالى : **(وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا اله إلا أنا فاعبدون)** الأنبياء/٢٥ .

٢ – وأن الله خلقهم ليعبدوه في الأرض ، ويذكروه دائما بما يليق بمقامه ، قال تعالى : **(وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون)** الذاريات/٥٦ .

٣ – وأن الله له أوامر يجب طاعتها ، ونواه يجب البعد عنها ، فمن عصى الله فسينال جزاءه ، ومن أطاعه فسيكون سعيدا في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : **(فاما يأتينكم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى . ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى)** طه/١٢٣ ، ١٢٤ .

٤ – وأن الله لا يقبل الكفر به ، ولا يغفر للانسان كفره بخالقه ، فمن كفر بالله فسيخلد في النار ، وأما من آمن بالله فلا يخاف بأسا ، وسينعم بالجنة ، قال تعالى : **(فاما يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون . والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون)** البقرة/٣٨ ، ٣٩ .

وقال تعالى : **(ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل**

ضلالا بعيدا) النساء/١١٦ .

الوسائل التعليمية :

الانسان من وقت وجوده وخلقه ، بل ومن قبل وجوده وخلقه ، وهو مشمول برعاية الله وتوفيقه ، وقد اتبع الله في تفضيله وتعليمه جميع الوسائل التعليمية ، من تلقين وتنبيه ، والهام وايحاء ، وتجارب حية مع غيره وعلى غيره ، وتجارب اخرى عاشها ومارسها ، ورأى آثارها ، وأدرك نتيجتها ، وكان كل ذلك قبل هبوطه من الجنة ، ثم بعد نزوله واستقراره في الأرض ، لم يكتف الله بارسال آدم معلما ومرشدا ، وملقنا لدين الله في أرضه ، وإنما اتبع مع الانسان كل سبل التعليم ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر ، أسلوب الوسائل التعليمية ، بالاضافة الى أسلوب التلقين عن طريق آدم عليه السلام ، فقد وجدنا في قصة قابيل وهابيل أنه عندما قتل قابيل أخاه هابيل ارتبك القاتل وحار في أمره ، ولم يعرف كيف يدفن أخاه الذي قتله ، وكيف يتصرف في هذه الجثة ، فأرسل الله غرابا ، ليعلم الانسان عدة أمور منها :

١ ـ انه حينما قتل أخاه فقد تصرف كما يتصرف الطير الذي لا يعقل .

٢ ـ أنه ارتكب حماقة القتل لأقرب الناس اليه مع شدة حاجته اليه .

٣ ـ كيف يتصرف في جثة الانسان ، وكيفية الدفن .

٤ ـ ان العلم من عند الله يهبه لمن يشاء من عباده .

وبعد أن تبين للانسان أنه أصبح مساويا للذي لا يعقل ، عندما ارتكب جناية القتل ، أراد الله أن يحقر من شأن القاتل ، فقارن بينه وبين الطير في حسن التصرف ، وأنه أقل من الطير الذي لا يعقل عندما ارتبك ولم يعرف كيف يتصرف في جثة المقتول ، وأما الغراب فقد تصرف وعرف كيف يدفن جثة الغراب .

كل ذلك ليبين الله للانسان عجزه ومدى ضعفه ، فلماذا يقتل أخاه مغرورا بقوته ، راضخا لغضبه ، مستسلما لحقده ، وهو بهذه الصورة من الضعف ، كما انه لم يعرف ولم يعلم ما عرفه الطير من طرق الدفن ، ليؤمن بأن الله تعالى هو المعلم والمرشد ، فلا يصح الكفر بالله .

وقد صور القرآن الكريم هذه القصة أحسن تصوير في قوله تعالى :

(واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين . لئن بسطت إلى يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين . إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين . فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين . فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يوارى سوأة أخيه قال ياويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخي فأصبح من النادمين) المائدة/٢٧ ـ ٣١ .



للدكتور/محمد محمد الشرقاوي

النسخ يعني رفع حكم شرعي سابق بدليل شرعي لاحق ، وهو محل اجماع بين المسلمين من قبل ظهور أبي مسلم الأصفهاني ومن تابعه ـ من حيث جوازه عقلا ووقوعه شرعا ـ فالله سبحانه وتعالي أقام شريعته على الحكمة البالغة ، والمصالح المتجددة ، ومن حكمته أن يأذن ببعض الأحكام في بعض الأوقات لملاءمتها لها ، وتناسقها معها .. على أن يجعل لها أمدا محدودا ، ونهاية مقدرة لتحل في محلها أحكام مخالفة لأوقات متجددة .. تكون أكثر صلاحية ، وأعظم نفعا حسب ما جرت به سنة الله في خلقه من إرادة الخير واليسر والصالح العام وصدق الله تعالى حيث يقول : (**والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم إن الله عزيز حكيم**) البقرة / ٢٢٠ ، فالنسخ في واقعه ما هو إلا انتهاء للحكم الأول على ميقات معلوم عند الله ، وليس معلوما لنا من قبل .. ولكن الله أعلمنا به حين أعلمنا بالناسخ ، والقرآن الكريم يقرر ذلك في قوله تعالى : (**ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير**) البقرة / ١٠٦ ، فالمفهوم من هذه الآية الكريمة أن كل آية يذهب الله بها على مقتضى حكمته .. إلى

بدل عنها .. أو إلى غير بدل ، فان ما يلحق من نلك لا يقل عما ذهب أجرا ونفعا .. فالبدل اما مماثل لما ذهب في الثواب ، واما متفوق عليه ثوابا ومصلحة .. ولذلك لم يقع النسخ ولن يقع الا في فروع العبادات والمعاملات أما غيرها من العقائد الثابتة ، وأصول الأخلاق الخالدة ، ومفاهيم القصص والأخبار الماضية ، وأصول المعاملات ، والاخبار بما وراء الحياة مما هو في ظهر الغيب من بعث ونشور وحشر وحساب وما إلى نلك .. فليس في شيء من هذا مجال للنسخ .. لأنها أمور تحكي حقائق والحقائق لا تقبل التغيير ولا التبديل ، ولا تختلف باختلاف الزمان والمكان والأقران .. وفي نلك يقول الله تعالى : (**شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه**) الشورى / ١٣ .

ولنضرب بعض الأمثلة على الناسخ والمنسوخ على رأي جمهور العلماء مما جاء في الكتاب العزيز :

(١) يقول الله تعالى : (**يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير**) البقرة / ٢١٧ ، فالآية تفيد حرمة القتال للمشركين في الأشهر الحرام الأربعة وهي نو القعدة ونو الحجة والمحرم ، ورجب ، وقد روى ابن جرير عن عطاء بن ميسرة أنها منسوخة بقوله تعالى : (**وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة**) التوبة / ٣٦ ، ونقل أبو جعفر النحاس إجماع العلماء على نلك ما عدا عطاء ، وبيان نلك أن الآية الثانية .. قد أفادت عموم قتال المشركين المستلزم لعموم الأزمان ، ومما يدعم هذه الافادة .. ما جاءت به كتب السيرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتل هوازن بحنين ، وثقيفا بالطائف في شوال وذي القعدة سنة ثمان من الهجرة ، ونو القعدة أحد الأشهر الحرم ، وما جاء كذلك في سبب نزول هذه الآية كما أخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني في الكبير والبيهقي في سننه عن جندب بن عبدالله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث رهطا وبعث عليهم عبدالله بن جحش ، فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه ولم يدروا ان نلك اليوم الذي قتلوه فيه هو من جمادي أو من رجب .. فعيرهم المشركون وقالوا للمسلمين : قتلتم في الشهر الحرام فأنزل الله : (**يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه**) الآية فلما نزلت فهم بعض المسلمين أنها لرفع الوزر لا لثبوت الأجر فنزل بعد نلك قوله تعالى عقيب تلك الآية : (**إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم**) البقرة / ٢١٨ . وأخرجه ابن منده في الصحابة عن طريق عثمان بن عطاء عن أبيه عن ابن عباس وإذا تتبعنا مكان الآية الثانية وجدناها متممة لآية الأشهر الحرم هكذا : (**إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين**) التوبة / ٣٦ ، فتكون حرمة الأشهر الحرم لا تزال باقية هي في الامتناع عن المعاصي عموما لأنها

فيها أشد وزرا ، وأعظم نكرا منها في غيرها .. وقتال المشركين ليس من قبيل المعاصي .. وقيل إن النسخ وقع بقوله تعالى (**فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم**) وأيا ما كان القول فقد وقع النسخ وانتهى حكم سابق اقتضت الحكمة بقاءه فترة من الزمان .. ثم اقتضت تلك الحكمة انهاء هذا الحكم المؤقت ، واعلان حكم جديد لعهد جديد .

(٢) يقول الله تعالى : (**واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فامسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا . واللذان ياتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما**) النساء / ١٥و١٦ ، فانها منسوخة بآية النور وهي : (**الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين**) النور / ٢ وذلك بالنسبة الى البكر رجلا كان أو امرأة ، أما الثيب من الجنسين فقد نسخ الحكم الأول بالنسبة إليهما وأبدل بالرجم الذي دل عليه رجم ما عز والغامدية في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما دلت عليه آية « نسخت تلاوة » لا حكما وهي : (**الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم**) ومعنى الآية الأولى والثانية كما جاء في تفسير الجلالين (النساء آية ١٥ و١٦) ان من يأتي فاحشة الزنى من النساء وشهد بذلك أربعة من رجال المسلمين فاحبسوهن في البيوت حتى الموت أو الى ان يجعل الله لهن طريقا الى الخروج وكان ذلك في أول الاسلام ثم جعل الله لهن هذا الطريق حين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ كما في رواية مسلم ــ « خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا » وبين ذلك السبيل بانه جلد البكر مائة وتغريبها عاما ورجم المحصنة ، والمحصن ، ولما بين حكم النساء تعرض لحكم الرجال الذين يرتكبون نفس الخطيئة سواء كانت زنى اولواطا بانهم يلحقهم الأذى بالسب والضرب بالنعال حتى يتوبا ويصلحا العمل فلا يلحقهما الأذى بعد ذلك .. وكان ذلك في مطلع الدعوة الاسلامية أخذا بسياسة التدرج في التشريع ، والانتقال بالناس الى طريق الشريعة المحكمة رويدا رويدا ، ودرجة درجة حتى يسلس قيادهم ، وتلين قناتهم .. فكان للحكم الأول المقرر في آيتي النساء فرصة زمنية محددة في علم الله قبل أن تتحدد في علمنا .. ثم تحددت في علمنا بعد أن أطلعنا الله عليها بالناسخ الحديث في إثر المنسوخ القديم ، وهو أمر تنظيمي حكيم لا يتنافى مع قدرة المختار العليم ، يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب » .

(٣) يقول الله تعالى : (**إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون**) الانفال / ٦٥ فانها منسوخة بقوله تعالى : (**الآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا فإن يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله والله مع الصابرين**) الانفال / ٦٦ ووجه النسخ ان الآية الأولى خبر بمعنى

الأمر .. أي ليقاتل العشرون منكم المائتين منهم ، والمائة الألف ، وعلى الواحد ان يثبت امام العشرة ولا يفر ، فان فر فهو ممن تولى يوم الزحف مرتكبا كبيرة من الكبائر ، ومعرضا نفسه لسخط الله ومقته ، فلما كثر المسلمون خفف الله عنهم وشرع لهم هذا الحكم الميسر الذي لا يشق كثيرا على نفوس المجاهدين ولا يحملهم على ركوب الأهوال في القتال فأفادت الآية الثانية وجوب ثبات الواحد للاثنين فان فر أمامهما دخل تحت الوعيد الشديد ، وان فر امام الأكثر منهما فهو معذور لاجناح عليه ، ولا تقصير منه ، وان كان يؤذن له في الثبات لأي عدد كان ويكون آخذا بالعزيمة .. بدلا من الرخصة التي شرعها الله له لطفا به ، وتخفيفا عنه ، والله مع الصابرين بعونه وتأييده ، ونصره وتوفيقه .. اخرج اسحاق بن راهويه في مسنده عن ابن عباس في سبب نزول الآية قال : لما افترض الله عليهم ان يقاتل الواحد عشرة ثقل ذلك عليهم وشق ، فوضع الله ذلك عنهم إلى أن يقاتل الواحد الرجلين وأنزل قوله تعالى : **(إن يكن منكم عشرون صابرون)**. الآية .

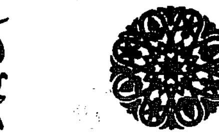
وهكذا نرى ان النسخ ليس ابطالا للأحكام الشرعية ولكنه توقيت لبعضها ببعضها الآخر حتى تظهر حكمة الله في شرعه ، ورحمته بعباده وانه سبحانه وتعالى قبل هذا كله مختار فعال لما يريد لا يسأل عما يفعل وأفعاله سبحانه وتعالى هي عين الحكمة ، وهي جوهر الصلاح والاصلاح وقد تسعفنا عقولنا وأفكارنا بادراك جوانب منها ، وقد تعلو حكمتها فوق آفاق علمنا وعلينا في كل حال أن نقر أولا بالعجز بين يديه ، وأن نثبت له القدرة بلا نهاية والعلم بدون حدود إن الله على كل شيء قدير .

(٤) يقول الله تعالى : **(وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله)** البقرة / ٢٨٤ فانها منسوخة بقوله عز من قائل :**(لا يكلف الله نفسا إلا وسعها)** البقرة / ٢٨٦ وبيان ذلك ان الله سبحانه وتعالى قد تجاوز لهذه الأمة عما حدثت بها نفسها ما لم تقل أو تفعل كما جاء في الحديث الشريف الصحيح .

أي إن كل ما يعتلج في خاطر المرء من شر ، وما تهجس به نفسه من معان وصور وأخيلة وأحاديث نفس ، وأحلام يقظة كل هذا داخل في دائرة العفو الا لهي ما لم يصل الى درجة العزم المصمم فانه يكتب على صاحبه سيئة واحدة .. وهذا من فضل الله تعالى على عباده ، ورحمته الواسعة بهم ، وتسامحه فيما هو من طبائع النفس البشرية .. التي لا حيلة للانسان في دفعها ، أو الخلاص منها إلا بمنتهى العسر ، ولعل ما قرره علماء النفس حديثا يلقى أضواء على العقل الباطن ، وفكرة اللاشعور ــ فان الشعور عندهم واللا شعور يشكلان العقل في الانسان ، والثاني يختزن المعلومات التي ترد إليه عن طريق الحس .. ثم هي تحاول دائما الظهور في بؤرة الادراك ولكن حالة الشعور والوعي تمنعها ، فاذا تراخى الشعور نتيجة هدوء أو انسجام ، أو راحة أو غفلة أو نحو ذلك ظهرت أفكار اللاشعور في البؤرة وصاحبتها غالبا أحلام لليقظة يحدث فيها الانسان بأحاديث قد تغلب عليها نزعة

الشر أو اللذة .. وقد تفضل الله سبحانه وتعالى فعفا عن تلك الأحاديث والهواجس أخيرا .. بعد أن كان يؤاخذ الله بها العباد حين نزلت الآية الأولى ، وفي كتاب « لباب النقول في أسباب النزول » « لما نزلت آية البقرة : **(وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله)** شكا المؤمنون من الوسوسة وشق عليهم المحاسبة بها .. فنزل قوله تعالى : **(لا يكلف الله نفسا إلا وسعها)** أي ما تسعه قدرتها **(ولها ما كسبت)** من الخير ، **(وعليها ما اكتسبت)** اي من وزر الشر ، ولا يؤاخذ أحد بذنب أحد ، ولا بما لا يكتسبه مما وسوست به نفسه ..» وأما ما نقل عن السدى في تعريف الصغيرة : (هي الخطرة من الذنوب) فقد عقب عليها الزمخشري بقوله : وكأنه يعني أن حسنات الأبرار سيئات المقربين ، إذ أن خطرات الذنوب في القلوب جزء من أحاديث النفس وهي عفو لهذه الأمة ، ولا مؤاخذة فيها ما لم تقترن بقول أو عمل .. وهذا هو رأي الجمهور في الآيتين .. اما القول بأن الأولى محكمة ، وأنها خاصة بكتمان الشهادة وإظهارها .. فمردود بأنه لا دليل على هذا التخصيص وقول بعضهم انها محكمة وباقية على عمومها وان المعنى ان الله يحاسب المؤمنين والكافرين فيغفر للأولين دون الآخرين .. مردود أيضا بأن نفسا في قوله تعالى **(لا يكلف الله نفسا إلا وسعها)** نكرة في سياق النفي فتفيد العموم للمؤمن والكافر على السواء ولا دليل على الخصوص .

ومما جاء ناسخا ومنسوخا قول الله تعالى : **(يأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته)** آل عمران / ١٠٢ قال السيوطي : ليس في آل عمران آية يصح فيها دعوى النسخ الا هذه الآية .. فانها منسوخة بقوله تعالى : **(فاتقوا الله ما استطعتم)** التغابن / ١٦ .. وبيان ذلك : أن الآية الأولى بظاهرها قد امرت بأن يتقي الله حق التقوى ، وتركت الباب مفتوحا أمام فهم هذه الآية والعمل بها .. حتى يشحذ كل مؤمن همته لبلوغ أقصى ما يمكن بلوغه من أعمال التقوى ، وهي غير محددة تحديدا يسهل حصره والاحاطة به ، وإدراك أبعاده وأعماقه بيسر ووضوح .. وحتى الآثار الواردة في تفسير هذه الآية يبدو عليها العموم والشمول ، ولا يتيسر فيها التحديد والالمام فقد قيل في تفسيرها « ان يطاع فلا يعصى ، ويشكر فلا يكفر ، ويذكر فلا ينسى .. فقالوا : يا رسول الله ومن يقوى على ذلك ؟ .. فنسخ بقوله تعالى : **(فاتقوا الله ما استطعتم)** .. وقد ورد في تفسيرها كذلك : أن يحفظ الانسان رأسه وما وعي ، وبطنه وما حوى ، ويذكر الموت والبلى » وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال : لما نزلت آية : **(اتقوا الله حق تقاته)** اشتد على القوم العمل فقاموا حتى ورمت عراقيبهم ، وتقرحت جباههم .. فأنزل الله تخفيفا على المسلمين **(فاتقوا الله ما استطعتم)** وها هو ذا الرسول صلى الله عليه وسلم يضرب للناس مثلا في اصول التدين المتوازن بقوله وفعله فيقول : لكني اصوم وأفطر وأقوم وأنام ، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني رواه الشيخان .



هذا هو الدواء

للاستاذ/محمد محمد حلاوة

عن عائشة زوج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن قريشا أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة الفتح ، فقالوا : من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقالوا : ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فأتى بها الرسول ، فكلمه فيها أسامة بن زيد ، فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أتشفع في حد من حدود الله ! فقال أسامة : استغفر لي يارسول الله .

فلما كان العشي قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاختطب وأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : « أما بعد فانما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وإني ـ والذي نفسي بيده ـ لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » رواه مسلم .

السرقة .. يكاد لا يخلو مجتمع من المجتمعات من هذا الوباء الدنس الفتاك على أية صورة من صوره ـ وما أكثرها ـ اختلاس ، أو رشوة ، أو استغلال ، أو نشل ، أو اغتصاب ، أو ، أو ، .. إلى آخره .

كم له من ضحايا وضحايا في كل يوم ، بل في كل ساعة ولحظة ، ضحايا بالألوف لا بالمئات ـ هذا حادث أسفر عما يأتي : فقد حافظة بها مبلغ كبير من المال ، وبعض السندات ، وبطاقة عائلية ـ تزيل

بالمستشفى (قسم جراحة) فاقد النطق ، به طعنة نافذة بالصدر ، والحالة خطيرة ، والفاعل هارب تبحث عنه الشرطة .

وهذه طفلة تعود إلى منزلها وهي تبكي . لقد عرض لها اللعين وهي في طريق عودتها ، وبكلماته المعسولة كذب عليها ، وصدقت ، فاستدرجها إلى مكان بعيد عن الأنظار ، وهناك خلع سوارها الذهبي ، ثم أطلق ساقيه للريح ، وتركها وحدها تندب حظها .

وتلك فتاة تعود إلى منزلها بعد غياب أربعة أيام كاملة عاشتها أسرتها في الجحيم ، فبينما كانت متوجهة إلى عملها إذ وقفت فجأة بجوارها عربة ، وعلى الفور فتح بابها ، ونزل منها شابان ، وفي سرعة البرق كمما فمها ، وحملاها بالقوة إلى داخل السيارة ، وانطلقا بها بعيدا .. ولم تحس الفتاة بشيء بعد ذلك إلا وهي ملقاة على جانب شارع مهجور ، وعندما أفاقت تبينت الحقيقة المرة : فقد مجوهراتها ، وفقد أعز ما تملكه في هذا الوجود ، و ... ، و ... ، وعشرات الحوادث ومثاتها .

واقع مؤلم حقا ، وأشد منه إيلاما أن تتطور السرقة إلى هذا الحد المزري ، فبعد أن كانت فيما مضى تتم في الخفاء ، وفي غاية الحذر والخوف ، وبقية من خجل - أصبحت اليوم ترتكب في وضح النهار بكل قحة وتبجح ، بالقوة أحيانا ، ومع الاعتداء على النفس ، بل وعلى العرض أحيانا أخرى . ومع هذا التطور المنحدر تكونت لها عصابات وتخصصت ، فهناك عصابات لسرقة المساكن ، وعصابات لسرقة المحال التجارية ، وعصابات لسرقة القطارات ، وعصابات لسرقة « البنوك » وهكذا ، وتحول الأمر في النهاية إلى إرهاب مخيف مزعج ، لا على المستويات المحلية فحسب ، بل على المستوى الدولي والعالمي .

أرأيت كيف أن جرما واحدا تهاونا فيه أول الأمر استفحل حتى أفضى إلى عدة جرائم ، وأية جرائم !! إنها الدم ، والعرض ، والفساد ، والتخريب .

إسفاف جاوز الحد ، وفوضى لا يصح السكوت عليها ، واستخفاف بكل النظم والقوانين والقيم !!

أين الأمن ؟ وأين القانون ؟ وأين حدود الله ؟ وأين المسلمون ؟ الأمن « في أجازة » ، والقانون عاجز أن يفعل شيئا ، والحدود معطلة ، والمسلمون غارقون إلى آذانهم في مطامعهم وشهواتهم وماديّاتهم لا يسمعون ولا يعون .

إننا مسئولون جميعا عن هذه الجريمة البشعة ، وأعذار الدنيا كلها لن تشفع لنا . **إن الدواء الوحيد لهذا الوباء الشره تحت أيدينا ، في كتاب الله ، سبحانه وتعالى ، في سنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، في إقامة الحد على السارق ، في قطع يده:(والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز**

حكيم) المائدة/٣٨ . إنما أهلك من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، وإني ــ والذي نفسي بيده ــ لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها .

إن قطع يد السارق هو العلاج الناجع ــ ولا علاج سواه ــ لأنه علاج المشرع الأعظم الذي أحاط بكل شيءٍ علما ، وعرف بم يكون صلاح الانسانية ، وفيم يكون خيرها وسعادتها . إن قطع يد السارق شهادة صدق لنا على طاعة الله ، وامتثال اوامره ، واقامة حدوده . ان قطع يد السارق ، وإن كان وصمة عار للسارق فهو تطهير له من جرمه ، ووسام شرف وعزة للاسلام وللمسلمين .

ولماذا نحجم عن قطع يد السارق ؟

أهي الرحمة به والشفقة عليه ؟ فلنسأل أنفسنا كم من يد تبتر ، وكم من رجل تقطع نتيجة لحوادث المواصلات اليومية من سيارات وقطارات وغيرها ، وكم من يد تبتر ، ورجل تقطع ، وجسم يشل في الانقلابات والاضطرابات والثورات والفتن التي تحدث من حين لآخر ، والتي لا يحكمها ضابط ولا قاعدة ، فهي تندفع كالسيل لأوهى سبب ، وبدون وعي ، لا ، بل كم من يد تبتر ، ورجل تقطع ، وجسم يشوه ويشل لأسباب أخرى غير ما ذكر جميعا ، ومع هذا فلم تتفتت الأكباد ، ولم تتقطع القلوب ، ولم تذب الحشاشات ، ولم يمت الناس حسرة وأسى .

أم نحجم عن قطع يد السارق خوفا من أن يصيب أحدا من أهلينا أو أقربائنا أو أحبائنا ؟ ألم نعلم أنه ما دمر الأمم السابقة ، وأفسد حياتها ، ونشر الفوضى والاضطرابات فيها ، وأغرى أقوياءها بضعفائها الا عدم العدالة في تنفيذ القوانين والشرائع ، والتفرقة في المعاملة بين الناس ، فكانوا إذا سرق كبير من كبرائهم لم يعاقبوه ، أما إذا سرق الضعيف نفذوا عليه العقوبة ، ثم ألم نقرأ ونتدبر قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » **فمن فاطمة ! انها كريمة أطهر البيوت وأعلاها ، ومن محمد ! إنه سيد الخلق أجمعين ، وهل هناك رابطة أعز وأغلى من الرابطة التي بين فاطمة ومحمد !! ومع ذلك فمن الذي سينفذ العقوبة على فاطمة ــ رضي الله عنها ــ إن هي سرقت ! إنه محمد نفسه صلى الله عليه وسلم « لقطعت يدها » الله اكبر ! الله اكبر ! الله اكبر !**

ام نحجم عن قطع يد السارق لا لهذا ولا لذاك ، وإنما لبشاعة العقوبة ذاتها ؟ فتعالوا معي لنعرض ما ينجم عن السرقة من أوزار وأضرار لنرى أي الأمرين أكثر بشاعة ، وأشد نكرا !

يجترىء السارق على دين الله ، ويستخف بحرماته وبحدوده ــ يخرج على المجتمع ، قواعده وقوانينه ونظمه ، ويتمرد عليه ــ يشيع الفوضى ، والفزع ، والاضطراب ــ

يسعى في الأرض فسادا ــ يأخذ ما لا يستحق ــ يأكل من حرام ــ يعيش عالة على الغير ــ يعبث بأموال الناس وأوقاتهم ومصالحهم ــ يحكم على أسرته بالضياع .

الرحمة .. الخوف .. البشاعة .. لماذا نذهب بعيدا ؟ ماذا يحدث لاحدنا لو أنه مرض ، وذهب إلى الطبيب ، وقرر الطبيب ضرورة استئصال عضو من جسده ؟ أيرفض المريض ذلك ؟ أيرفض أهله ؟ ايرفض أحد من محبيه ؟ كلا كلا . فان الجميع يبادرون بالموافقة ، ويسرعون إلى تلبية كل أوامر الطبيب ، ويتعجلون التنفيذ . لماذا ؟ لأن سلامة الجسم كله في استئصال هذا العضو المريض ، وبدون استئصاله يموت الانسان ، وهكذا شأن السارق فهو عضو مريض في المجتمع ، وعلاجه وعلاج المجتمع في قطع يده ، وبدون ذلك ينتشر الداء في المجتمع كله فيتلف ويهلك .

إن قطع يد السارق معناه أن يحترم الانسان آدميته ، ويصون كرامته (**ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا**) سورة الاسراء الآية ٧٠ . معناه أن يسعى الانسان ويعمل ليأكل من كد يمينه ، وعرق جبينه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود ــ عليه السلام ــ كان يأكل من عمل يده » رواه البخاري ، ويقول عمر رضي الله عنه : أرى الرجل فيعجبني ، فأقول : أله حرفة ؟ فان قالوا : لا . سقط من عيني . معناه أن تلتزم الدولة بتهيئة فرص العمل للمواطنين جميعا ، وتوجههم إلى ميادينه ، وإلى وسائله ، معناه أن يلتزم الأغنياء باخراج الزكاة كاملة ، وفي مواعيدها ، ولمن يستحقونها ، معناه أن يلتزم المجتمع كله : كل حارة ، كل شارع ، كل حي ، كل قرية ، كل مركز ،... الى آخره ببذل المساعدة لمن يحتاج إليها ، فالمؤمنون جميعا إخوة ، وهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، عن أبي سعيد الخدري ــ رضي الله عنه ــ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له » قال أبو سعيد : فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصنافا من المال حتى رأينا أنه لا حق لأحدنا في فضل » رواه مسلم واحمد .

وما أعظم البلاء إذا لم نسو بين الناس في إقامة الحدود ، فنفعل كما كانت تفعل الأمم السابقة ، فننفذ العقوبة على الضعفاء ، والفقراء ، ومن لا شأن لهم ، ونترك الأقوياء ، والأغنياء ، وذوى الشأن ! إننا بذلك نقيم الظلم وما أقساه ، ونصنع الامتيازات وما أبشعها ، ونخلق التفرقة وما أقبحها ، ونحرص على الفتنة والشر ، ونحكم على انفسنا بالويل والثبور .

ألا ما أحوجنا اليوم إلى وقفة تاريخية طويلة نستعيد فيها سيرة السلف الصالح من أجدادنا ، ونراجع فيها أنفسنا مراجعة جادة ، نحاسبها حساب المؤمن الخائف من ربه ، الحريص على دينه ووطنه بعد أن تفشت المحاباة والمحسوبية بصورة خطيرة لوثت حياتنا ، وشوهت صورتنا ، وأفسدت علينا كل شيء .

أرأيتم كيف غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبان الغضب في وجهه ، عندما جاءه حبه أسامة بن زيد ـ رضي الله عنه ـ يكلمه في أمر المخزومية التي سرقت !! ثم أرأيتم إلى استنكاره الشديد « أتشفع في حد من حدود الله !! » ولم غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم استنكر ؟ لأن في قبول هذه الشفاعة هدما للدين من أساسه ، فقد جاء الدين الاسلامي خاتما للديانات كلها . جاء للناس جميعا دون استثناء يعمل لما فيه خيرهم ، وصلاحهم ، وسعادتهم ، لهذا قام على العدالة التامة الشاملة ، وسوى بين الناس في كل شيء : في العبادات في المعاملات في الحقوق في الواجبات ، في الحدود في القصاص ... لا فرق في ذلك بين أبيض وأسود ، وغني وفقير ، وشريف وضعيف ، إذ لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى . قال الله سبحانه وتعالى : **(يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير)** سورة الحجرات الآية ١٣ ، ولهذا كان إقدام أسامة على الشفاعة في المخزومية خطأ كبيرا استنكره الرسول صلى الله عليه وسلم أشد استنكار ، ولهذا أيضا كانت الشفاعة محرمة في الاسلام ، لأنها تفضي إلى المحاباة ، والمحاباة ظلم ، والظلم حرام ، وما أدى إلى الحرام فهو حرام .

ولو أن هناك ثغرة ، أدنى ثغرة ـ في عدالة الاسلام ونزاهته لما بقي بعد أربعة عشر قرنا من الزمان ثابت الأصل ، رافع الهامة يتحدى جميع المذاهب ، وجميع النظريات ، تلك التي لازالت تحاربه جاهدة ، والتي عجزت حتى اليوم ـ نهاية القرن العشرين ـ عن تحقيق أدنى و« أبسط » حقوق الانسان .

والآن فلنا مع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفات خاشعات :

● في « صلى الله عليه وسلم » والحرص على ذكرها كاملة ، دون اختصار أو حذف كلما ورد اسم الرسول صلى الله عليه وسلم دلالة قوية على مدى حب آل الرسول صلى الله عليه وسلم له ، ومبلغ تقديرهم اياه ، ودرس عظيم نتعلم منه ألا نلجأ إلى اختصار هذا الدعاء كتابة أو قولا ، أو حذفه عند قيام الدليل عليه ، كما نتعلم منه أن نعرف لذوى الاقدار اقدارهم .

● وفي « استغفر لي يارسول الله » تدارك سريع للموقف من أسامة ـ رضي الله عنه ـ بمجرد استنكار

الرسول لموقفه بطلبه المغفرة من الله سبحانه وتعالى مستعينا بالنبي عليه الصلاة والسلام .

● وفي « فانما أهلك الذين من قبلكم أنهم .. استبشاع للتفرقة ، واستبشاع لآثارها بذكر كلمة « أهلك » وباستخدام أسلوب القصر ، إنما ، وفيه كذلك إخبار عن أحوال الأمم السابقة على لسان الصادق الأمين **(وما ينطق عن الهوى)** النجم الآية/٣ .

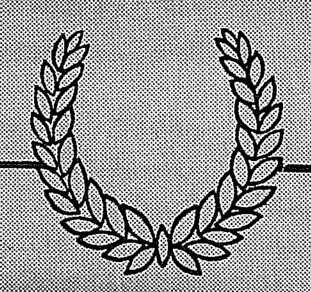
● وفي « وإني — والذي نفسي بيده — لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » جملة التأكيدات في الأسلوب ، وهي ألزم ما تكون في هذا الموقف ، لأنه موقف حسم وصدق ، **وورود « فاطمة بنت محمد » هكذا مجردين من أي تعظيم أكبر درس للمشتغلين بالسياسة ، والتشريع ، والأدب تعجز الأقلام البليغة عن تحليله .**

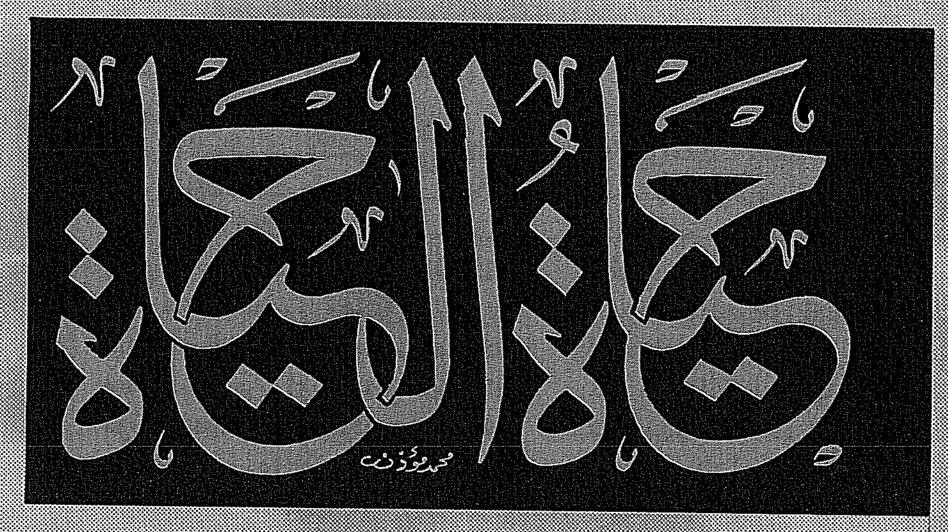
وبعد فان نسبة كبيرة من السرقات التي تحدث اليوم ، وتتم بالقوة ، أو مع الاعتداء والارهاب إنما هي من باب محاربة الله ورسوله ، والسعي في الأرض فسادا ، ولذلك فجزاؤها في قول الله سبحانه وتعالى : **(إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم . إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم)** سورة المائدة الآيتان ٣٣ ، ٣٤ .

ولا يفوتنا قبل ان ننهي حديثنا أن ننبه إلى أن هناك ألوانا غير منظورة من السرقة لا يتسع المقام هنا للحديث عنها مثل سرقة الوقت ، وسرقة الجهد ، وسرقة الراحة ، وسرقة السعادة ، الى غير ذلك وكلها سرقات لها آثارها الوبيلة على الافراد وعلى المجتمعات .

ولقد كان لعلوم النفس والتربية فضل كبير في الكشف عن كثير من الانحرافات ، ومنها السرقة ، ومعرفة أسبابها ، وطرق تقويمها وعلاجها ، وقد أرجعت الدراسات النفسية والتربوية المختلفة حالات غير قليلة من السرقة إلى عوامل قديمة عرضت للانسان في المراحل الأولى من حياته ، غير أن الآباء والأمهات والمعلمين — سامحهم الله — لم يدركوها في حينها ، او ادركوها ولم يلتفتوا اليها ، أو التفتوا اليها ، ولكنهم لم يعطوها الأهمية الكافية من الدرس والتحليل ، ومحاولة العلاج ، ولو انهم فعلوا لأدوا أكبر خدمة لأبنائنا ، ولديننا ، ولمجتمعاتنا .

إن جهودا مشكورة ومخلصة يقوم بها الأئمة ، ورجال الدين ، والمسئولون في كل مكان من مجتمعنا الاسلامي لاعزاز الاسلام ، ورفع رايته ، وتطبيق احكامه ليملأ قلوبنا ثقة ويقينا بأن الاسلام في حمى ومنعة من اهله ، وانه سيظل كذلك الى ان يرث الله الأرض ومن عليها ، ولينصرن الله من ينصره . إن الله لقوي عزيز .





(حياة الحياة) ليس عنوانا مفتنا فيه ، يقصد الكاتب به لفت النظر إغراء بموضوعه ، وإنما هو حقيقة حقة ، تأخذ من القرآن المجيد قوامها ، ولا أملك بطويل من القول ، فأضع كل حواسك وقواك أمام الآية الفاصلة : **(ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون)** الأنفال / ٢٤ .

لا شك أنها وصلتك بتلك الحقيقة ، فالذين خوطبوا ويخاطبون بهذا النداء أحياء ، وإلا لما صح نداؤهم ، ولكن حياتهم هي الحياة الأولى ، فإذا بلغوا دعوة الله فاستجابوا لله وللرسول زيدوا حياة فوق الحياة ، لا قيمة للحياة الأولى ولا شرف ولا حسن مآل إلا بها !

وهنا نأخذ من معطيات النص الكريم :

حياة مفهومة غير منصوص عليها تفهمنا إياها صيغة النداء : **(ياأيها الذين آمنوا)** .

حياة صريحة المادة دل عليها الفعل في صلة الموصول : **(لما يحييكم)** هاتان

هما الحياة وحياة الحياة !

ثم ما به تلك الحياة السامية ، وهو مفهوم الموصول وصلته معا : (**ما يحييكم**) ويفسره فعل الشرط (**إذا دعاكم**) فضل تفسير ، فليس شيئا غير دعوة الرسول بلاغا عن الله .

ثم ما تتحقق به تلك الحياة السامية بالفعل ، وهو الاستجابة لهذه الدعوة بالسمع والطاعة ، وقد صدر بها الكلام على وجه الوجوب ، بعد التنبيه إلى خطرها بالجملة الندائية ، الموقظة للنفس بنداء البعيد بعد التشريف ، وتمكين المنادي بشرف الصفة وماضوية الصلة .

وخطاب الذين آمنوا هذا الخطاب ، وقد سبق لهم من الاستجابة ما لم يكن لغيرهم ، فدبت حياة الحياة في قلوبهم إلى قدر هو كل يوم يزداد ، ومع كل أمر ونهي يتسع ، يدل بالمفارقة على أن غيرهم من الناس حي بالحياة الأولى ، التي لا حياة لها ولا شرف ، لأنه محجوب عنهما بحجاب الجهل والحرمان .

وهنا تسلمنا تلك العناصر التي أجملت ، إلى كشف أمرها بالبيان ، وليس لنا كاشف هو أجلى وأنصع من كتاب ربنا ، نستمد منه المقنع الشافي والملهم الفياض .

الحياة الأولى :

الحياة المنعزلة عن حياتها ، جاءت في القرآن منعوتة بتلك النعوت ، التي تدل على دنوها وإسفافها ، وتفاهة أحلام المكتفين بها ، والراكنين بكل رغباتهم إليها .

(**وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور**) ١٨٥ : آل عمران .

(**وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو**) ٣٢ : الأنعام .

مع ما في هذه النعوت من دلالة على سفاهة مؤثريها ، جاءت آيات الله توضح حقيقتها ، وتؤكد حمق الواقفين هواهم عليها ، وتذكر لونا من جزائهم :

(**إن الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون . أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون**) ٧ و٨ يونس .

(**فأما من طغى . وآثر الحياة الدنيا . فإن الجحيم هي المأوى**) ٣٧ — ٣٩ : النازعات . وسمى الحق هذا المحروم أعمى ، ومجرما ، بل وعده ميتا ،

لأنه لم يحى حياة الحياة بالاستجابة لدعوة الحق ، وقرن مصيره المؤلم بتلك التسمية ، جزاء وفاقا لما كان عليه أيام الحياة البائسة :

(ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا) ٧٢ : الاسراء .

(إنه من يأت ربه مجرما فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى) ٧٤ : طه .

(إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين) ٨٠ : النمل .

(أفأنت تسمع الصم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين) ٤٠ : الزخرف .

ذلك لأن زهادة تلك الحياة ظاهرة « قوية » في تفصي زهرتها الفاتنة أمام العين من قريب ، وسرعة التحول والتبدل التي تؤذن من يعقل بتلك الحقيقة ، ولكنهم عنها غافلون .

هذه الزهوة الزاهية والفتنة الفاتنة ، التي تنقلب حسرة وأسى عندهم ، يصورها لنا هذا التمثيل المحكم البالغ تصويرا يملك القلب من كل أعماقه :

(إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون) ٢٤ : يونس .

وهذا التذييل الذي ذيلت به الآية كاف في تجريد المخدوعين بها من التفكير الذي هو لازم العقل .

إن الأحياء تلك الحياة الأولى التي تشبه الموت ، بل التي نزلت بمنزلة الموت في آيات منها : **(إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء)** النمل/ ٨٠ ، حياة يشارك الانسان فيها الأنعام وكل ذى خلية حية ، ولكن الأنعام وما أشبهها أعلى درجة في الحياة وبعد الموت من الذين أخلدوا الى الأرض ، فضاقت صدورهم عن حياة الحياة ، وذلك ما نجده في قول الحق :

(ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والأنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم أذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون) ١٧٩ : الأعراف .

(أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا . أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا) ٤٣و ٤٤ : الفرقان .

حياة الحياة

أما الحياة التي عبر عنها الفعل المضارع في صلة الموصول : **(لما يحييكم)**

وهو دال على التجدد بوضعه ، فهي حاصلة بالاستجابة لله وللرسول بالامتثال سمعا وطاعة ومسارعة بالخيرات . وهذه الاستجابة كلما استحكمت حلت ، وكلما حلت أضاءت وأشرقت ، حتى تنكشف بضوئها الحجب وتدنو المنائى ، فيرى الحي بها الجنة التي أعدت للمتقين ، قد شغفته حبا تهزل أمامه الدنيا وتضوى ، ويستخزى بهاؤها ويذل ، فيستيقن أنه شتان ما بينهما ، فيزداد حث الخطى كلما ألهبه الشوق إلى النعيم المقيم .

تلك الحياة ليست شيئا سوى العبادة ، فلا معنى للعبادة إلا معرفة حق المعبود ، وتحقيق هذه المعرفة بطاعته والتزام رسالته ، وتلك هي الغاية من خلق الجن والانس كما بينها الله : **(وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون)** ٥٦ : الذاريات ، فمن فقدها فقد المقصود من خلقه . والمقصود من خلقه هو ثمرة تلك الحياة وهو حياة الحياة !

ومزايا الأحياء تلك الحياة ، أن أعضاءهم بها حية كلها بحياة قلوبهم ، تأتمر باشارة الأمر ، وتنتهي باشارة النهي ، تتهلل للتبشير موقنة بالثواب ، وتبتئس للتخويف مؤمنة بالعقاب ، تستحضر حقيقة الغيب في القلوب فتصفق رغبا ورهبا ، فالرجاء والخوف مزاج تلك الحياة ، والتقوى ضابط مشيرها والجوارح جند مطيع .

أولئك هم المؤمنون حقا ، الذين جعلهم الله الطرف الراجح في المقارنة :

(أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون) ١٨ : السجدة .

(أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين) ٢٢ : الزمر .

(أومن كان ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون) ١٢٢ : الأنعام .

إن الميت في صدر هذه الآية هو الحي حياة الضلال ، وإحياء الله إياه هو شرح صدره لدعوة الحق ، وإماطة حجاب القلب ليسكن فيه نور الايمان ، والمشي به في الناس هو الامتثال والالتزام بأمره ونهيه ، لأنه بالنور في النور يمشي ، وإنما ينحرف عن الجادة المحروم من نور قلبه ، والضارب في متاهة مملوءة بحوالك الظلمات : **(ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور)** النور/ ٤٠ ـ

أولئك هم الذين لهم السلطان الحقيقي في الأرض ، وليس لغيرهم سوى الله سلطان عليهم ، فالشيطان الذي هو اكبر القوى الطاغية في الكون مقهور بهم .

(إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) ٩٩ : النحل .

(إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين) ٤٢ : الحجر . لأنهم كما قال الحق فيهم :

(إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون) ٢٠١ : الأعراف .

وعتاة الأرض من الجبارين والظالمين صغار أمام عزمهم ، لأن الله اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ، فآمنوا بربح البيع ، وآثروا الآخرة على الأولى ، فكان منهم :

(الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل . فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء) آل عمران : ١٧٣ و ١٧٤ .

وكان منهم الذين قال لهم فرعون : **(فلأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى)** ٧١ : طه . فقالوا وهم أبناء ايمان الساعة : **(قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما تقضي هذه الحياة الدنيا . إنا آمنا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر والله خير وأبقى)** ٧٢ و ٧٣ : طه .

لذلك الحس المرهف الكاشف رأى النبي ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ الجنة حتى هم أن يقطف من ثمارها ، ورأى النار حتى وصف ما فيها !

ولهذا الحس المرهف الكاشف استعجل « عمير بن الحمام » فرمى تمرات من يده شوقا إلى جنة الشهداء !

ولهذا قال « أنس بن النضر » « لسعد بن معاذ » : ياأبا عمرو أين ؟ واها للجنة إني أجد ريحها دون أحد ! فما انجلت المعركة إلا وهو حيث أحب !

ولهذا الحس المرهف الكاشف رأى عمر سارية يكاد يحيط بجيشه العدو ، فناداه من منبر المدينة ناصحا ، فسمعه سارية من وراء الأميال المترامية مجيبا !

وبهذا دفع عمر تميما الداري إلى النار العادية على المدينة ، فدفعها تميم بذراعيه كأنها العشب طله الندى !

وبهذا كانت تضيء العصا لأسيد بن حضير وعباد بن بشر ظلام الليل كأنها المصباح ، وماذا فيه من البعد إذا كان أسيد يقرأ القرآن فتغشاه الظلة وتنزل لصوته الملائكة !

وإذا لم يكن هؤلاء أئمة الهدى ، وأعلام الأولياء من الأمة فمن يكون الذين **(يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم)** ٢١ : التوبة .

هاتان وجازتان عن الحياة وحياة الحياة ، وقد عرفت أن المدلول عليه بالموصول والصلة **(ما يحييكم)** هو دين الله ورسالته التي هيمن بها على كل رسالة كتاب الله الخالد ، بما تضمن من حقيقة التوحيد الخالص ، وما أجمل من أخبار الغيب ، وما جاء به من شريعة كاملة على الدهر تكفل سعادة البشر واستقامة حياتهم على المجد والكرامة والعدل والعزة « فمن قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به عدل ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم » .

(ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون

الصلاة ومما رزقناهم ينفقون . والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) ٢ ـ ٥ : البقرة .

كما أدركت ان الاستجابة بالالتزام هي مناط تحقيق حياة الحياة ، وأنه بمقدار الدافع إلى الاستجابة يكون مقدار نمو النور فينا ، والارتفاع إلى الدرجات العلى هنا وهناك ! وبمقدار الفتور عن الاستجابة يكون النزول والتدلي إلى حياة تشارك الانسان فيها الأنعام غير ذات التبعة ، التي لم تحمل الأمانة التي عرضت على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان !

وهنا ندرك السر في تأخر المسلمين وضياع صوتهم وذهاب ريحهم بين العداة الطامعين ، ولمن يقول جاهلا أو متجاهلا : لو كان هذا أثر الايمان لنلناه فانا مؤمنون ! ألسنا نصلي ونصوم ؟ لمن يقول مثل هذا نرد بقول الحق : **(الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون)** ٨٢ : الأنعام .

فلنقس حالنا بهذين الوصفين معا دون تفريق بينهما ، بعد أن أصبحت حياتنا في الاسلام طقوسا وأشكالا زال عن القلب وهجها ، ومن العزم جذوتها ، وبعد أن صرف الهوى وصراع الشهوات كبار القوم مثل صغارهم عن تحكيم القرآن والنبي في مشاكلهم وقضاياهم ، فأين نحن اليوم من قوله تعالى :

(فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما) ٦٥/النساء .

إن وعد الله لم يتخلف ، ولكنا نحن الذين تخلفنا ، فهل نحن تماما الذين عناهم الله بقوله :

(وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون) ٥٥ : النور .

وهل نحن الذين عناهم قوله الحق :

(والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم) ٧١ : التوبة .

إن الايمان الذي به النجاة والعزة وحياة الحياة مشروط لا مطلق ، وإن في الأمر قبل الغد لمتسعا لمن شاء أن يستقيم ، وإن في التوبة والانابة لمردا إلى الله محمودا لمن أراد النصر والكرامة ، وإن القرآن لعلى رأس الصراط مستحثا داعيا :

(يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه ترجعون) .

أطفالنا والألبان الصناعية

للأستاذ/محمد حسن عبد العزيز

* العالم كله تنبه للخطر .. لكننا لا حس ولا خبر .. وكان الأمر لا يعنينا من قريب او بعيد مع اننا في قلب الخطر .
* الرضاعة الطبيعية تمنح الرضيع ٨٠٪ من القدرات العقلية ، ٢٠٪ من النمو الجسدي ..
* للرضاعة الطبيعية آثارها النفسية التي تتعدى مجرد لقم الثدي وامتصاص الغذاء ، واللبن لو افرغ من الثدي ووضع في زجاجة لفقد قيمته ..

بعد دراسات وأبحاث استمرت سنوات .. حذرت الحكومة البريطانية وبكل جرأة وشجاعة من استعمال الألبان المجففة كبديل لغذاء الأطفال الرضع ، وأعلنت وزارة الصحة ان المشروع القومي للألبان المجففة له علاقة مباشرة بوفاة ثلاثة آلاف طفل كل عام . وحفاظا على حياة تلك الثروة البشرية الغت هذا المشروع محذرة الامهات من ارضاع أطفالهن بهذه الألبان ، ونشرت هذا التحذير في كل الجرائد والمجلات والتليفزيون والاذاعة داعية اياهن للعودة الى « ثدي الأم » أو ما أطلق عليه « رضعة الأمان » بدلا من رضعة

الموت . مع أن بريطانيا هي أول من صنع تلك الألبان عام ١٩٤٣ .
والجديد ان بيان وزارة الصحة قد اعطى للأم المسلولة « المصابة بداء الصدر » الضوء الأخضر ، وصرح لها أن ترضع طفلها دون أدنى خوف ، بعد تحصينه بالمصل المضاد .
ومن قبل ، نظمت حملات عالمية ، قادتها جماعات انسانية ، وجهات رسمية ، في كثير من بلدان العالم ، بدأت في سويسرا ، ثم تبعتها الحكومات الأوربية . وعقدت المؤتمرات والندوات في عواصم العالم الثالث ، وأعلنت المنظمات الصحية العالمية تحذيرها من أساليب شركات انتاج الألبان الصناعية في ترويج منتجاتها ، مما أسهم في استجابة عدد كبير من الأمهات لاغراء الأساليب المضللة .
فالعالم كله بكل هيئاته الشعبية والرسمية ، بدأ يثوب الى رشده ، والعلم في كل يوم يرصد للاسلام ، للقرآن ، انتصارات متتالية تؤيد ما جاء به من خير للانسان .
فلم يكن غريبا أن تظهر في الآونة الأخيرة شعارات العودة الى الطبيعة ، أو العودة الى البساطة الأولى ، فالمواد الغذائية من مصادرها الطبيعية أكثر فائدة وأغنى قيمة .
واليوم يقف الانسان مبهورا أمام الآية الكريمة : **(والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة)** البقرة / ٢٣٣ . ففيها تكمن تلك الحقيقة التي انتهى اليها العلماء في كل بقاع الدنيا وفيها اشارة واضحة موجهة للوالدات لممارسة وظيفتهن الاساسية التي خلقن من أجلها لاستمرار عمران الكون .
ورغم أن الخطر شغل العالم كله ، لكنه مع ذلك لم يشغلنا ، مع أننا في قلبه .. والموت يزحف الى أطفالنا في « بزازة الموت » والألبان الصناعية تغزو أسواقنا ، ويحتل الاعلان عنها مكانا بارزا في كل وسائل الاعلام والدعاية ، بل ذهبنا الى حد الاعفاء الكامل لتلك الألبان من الرسوم الجمركية .
هي قضية من القضايا التي اهتم بها العالم كله الا نحن ، وعواصم العالم الثالث تغلي بالحركة ، ونحن لا حس ولا خبر كأن الامر لا يعنينا ، رغم أن بلدا مثل « تنزانيا » أصدرت قانونا يحرم دخول الألبان الصناعية فيها ، ولم تكتف بذلك وانما قادت حملة توعية واسعة توضح للأمهات الأضرار الناتجة عن استعمالها .
وفي الوقت الذي تتخذ فيه الحكومة البريطانية موقفا ايجابيا وعمليا بالغاء مشروعها القومي لانتاج اللبن المجفف ، اكتفى مجلس ادارة جمعية طب الاطفال في مصر باصدار بيان يقول : ان المقصود بلبن البقر المجفف هو اللبن الذي كانت تصنعه هيئة التأمين الصحي بانجلترا دون التعديل في تركيبه ، اما البان الاطفال المتداولة في مصر سواء كانت نصف دسمة ، أو حمضية ، أو مشابهة للبن الأم ، فكلها ألبان عملت خصيصا

لتلائم تغذية الطفل ، وبها جميعا تعديلات لنسبة البروتين والدسم والاملاح بالاضافة الى بعض الفيتامينات أو المعادن التي تجعلها جميعا صالحة من هذه الناحية ، وجميعها تم التصريح بها بعد دراستها من لجنة متخصصة من أساتذة طب الاطفال في مصر ، أما اختيار الأنواع المختلفة للأطفال فأمر متروك للطبيب المعالج .

ثم عاد البيان فأكد على أفضلية الرضاعة الطبيعية بلبن الأم وسلامتها وفوائدها وتميزها من النواحي الصحية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية بالنسبة للأم والطفل .

لكن الذي لا شك فيه كما يقول الاخصائيون : ان الالبان المعدلة تحتوي على نسبة عالية من الفوسفات والصوديوم والأملاح والبروتينات ، وبعض الشركات تضيف حامضا معينا لتسهيل عملية الهضم ، ومن أجل هذه النسب العالية في مكونات اللبن المجفف حذرت الجهات العلمية من استعماله ، فالأملاح تؤدي الى جفاف جسم الطفل .

وقد جاء في المجلة الطبية البريطانية ان زيادة نسبة الأملاح داخل جسم الطفل يتبعه اختلال في وظيفة الكلية ، وبالتالي عدم استطاعة « الكلية » الصغيرة افراز هذا التركيز العالي في البول فتعود بعض الأملاح مرة ثانية الى الدم ، وهي الحالة المعروفة « بالهيبرناترينيا » التي تجعل الجسم حساسا لأقل اصابة بنزلة معوية مما ينتج عنها ارتفاع في درجة الحرارة أو سرعة التنفس أو اسهال أو الاعراض الثلاثة مجتمعة ، وهي الاعراض الممهدة لحدوث جفاف الجسم الناشيء عن افراز النسبة العالية من الاملاح في الدم التي لا بد وأن يصحبها افراز كميات كبيرة من الماء ، موازية لنسبة الصوديوم العالية ، وهو ما يؤدي الى جفاف الجسم ..

وقالت المجلة : انه قد حان الوقت لسحب مثل هذه الالبان النصف دسم من الأسواق لأنها لا تصلح للأطفال حديثي الولادة وخطورة تناولها تتضح أكثر بالنسبة للأطفال المرضى ، حيث قد يتبعها تجلط الدم والغرغرينا » .

فاختلال الأملاح في اللبن الصناعي وأمثاله كانت السبب المباشر لالغائه والتحذير من اعطائه للأطفال قبل ٦ شهور كما جاء في تقرير اللجنة العلمية الطبية وضرورة توفير الألبان الشبيهة بلبن الأم .

كذلك فقد أكدت لجنة التغذية بالأكاديمية الامريكية للأطفال وجود علاقة بين زيادة نسبة الأملاح في اللبن الصناعي وأمراض ضغط الدم التي يمكن أن يتعرض لها الطفل في مستقبل حياته ..

أما النسبة الزائدة في البروتين فلا تستطيع معدة الرضيع افراز الكمية المناسبة من الأحماض الأمينية اللازمة لهضمها ، فينتج عن نلك تعفن البروتين ثم الاصابة بالاسهال وبافتراض هضم الكميات الزائدة فان كل جزء منها يدخل الدم يجهد

الكلية ، وهو تماما بمثابة تحميل سيارة بأكثر من حمولتها المقررة . أما الفسفور فالغدة فوق الدرقية لا تبدأ في مباشرة وظيفتها الا بعد حوالي ثلاثة أسابيع ، ومعنى تغذية الرضيع بالألبان الصناعية خلال هذه المدة دخول هذه المادة مباشرة الى الدم بدون تنظيم .

● الكالسيوم في لبن البقر ١٢٥
في لبن الام ٣٣
● والفسفور في لبن البقر ٩٦
في لبن الام ١٥
● والصوديوم والبوتاسيوم في لبن البقر ٢,٥
في لبن الام ٠٠,١٣

والألبان التي يكتب عليها كامل الدسم ليست في الحقيقة كذلك ، بل يضاف الى اللبن دهن نباتي يؤثر على المعدة ويصيب الأطفال بالاسهال ، والتشنجات ، وعدم استقرار الوجبات في بطونهم ، وينتج عنه شكوى الأمهات من ترجيع الرضعات .

ولو كان اللبن الصناعي سليما من كل هذه الاحتمالات .. فان ذلك لا يمنع من أن الحرارة العالية في بلادنا تؤثر على افساده بسرعة ، وعملية النقل والتخزين والاعداد وترك العلبة تتلوث بأي شيء تحمل من الأخطار ما لا يتصور أحد .

الى جانب هذا كله تقف حقيقة هامة ، هي أن الماء الذي يجري في بيوتنا ، ونضيفه الى اللبن الصناعي لعمل الرضعة ، تزيد فيه نسبة المطهرات ، بما تحمله من مواد كيماوية تصل أيضا الى الطفل من خلال رضعة اللبن الصناعي .

ولو عرفت كل أم أن لبن ثديها به بروتين صغير جدا يمنع عن طفلها التصاق الميكروبات « التيفود والكوليرا » في الغشاء المخاطي للأمعاء ، لحاولت بكل جهدها اعطاءه « رضعة الأمان » بدلا من رضعة « الموت » في بزازة .. خصوصا في المناطق الفقيرة حيث تصعب وتنعدم أحيانا وسائل النظافة والتعقيم « للبزازات » ، بالاضافة الى الأضرار المترتبة عن استعمال البزازة ذاتها ، كانتشار أمراض الجهاز الهضمي ، وبروز الفك العلوي ، وتشوه الأنف ، وفلطحة قبوة الفم ، مما يؤثر على نبت الأسنان ، والتعرض لتلوث اللوزتين والبلعوم والجيوب الأنفية .

ويقول الدكتور / حسين كامل بهاء الدين ، أستاذ أمراض الأطفال ، بجامعة القاهرة ان اللبن الصناعي للأطفال خطر في حد ذاته ، وليس فقط بسبب مشكلة تعقيم البزازة ، أو اختلال المكاييل ... اننا لا نستطيع استبعاد عامل المبيدات الحشرية الكيماوية التي يتم رش الزراعة بها ، والتي تتسرب الى لبن الحيوان عندما يتناولها كغذاء ، كما أن الاتجاه الحديث لاستخدام المضادات الحيوية والهيرمونات في تنمية المواشي وبالتالي لادرار لبن أكثر ، لا بد وأن تصل في النهاية الى لبن الأطفال الصناعي .

اننا لا نستطيع أن نقول للحيوان لا تأكل من هذا الزرع الذي رش من مبيد ، ولا نستطيع أن نمنع الذين

يستثمرون المواشي من اعطائها المضادات والهرمونات ، لكننا نستطيع أن نمنع الأم من أن تأخذ هذه المضادات بعد أن ثبت أنها أيضا يمكن أن تلوث لبن الأم : مثل المضادات الخاصة بالغدة الدرقية ، وأدوية التجلط ، والمسهلات واليود . وكلها يجب أن تمنع عنها الأم ، التي تقوم بارضاع طفلها .

وفضلا عن أن لبن الأم لا يعدله أي غذاء صناعي آخر ، فانه يتمتع بعدم قابليته للفساد ، أو نقل العدوى .

والمتأمل للآية الكريمة يجد أنها حثت الأمهات على اكمال الرضاعة حولين كاملين . والحكمة في ذلك أثبتتها الدراسات النفسية والطبية التي أكدت أن الرضيع الذي يعتمد على الغذاء الطبيعي يكتسب خلال السنتين الاوليين من حياته ٨٠٪ من قدراته العقلية و ٢٠٪ من نموه الجسدي ، بالاضافة الى الفوائد النفسية .

فالرضاعة الطبيعية ليست مجرد غذاء وحسب ، وانما هي علاقة نفسية بين الطفل والأم ، فلو أفرغ اللبن من الثدي ، ووضع في زجاجة مثلا ، وأعطي للطفل ، لفقد كل قيمته ، فلقم الثدي يكسب الطفل الأمان والاستقرار ، ويحميه من كثير من الأمراض النفسية ، وقد ثبت ان فطام الرضيع قبل اتمامه العامين يعرضه للاصابة بأمراض نفسية منها الانطواء والعزلة والتشاؤم .

وقد هيأت العناية الالهية الأنثى عند الانسان ، وسائر المخلوقات على السواء ، بعاطفة الأمومة ، التي لا يمكن تعويضها عنها . والطفل لا يمكن تعويضه عن حاضنته ، ومربيته ، وباعثة الحنان فيه ، وأي علاقة أخرى لا تحل محل ثدي الأم ، ولا تكون بديلا عنه .

واذا نظرنا الى عالم الحيوان وجدنا أنثاه المفترسة تحمل وليدها بين أنيابها ، وتنتقل به المسافات الطوال دون أن تصيبه بأذى ، وتدافع عنه ضد الأخطار التي تصل أحيانا الى التضحية بحياتها دون رضيعها .

انها عاطفة الأمومة أسمى العواطف مطلقا .. بها تتحمل الأم المشاق ، وتحيلها بشرا وسرورا وسعادة ، وبغيرها لا تستمر الحياة ولا يعمر الكون .

ولا شك أن الغذاء الطبيعي تكفلت العناية الالهية بتدبيره للطفل في بطن أمه جنينا عن طريق ما يسمى بالحبل السري المصمم بكيفية بديعة فلا هو بالطويل فيتخمر فيه الغذاء ، ولا هو بالقصير فيندفع فيه بطريقة تؤذيه ، وفي خلال فترة الحمل تتكون الغدد المكونة للبن من افرازات المبيضين فاذا استوفيت مدة الحمل صدرت الاوامر الى الغدد النخامية لتبدأ في انتاج اللبن الذي يحتوي على كل المواد اللازمة لاستمرار حياة الرضيع ، وسد حاجاته الأساسية من النشويات والسكريات والدهون والأملاح والفيتامينات ، وهي مواد لا يمكن بحال من الأحوال أن توجد في صنف واحد أو أصناف متعددة من الأغذية ، وان وجدت فلا يمكن

اعدادها بطريقة تتلاءم مع معدة الطفل الرضيع بحيث يمكن هضمها والاستفادة منها .

والجنين يخرج من بطن أمه بلا خبرات الا من ذلك التوجيه الالهي المرشد لمصدر الغذاء فنجده يتجه مباشرة الى ثدي أمه دون أن يعلمه أحد ذلك .

ولم نسمع منذ بدء الخليقة أن طفلا واحدا أو حيوانا أخطأ في مصدر غذائه مع أن رضيع الانسان يمتص غذاءه بشفتيه من الثدي وهي عملية شاقة للغاية لا يقدر عليها الرجل البالغ حيث يتنفس من أنفه في نفس الوقت الذي يرضع فيه . ولا شك أن عدم اختلاف المصدر منذ كان الرضيع جنينا الى أن خرج الى الوجود من أهم الاسباب التي تحافظ على صحته لعدم اختلاف مصدر الغذاء ولأن هناك علاقة سببية تقوم بين الطفل والأم . ومن الملاحظ أن لبن الأم يتناسب مع حالة الطفل يوما بعد يوم كما يتلاءم مع حالته الصحية فنجد الافراز يزداد حتى يصل الى لترين ونصف لتر في اليوم الواحد بعد عام بينما لا يزيد في الأيام الأولى عن بضع أوقيات ، كما تتغير نسب مكوناته بالزيادة والنقصان وشدة التركيز فيبدأ أقرب ما يكون الى الماء ثم يزداد تركيز مكوناته النشوية والسكرية والدهنية يوما بعد يوم .

ولكن اذا استحال الارضاع الطبيعي لمرض الام مثلا أو لجفاف ثديها فان القرآن الكريم قد أجاز لها في هذه الحالة استئجار مرضع تقوم بهذه المهمة وحث الأم على أن تتحرى الدقة في اختيار تلك المرضع .. يقول تعالى : **(وان أردتم أن تسترضعوا أولادكم فلا جناح عليكم)** البقرة/٢٣٣ ولا يجوز أن تكون الرغبة في عدم الارضاع راجعة الى خشية الأم من التأثير على قوامها أو رشاقتها وما الى ذلك .

والجدير بالذكر ان الأم التي تمتنع عن الرضاعة لمدة ٤٨ ساعة فقط يجف ثديها ويصعب عليها التحول مرة أخرى الى الرضاعة الطبيعية ، وقد كانت شركات انتاج الألبان تعتمد على صرف الأم عن الرضاعة الطبيعية على أساس تجربة الألبان الصناعية .. فاذا فعلن ذلك للمدة المذكورة جف ثديهن وأصبحن أسيرات للألبان الصناعية ثم صار استخدام هذه الألبان نوعا من التقليد .

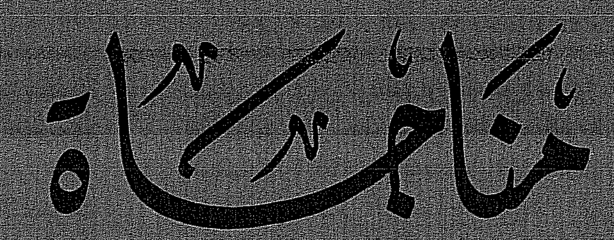
تلك وظيفة المرأة التي هيأها الله سبحانه وتعالى لها ومنحها كل القدرات التي تجعلها أهلا للقيام بها ، وهي وظيفة لا شك لها دور هام في حياة البشرية ومن أجلها كرم الله المرأة . وأوصى بها رسوله صلى الله عليه وسلم ، وأعطاها أرفع وسام بأن جعل الجنة تحت أقدامها .

ولعلنا نلتزم بتوجيهات القرآن وها هي ذي تحذيرات الهيئات الصحية العالمية وبين أيدينا نتائج دراسات وأبحاث الطب البشري والنفسي والاجتماعي ..

ومن أجل أبنائنا وفلذة أكبادنا وأغلى شيء في الوجود ..

علينا أن نتلفت حولنا في اهتمام لأنها مشكلة .. مشكلة .

ونحن في قلب الخطر ..



مناجاة

للأستاذ/
سيف النصر الطلخاوي

ناجيت ربي في سمو علاه   مستمطرا رحماته ورضاه
وجأرت للرحمن في عليائه   ودعوته في أرضه وسماه

....

يا رب عفوا من ذنوبي بعدما   حارت بنات الفكر، يا ويلاه !!
من لي سوى الرحمن يغفر زلتي   فهو الغفور وليس لي إلا هو !

....

يا رب جئنا والحياة خديعة   والنفس تطغى، والقذى تهواه
خلبت عيون الناس عند بريقها   فجروا وراء خداعها وهواه
لهثوا وراء سرابها حتى غدوا   بين الدروب تضلهم أشباه
ضلت نفوس القوم في بيدائها   وتأبط الشيطان من يلقاه

....

يا رب طمعت في الحياة نفوسنا   سارت وراء المال كي تغشاه
نهمت به في حله وحرامه   صارت بكل وسيلة تعطاه
وتقاتلوا كالكلب تنهش جيفة   كل يمزق في الصراع أخاه
ساءت حياة الناس في أطماعهم   ضلوا كثيرا عن طريق هداه
كل يريد حياته وفؤاده   مستنكرا لأخيه، ما أقساه !

....

أهواؤنا فاهت بكل مباءة   وتطاول الإنسان، ما أشقاه !!
هانت نفوس بالنفاق وبالفرى   طمعت بعز لا يدوم تراه
هذي الحياة ذليلة وقصيرة   أيظل قلب المرء في مسعاه !؟

....

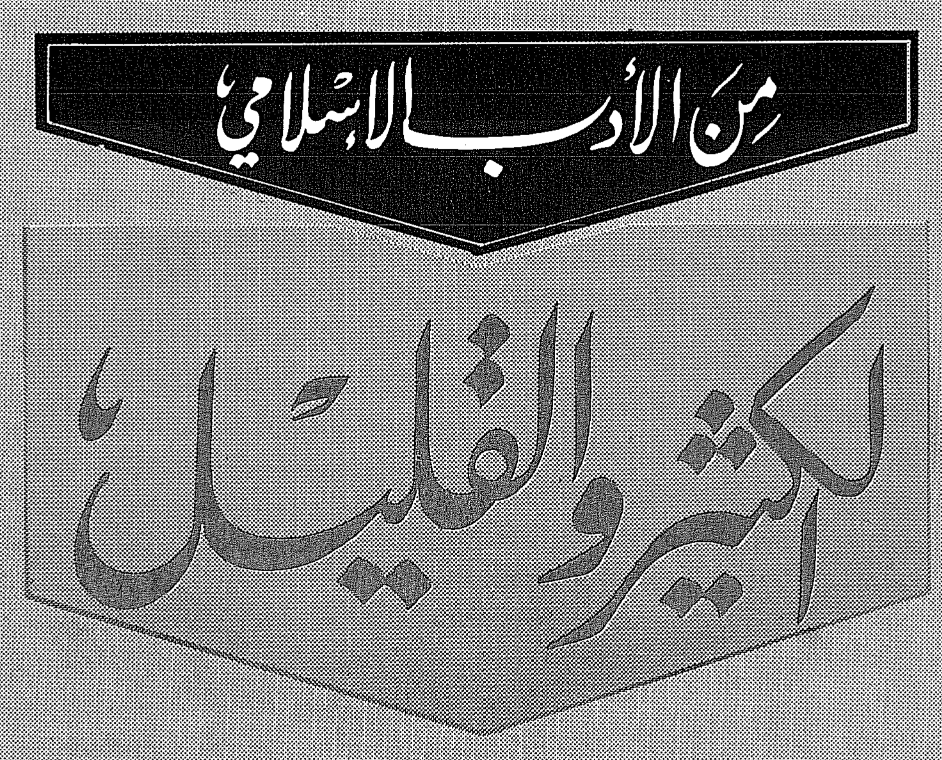
يا رب ضلت في الحياة نفوسنا   فأنر لها سبل الطريق تراه
يا رب عانت في الشقاء قلوبنا   فامدد لها سببا يطيب مداه
يا رب ضاقت بالضلال صدورنا   فاملأ قلوبا بالهدى وتقاه

....

يا رب جئنا عند بابك نرتجي   غوث الكريم، وعفوه، ورضاه !
فامنح عبادك بالقناعة والرضا   وأعزهم بالزهد في مغناه
وأفض عليهم رحمة ورفادة   من بحر جودك، لا يغيض مداه

....

ألف بفضلك للمحبة جمعنا   كيما نتوب إلى الهدى وسناه
وأعن بهديك يا قدير نفوسنا   كيما تفيء إلى الحمى وجناه
واشرح بنورك يا لطيف صدورنا   فبنور وجهك تهتدي وتراه
واشمل بعفوك يا عفو لأمة   ترجو النجاة وترتجي لهداه
وارحم بحلمك يا قوي لضعفنا   أنت الغياث ! وأنت ! أنت الله !!



للاستاذ : السعيد الشرباصي

لا يقتصر أثر الحالة النفسية للانسان على النواحي العاطفية والمجالات الشعورية فقط .. وإنما يمتد هذا التأثير إلى سائر الجسم وكافة المجالات .. ويظهر أثر الحالة النفسية للفرد بشكل واضح على نشاط المعدة ، وعلى ما تفرزه من عصارات تساعد على الهضم ، ومن عناصر تهيئ الطعام للانتفاع به .

وأكبر الظواهر الدالة على أثر الحالة النفسية على النشاط الهضمي حالات الفرح أو الحزن .. حيث نشاهد على سبيل المثال أثر الفرح والسرور في جعل الرغبة إلى الطعام مطواعة ومرنة ، بمعنى أنها في حالة السرور يكـون لديها التقبل للوضع الكائن . فهي ترضى بالقليل وتقنع به ، وترضى عن البسيط وتفرح له .. بل وعندما تتوفر الظروف المناسبة نجدها تقبل على الطعام إقبالا عظيما . فسيان لديها الكثير والقليل ، واللين من الطعام أو الخشن .

ومعنى هذا أن الرضا وصفاء النفس يجعل المرء مستعدا لاستقبال أي وضع يكون . وهذا المعنى هو الذي يهدف إليه الاسلام ، حينما يطالب الآكل :

بأن يفتتح طعامه وشرابه بالتسمية ، لأنها تعبير عن التسليم بما هو كائن ، والتطلع في الوقت نفسه إلى عطاء الكريم الذي رزق وقسم ، وأعطى وهيأ ، وبارك وطيب . فهي في جملتها استجلاب للرضا ، وأمل في الانتفاع بقدرة العظيم القادر .

وبواسطتها يتم صنع جو السعادة والتقبل والقناعة بالموجود ، فتتولد الحالة النفسية المطلوبة لفتح الشهية ، ولاستقبال الطعام ، وبالتالي لمزاولة العصارات الهاضمة نشاطها في كفاءة تامة ..

ولهذا نجد النفس المؤمنة تنشدها لا كأدب إسلامي فحسب ، بل كضرورة نفسية مؤكدة عندما يكون الطعام قليلا ، أو غير مستساغ . وبها يتغير الشعور فيكفي الطعام القليل ، ويطيب الطعام الجاف .

ومضيا في صنع الحالة النفسية الطيبة للطعام يطالب الاسلام أتباعه بالنظافة العامة في اختيار الطعام ، وفي الحصول عليه بحيث يكون مصدره حلالا .. وبأن يكون المرء بصورة عامة نظيفا .. ومن هنا كان أمر الشريعة : بغسل اليدين قبل الطعام وبعده ــ حتى ولو كان على وضوء ــ وقد روي ابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أحب أن يكثر خير بيته فليتوضأ إذا حضر غذاؤه ، وإذا رفع » . وفي حديث آخر جاء قوله صلى الله عليه وسلم : « الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم » . ونفي الفقر الذي يوجد بالنظافة هو نتيجة للشعور الرفيع الذي يصل إليه الآكل وهو على نظافة حيث يشعر بالعزة والكرامة . والغنى قبل كل شيء غنى النفس .

ثم يرشد الاسلام عند الطعام إلى استخدام اليمنى ما أمكن . فقد انتهجت الشريعة سنة محمودة حين خصصت اليد اليمنى للاستخدامات الطيبة واليسرى للاستخدامات الأخرى .

وعليه أن يأخذ مجلسه في اعتدال عند الطعام ، فان ذلك مما يساعد على وصول الطعام إلى المعدة في يسر وسهولة . وقد روي البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا آكل متكئا » .

وليأخذ في طبقه حاجته دون زيادة . فان كان الطعام مشتركا ، فلا يخلط منه على غيره أكثر من حاجته ، ليبقى الباقي مقبولا من سواه . ونحن نرى أن الاسلام يوصي بعدم ترك بقايا في الأطباق بدون داع . وفي ذلك من النظام والاقتصاد والحكمة ما فيه لأنه لا مبرر لاضاعة المال ، بل لا مبرر للافساد . ولكي لا يضايق غيره ممن يقومون بعملية التنظيف . ومن هنا يجب الاقتصار على أخذ ما أنت في حاجة إليه ، لتترك الطبق خاليا « من أكل في قصعة فلحسها استغفرت له القصعة » رواه الترمذي . يعني انتهى منها ، ولم يترك بقايا فيها .

ولا تعليق على الطعام ، إلا بخير واستحسان ، وأما إظهار بعض

عيوبه ، فهو إيذاء لمن يأكل معك ، وقد يكون مقبلا عليه لرغبته فيه أو لحاجته إليه ، فحديثك يضايقه . وثانيا : إيذاء لمن صنعوا الطعام . « ما عاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طعاما قط ان اشتهى شيئا أكله ، وان لم يشتهه تركه » متفق عليه .

وفي هذا المقام لابد من التماس العذر في الخطأ . فعملية الضبط لكل ما يطهى عملية شاقة وعليك أن تجربها لعدة أيام لتعرف متاعبها ومشاقها .

ومن الأمور المنفرة التي رفضتها الشريعة : النفخ في الطعام أو في الشراب ، وكــــذلك التنفس عند الشرب ، أو إحداث أصوات حادة : وفي المتفق عليه : قال ابن عباس : لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفخ في طعام ولا شراب ، ولا يتنفس في الماء » . ومن حديث قتادة « ولا يتنفس أحدكم في الاناء » .

ولا داعي للبطر ، وإظهار التعالي ، برفض الأكل مع الفقراء والبسطاء ، أو عندهم ، أو بترك ما يسقط على الأرض من طعام ، مادام يمكن إصلاحه والانتفاع به . وقد روى ابن ماجه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا وقعت اللقمة من يد أحدكم فليمسح ما عليها من الأرض وليأكلها » .

ومن حسن الخلق وأدب الصحبة ألا تكون حريصا على الطعام ، وألا تسبق سواك وقد نهى عن القران بين الثمرتين . وفي ذلك من النظام ما فيه . كما لا مبرر للنهوض العاجل عن المــائدة ، قبل إعطاء الفرصة للحاضرين ، لأن ذلك قد يحرجهم . وقد شرح هذا المقام الحديث : « إذا وضعت المائدة ، فلا يقوم رجل حتى ترفع المائدة ، ولا يرفع يده وإن شبع حتى يفرغ القوم ، وليعذر ، فان الرجل يخجل جليسه فيقبض يده ، وعسى أن يكون له في الطعام حاجة » رواه ابن ماجه .

ولا بأس بتقطيع اللحم بالسكين أثناء الأكل وقد روى البخاري : « أنه كان يحتز من كتف شاة في يده ، فدعى إلى الصلاة فألقاها من يده ، ثم قام فصلى ولم يتوضأ » والحز إنما يكون بالسكين . وقد قال مهنا : سألت أحمد عن حديث يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم « لا تقطعوا اللحم بالسكــين ، فانه من صنع الأعاجم ، وانهشوه نهشا ، فانه أهنأ وامرأ » . قال : ليس بصحيح . وأحتج بهذا الحديث السابق .

ولابد من النظام في تناول الطعام وفي أنواعه . يروي ابن ماجة في ذلك : عن عكراش بن ذؤيب قال : أتى النبي صلى الله عليه وسلم بجفنة كثيرة الثريد والودك . فأقبلنا نأكل ، فخبطت يدي في نواحيها . فقال : ياعكراش ، كل من موضع واحد ، فانه طعام واحد .. ثم أتينا بطبق فيه ألوان الرطب ، فجالت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الطبق . وقال : يا عكراش ، كل من حيث شئت فانه غير لون واحد » .

والحديث يضع قواعد هامة

للمجتمعين حول المائدة . فاذا كانت المائدة تضم صنفا واحدا ، كان لزاما على الطاعم أن يأكل مما يليه . أما إذا كانت تحوي أصنافا متعددة ، وكلها مباحة وعلى قدر سواء . فلا مانع من أن يأخذ منها ما يستطيبه .

وعلى من كان أمامه صنف خاص أن يقدمه إلى غيره ، ويعرض عليهم حاجتهم فيه . وعندما ينتهي الأكل ، فليبدأ بشكر الله تعالى على ما هيأ ويسر ، ثم ليشكر صاحب المائدة وشكر الله بحمده . وفي الحديث : « من أكل طعاما ، فقال : الحمدلله الذي أطعمني هذا ، ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة ، غفر له ما تقدم من ذنبه » رواه ابن ماجه . وعن شكر صاحب المائدة روي جابر بن عبدالله قال : صنع أبو الهيثم للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه طعاما فدعا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه . فلما فرغ . قال : أثيبوا صاحبكم قالوا : يا رسول الله وما إثابته ؟ قال : إن الرجل إذا دخل بيته ، وأكل طعامه ، وشرب شرابه ، فدعوا له . فذلك إثابته . وكان من دعائه : « أفطر عندكم الصائمون ، وأكل طعامكم الأبرار ، وصلت عليكم الملائكة » رواه أبو داود .

ولا تثريب على المرء في الجمع على المائدة لأكثر من طعام ، فقد كان الرسول يأكل القثاء بالرطب . ويجمل بالمرء إذا كان في الطعام سعة أن يدعو إليه من يحتاج إلى الطعام (وطعام الواحد يكفي الاثنين وطعام الاثنين يكفي الثلاثة) . فان لم يكن لديه الاستعداد لذلك ، فليعتزل من حوله بطعامه حتى لا يثير رغبتهم .

ومن مبادئ العزة الانسانية ألا يتحين المرء وقت أكل الآخرين فيهجم عليهم ليطعم معهم ، وإنه إذاك يعد متطفلا ، وقد كره الاسلام ذلك لقول الله تعالى : (**يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم إلى طعام غير ناظرين إناه**) الأحزاب/٥٣ . أي غير منتظرين بلوغ نضجه ، ولهذا يحسن بالزائر اختيار الوقت المناسب لزيارته ، فلا يدخل على مزوريه في أوقات طعامه وشرابه أو أوقات الراحة التي تعود الناس الركون فيها إلى الدعة والسكينة ، إلا أن يكون قادما من سفر ، أو على موعد معين سابق .

وكما يدعو الاسلام إلى النظافة قبل الطعام ، فانه يحث على النظافة بعده ، ولهذا يستحب غسل اليدين بعد الأكل ، وتنظيف الفم ، واستخدام السواك ونحوه . كما لا مانع من استخدام المنظفات التي تساعد على ذلك . وقد قيل لأبي عبدالله : ما تقول في غسل اليد بالنخالة . فقال : لا بأس به نحن نفعله وقد روى ما يشهد بذلك في الآثار . ولا بأس باستخدام كل ما يساعد على النظافة من مواد مستحدثة ومستحسنة .

وعلى المرء أن يتذكر قول الرسول صلى الله عليه وسلم : « المؤمن يأكل في معي واحد ، والكافر يأكل في سبعة أمعاء » رواه أحمد والترمذي . وما ملأ الانسان وعاء شرا من بطنه .

وعلى العاقل أن يدرك أن الجسم لا يحتاج إلى الاسراف ، أو بالوصول بالمعدة إلى حد الامتلاء ، الذي يضر بها ويعطلها عن الهضم ، حيث يتحول الطعام المفيد إلى أذى وسم ، ان لم يقتل أفسد وأتعب .

فان كان ولابد فاعلا ، فثلث لطعامه ، وثلث لشرابه ، وثلث لنفسه . والعاقل هو الذي يأكل أكثر ، بأن يأكل قليلا ، فيهضمه ويجوع فيأكل من جديد . وهكذا ..

أما الغبي فانه يأكل مرة واحدة يبقى بعدها مثقلا بالطعام عليلا ، محروما منه فاذا أردت أن تأكل كثيرا وتحظى بلذة الطعام ، فكل معتدلا ولا تفرط حتى تصل إلى حد الامتلاء ، فتحرم من الطعام ومن الراحة والصحة . وكثرة الطعام دليل على فساد النفس والطبع .

يروي أبو هريرة : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضافه ضيف وهو كافر . فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة فحلبت فشرب حلابها ، ثم أخرى فشربه ، ثم أخرى فشربه ، حتى شرب حلاب سبع شياه . ثم إنه أصبح فأسلم . فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة فشرب حلابها ، ثم أمر بأخرى فلم يستتمها . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : المؤمن يشرب في معي واحد ، والكافر يشرب في سبعة أمعاء » رواه مسلم .

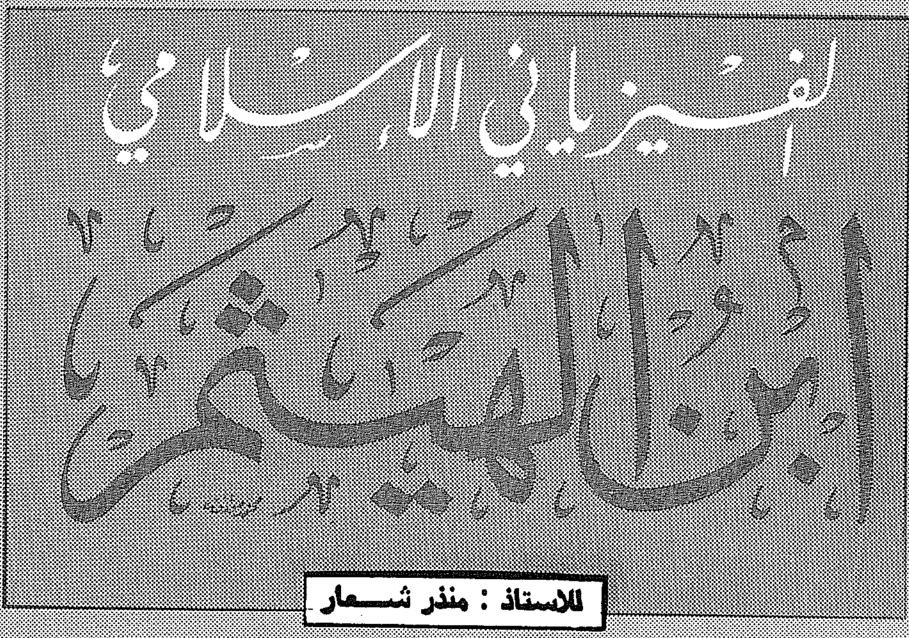
ومن الأدب الاسلامي أن على المدعو الى طعام أو الى وليمة أن يستجيب للدعوة ما لم يكن هناك عذر ، يتقدم به إلى صاحب الدعوة وفي الحديث : « إذا دعى أحدكم إلى وليمة فليأتها » حديث صحيح ، بل إن الاسلام في تسامحه العظيم لا يمانع في الاستجابة لدعوة اليهودي أو الذمي . لما روى أنس « أن يهوديا دعا النبي صلى الله عليه وسلم إلى خبز شعير وإهالة سنخة فأجابه » ذكره الامام أحمد في الزهد .

ويحض الاسلام صاحب المنزل على إكرامه للوافدين عليه ، بل ويدعوه إلى إيثارهم على نفسه وفي القرآن الكريم :

(ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) الحشر/ ٩ .

ويقول المفسرون في أنها نزلت في رجل من الأنصار حينما قدم رجل على الرسول ، فأرسل يسأل أهله عن طعام له ، فجاءه الرد : أنه لا يوجد سوى الماء . فقال : من يضيف هذا الليلة رحمه الله ؟ فقام رجل من الأنصار واستضافه . وتمضى القصة النبوية لتحكي كيف أن الرجل لم يجد في بيته إلا القليل المعد لطعام الصبية ، فأمر زوجته بتقديم الطعام للضيف واطفاء المصباح ، ليأكل الضيف ، وهم يتعففون إيثارا له .. فنزلت الآية . والقصة في صحيح مسلم الجزء السادس .

وبعد : فان تنظيم الاسلام لشهوة الطعام ولطريقة تناوله ، إتاحة للانتفاع به ، ولاعطاء الفرصة للاستفادة منه ، فاذا أردت أن تأكل دائما وكثيرا فكن منظما في طعامك وشرابك ، حتى لا تحرم منه .



للاستاذ : منذر شـــعار

كان ابن الهيثم استاذ أوربا فـي الفيزياء والضوئيات والطبيعة لقرون، وفي جملة الاساتذة المسلمين العظام، الذين اضاءوا الطريق أمام الانسانية قاطبة ، لبلوغ الخير والرشاد .

واسمه محمـــد بن الحسن ، أو الحسن بن الحسن ، على خلاف ، اما ابن ابي اصيبعة ، المولود بدمشق والمتوفي بصرخد سنة ٦٦٨ هـ فقال في كتابه : « عيون الأنباء في طبقـات الأطباء بأن اسم ابن الهيثم محمد بن الحسن بن الهيثم . وبهذه الروايةاخذ خير الدين الزركلي في قاموس اعلامه

ولكن القفطي يقول في كتابه « اخبار العلماء باخبار الحكماء » : ان اسم ابن الهيثم هو الحسن بن الحسن بن الهيثم ، وذهب الى التسمية ذاتهـا صاحب كشف الظنون في صفحـة ١٣٨ ، من الجزء الاول ، ولهذا حين أورد « كارل بروكلمان» ترجمته تردد في تسميته فلم يقطع بها ، وكذلـك المستشرق « سوتر» حسب ما نقلت دائرة المعارف الاسلامية ص ٢٩٨ تردد بين ان يكون ابن الهيثم هـو الحسن بن الحسن او الحسن بـن الحسين .

وايا كان اسمه ، فهو ابن الهيثم

الكبير ، والعالم الجليل . ولد في اواخر القرن الهجري الرابع ، ونشأ فقيرا يشتغل بنسخ الكتب وببيعها ، ثم علا في العلم وبرع ، واكبر حادثة فى حياته هي استدعاء الحاكم بأمر الله العبيدي بمصر له ، أو ذهابه هو من نفسه الى مصر ، ليعمل عملا فى النيل . وذلك أن ابن الهيثم قال وهو فى الشام : «لو كنت بمصر لعملت فى نيلها عملا يحصل به النفع فى حالتي زيادته ونقصه » فسارت هذه الكلمة حتى بلغت الحاكم بأمر الله بمصر ، فاستدعى ابن الهيثم ، وأكرمه وبذل له المال ، فنزل ابن الهيثم في النيل حتى بلغ الموضع المعروف بالجنادل، قبلي مدينة اسوان ، فعاين ماءالنيل واختبره من جانبيه وعجز عن الاتيان بشيء فى هندسته ، هذه رواية الموسوعة الفرنسية فى ص ٨١٣ ، وروايات أخرى تقول : « ان ابن الهيثم قال : تأملت فى آثار قدماء المصريين من أهرامات وغيرها فعلمت أن من بنى هذه الاوابد لم يكن ليعجز عن اقامة هندسة للمياه فى اسوان ، لو وجد ذلك ممكنا ، اي ان ابن الهيثم رأى استحالة عمل هندسة فى النيل « وما راء كمن سمعا » ، والقول على التوهم غير القول بعد المعاينة ، فلذلك عاد من النيل عاجزا ، ولكنه خاف من اعلان عجزه للحاكم ، وكان غشوما ظلوما ، فأظهر ابن الهيثم الجنون ، لينجو من بطش الحاكم ، فضبط الحاكم ما عنده من مال ومتاع، واقام له من يخدمه ، وترك في منزله، فلم يزل كذلك الى أن مات الحاكم ، فأظهر ابن الهيثم العقل ، وخرج من داره فاستوطن قبة على باب الجامع الازهر ، واعيد اليه ماله فانقطع الى التصنيف والافادة الى أن توفي » .

وقد ذكر الزركلي لابن الهيثم سبعين مؤلفا ، عدد منها كتاب المناظر ، ورسالة الشكوك على بطليموس ، وكتاب « الاظلال » وكتاب تهذيب المجسطي ، وكتاب « تربيع الدائرة» ورسالة « الاخلاق » ، وقد قال البيهقي في حق هذا الكتاب : «ماسبقه به أحد » ، ولابن الهيثم كتاب مساحة الجسم المتكافيء ، وكتاب الاشكال الهلالية ، وكتاب المرايا المحرقة ، وكتاب « تفسير المقالة العاشرة لابي جعفر الخازن » وكتاب «ارتفاعات الكواكب» .

ولكن ابن ابي أصيبعة ذكر له فى كتابه « عيون الأنباء » الآنف الذكر مائتي كتاب ورسالة فى الرياضيات والفلك والطبيعيات والفلسفة والطب.

وعبارة المستشرق « سوتير » فى اطرائه : « كان علما من أعلام العرب فى الرياضيات والطبيعيات وكانت له الى ذلك مشاركة في الطب ، وفى علوم الاوائل الأخرى ، وخاصة في فلسفة أرسطو » .

لقد كان ابن الهيثم عظيم الاثر فى حضارة الاوروبيين العلمية ، واسمه عندهم « الهازن » ، وهذا الاسم كما يقول « الزركلي » : اقرب الى « الخازن » منه الى « ابن الهيثم » . ولكن الذي يقصده الغربيون من « الهازن » هو ابن الهيثم من غير شك ، ولعل السبب فى أن سموه كذلك ان اول ما شاع عندهم من كتب ابن الهيثم ، هي رسالة «تفسير المقالة العاشرة لابي جعفر الخازن» من شرح ابن الهيثم ، فلعله التبس عليهم اسم المؤلف باسم الشارح ، فخلطوا ، فكانت تسمية ابن الهيثم

عندهم « الهازن » .

وقد بالغوا فى ترجمة كتبه الى لغاتهم ، فكتابه « المناظر » نشر بالالمانية عام ١٥٧٢م فى مدينة « بال» مع رسالة له في الشفق . وقد نقل هذه الرسالة الى اللاتينية « جيرار دي كرمونا » ، وكان لكتاب المناظر

هذا اثرا بالغ فى معرفة الغربيين لهذا العلم فى العصور الوسطى من«روجير باكون » الى « كبلر » أي خلال ثلاثة قرون ونصف القرن ، اذ أن « روجير باتون » — العالم الانكليزي ، ولد سنة ١٢١٤م ، « وكبلر » مولود فى روتنبرغ بألمانيا سنة ١٥٧١ ، وكان عالما فلكيا .

وقد نشر « فيدمان » الالماني كتاب ابن الهيثم « كيفيات الاظلال » باللغة الالمانية عام ١٩٠٧ واشترك مع « هيبرج » فى نشر كتاب « المرايا المحرقة بالقطوع » فى مجلة المكتبة الرياضية بالمجموعة الثالثة في المجلد العاشر سنة ١٩١٠م صفحة ٢٠١ وكذلك قام « فيدمان » نفسه بنقل كتاب « فى المرايا المحرقة بالدوائر » بالمجموعة نفسها من صفحة ٢٩٣ الى ٣٠٧ ، ثم قام « سوتير » بترجمة كتابه « فى مساحة الجسم المتكافيء » بالمجلد الثاني عشر سنة ١٩١٢ مع شروح عليه .

وقد ذكرت المعجمية الفرنسية أن ابن الهيثم له مؤلفات عدة فى الرياضيات والفلك والفلسفة والعلوم الطبيعية واغلبها ضاع ، وبقي منها رسالة فى المنحنيات الهندسية ، مما يجعلنا نثق بأنه كان على اطلاع تام على كتاب « بديهيات اقليدس » والى ابن الهيثم وحده يرجع فضل اكتشاف البرهان بالعدد « ٩ » على صحة العمليات الرياضية .

ان الغربيين اطلعوا فى كتاب ابن الهيثم «المناظر» لاول مرة، على وصف دقيق للعين وعلى أن النظر يأتي من نور الاشياء المرئية لا من نور العين كما كان يظن اليونان ، وعرفوا كيف عالج ابن الهيثم — ولاول مرة أيضا قضية الانعكاس ، والغرفة المظلمة التي كانت هي فاتحة الباب لاختراع آلة التصوير الشمسي .

وقد اعترف بفضل ابن الهيثم مع ما ذكرنا العالم « سارتون » الذي قال : « ان ابن الهيثم أعظم عالم ظهر عند العرب في علم الطبيعة ، بل أعظم علماء الطبيعة فى القرون الوسطى ومن علماء البصريات القلائل فى العالم كله وقال فرنسيس باكون ١٥٦١ — ١٦٢٧ م فى كتابه « قيمة تقدم العلوم» الذي الفه سنة ١٦٠٥م : « أن الكندي وابن الهيثم دعامتا علم البصريات ».

وقد توفي ابن الهيثم عام ٤٣٠هـ — ١٠٣٩م فى القاهرة ، عند اكثر المؤرخين ، الا البيهقي فى كتابه «تاريخ حكماء الاسلام » فقد قال ان ابن الهيثم لما خاف على نفسه من الحاكم بأمر الله هرب الى سورية ، ولم يذكر وفاته ، ولا عودته الى مصر .

ذلك كان نجما في سماء الحضارة الاسلامية ، أنار الطريق أمام أوربا، فيمن أنارها من علماء المسلمين، وكان نعم العالم في نعم المناخ يومئذ، مناخ الحرية العلمية والسمو الفكري والخصوبة الحضارية التي زرعها الاسلام حيث دخل وانتشر ، فلولا الحضارة الأم ما خرج الابناء البررة، النشطون الى كل خير وعلم وصلاح.



للدكتور نجاشي علي ابراهيم

مرت المحنة بيوسف عليه السلام ، وانتهى أمرها ، وهي تحمل بين ثناياها الخير له من حيث لا يدري ، فاذا به يتبوأ مكانة عالية ، ويحتل مركزا مرموقا ، ويشيع أمره بين الناس ، فيقصدونه طالبين رفده وعطاءه .

لقد عز الطعام ، والناس في أشد الحاجة اليه ، ويوسف بما وهبه الله : من ذكاء وحكمة ـ كان ـ يفعل ما فيه مصلحة الخلق ، في وقت يطيش فيه عقل اللبيب ... « **وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين** » سورة يوسف / ٥٦ .

واذا كان الطعام : قد عز في أرض مصر ، نظرا لما حل بها من قحط ، فقد أصاب القحط أيضا : أرض كنعان التي يقيم فيها يعقوب عليه السلام .

وقد استطاع يوسف بفطنته ، وحسن تدبيره : أن يواجه مشكلة القحط التي نزلت بمصر ، وأخذ يوزع الخير بين عباد الله بالقسطاس المستقيم .

ولما أصاب أرض كنعان ما أصابها : قصد أهلها أرض مصر ، لعلهم أن ينالوا شيئا من خيرها الكثير ، الذي يتحدث عنه الناس في كل مكان .

وكان ممن وفدوا على مصر : اخوة يوسف الذين غدروا به ، وألقوه في غيابة الجب ، فعرفهم يوسف وهم له منكرون : لا يعرفونه لأن يوسف ـ الآن ـ تبدو عليه مظاهر الأبهة والملك ، وقد كان طول المدة ـ منذ القائه في الجب ، حتى لحظة قدومهم ـ سببا مباشرا في عدم معرفتهم له .

فمرور الوقت ، وخاصة اذا طال ، يغير بعض الملامح ، الأمر الذي جعلهم لا يعرفونه ، ثم ان إخوة يوسف : لم يدر بخاطرهم يوما ما ، أن يصل يوسف الى ما وصل اليه ـ فضلا ـ عن أن يكون حيا ، بعد حادثة الجب .

وتحدث يوسف مع اخوته قائلا لهم : أخبروني من أنتم ؟ وما شأنكم ؟؟ .

فقالوا : نحن قوم من أهل الشام .. رعاة .. أصابنا الجهد ، فجئنا نمتار .

فقال يوسف لهم : لعلكم جئتم عيونا ، تنظرون عورة بلادي . فقالوا : معاذ الله ، نحن بنو نبي حزين ، لفقد ابن كان أحبنا اليه ، وقد أمسك أخا له من أمه يستأنس به .

فقال لهم يوسف : ائتوني به ، إن كنتم صادقين فيما تقولون وأصر يوسف على ذلك ، وهو يرغبهم قائلا لهم كما حكى عنه القرآن : « **ألا ترون اني أوفي الكيل وأنا خير المنزلين** » يوسف / ٥٩ .. بل انه أنذرهم ، ان لم يحضروا أخاهم ، فقال لهم : « **فان لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقربون** » يوسف / ٦٠ .

واستسلم الاخوة لما قاله يوسف قائلين له : « **سنراود عنه أباه وانا لفاعلون** » يوسف / ٦١ .

وبعد أن جهزهم يوسف بجهازهم ، وأعطاهم ما قدموا من أجله : أمر فتيانه أن يردوا الثمن الذي دفعه إخوته ـ مقابلا لما أخذوه منه ـ وأمرهم أن يخفوا هذا الثمن في رحالهم ، فقد يكون ذلك سببا في رجوعهم الى يوسف مرة أخرى .

وما توقعه يوسف : هو ما حدث فعلا ، فقد جاء الاخوة اليه مرة أخرى ، وقد أحضروا معهم أخاهم « بنيامين » ، الذي أمرهم يوسف بأن يحضروه معهم .

ولما دخلوا على يوسف قالوا له : أيها الملك ... هذا هو أخونا الذي أمرتنا أن نحضره اليك ، قد جئناك به .

فقال لهم يوسف : أحسنتم وأصبتم ، وستجدون ذلك عندي .

وبر يوسف بما قال ، فأكرمهم وأنزلهم منزلا حسنا ، ثم انه أضافهم ، وأجلس كل اثنين منهم على مائدة ، وقد كانوا عشرة .

ولذلك بقي « بنيامين » ، الذي أحضروه معهم وحيدا ، لا يجد من يجالسه على مائدته ، مثل إخوته العشرة ، الذين جلسوا على خمس موائد .

فقال لهم يوسف : لقد بقي أخوكم وحده .

فقالوا له : كان له أخ فهلك .

فقال يوسف : فأنا أجلسه معي .. فأخذه يوسف ، وأجلسه معه على مائدته ، وجعل يؤاكله .

فلما أقبل الليل ، وحان وقت النوم ، والهجوع الى المضاجع ، قال لهم يوسف : ينام كل اثنين منكم على فراش .

وكما حدث « لبنيامين » عند الاكل ، حدث له عند النوم ، فلم يجد من يقاسمه الفراش .

فقال يوسف : هذا ينام عندي على فراشي .

فنام بنيامين مع يوسف على فراشه ، وهو في غاية الفرح والسرور .

ولما أصبح الصباح ، وتبادل يوسف ـ الحديث ـ مع بنيامين سأله عن أولاده ، فقال بنيامين : ان لي عشرة بنين ، اشتققت أسماءهم ، من اسم أخ لي قد هلك .

فقال يوسف : أتحب أن أكون أخاك ، بدل أخيك الهالك ؟

فقال بنيامين متعجبا : ومن يجد أخا مثلك أيها الملك ، ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل !! ؟؟ .

فبكى يوسف عليه السلام ، وقام الى بنيامين وعانقه ، وهو يهتف بالحقيقة التي لا يعرفها بنيامين ، قائلا له : « **اني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون** » يوسف / ٦٩ .. لقد أساءوا الينا فيما مضى ، أما الآن فقد أحسن الله الينا ، وجمعنا على خير ، بعد أن فرقت الايام بيننا ، ولكن لا تخبر إخوتك بحقيقة ما أعلمتك به .

ويندهش « بنيامين » ، وهو يسمع هذه الحقيقة ، والفرحة تغمره ، والبشر يعلوه ، فينتهز هذه الفرصة ، ليقول ليوسف : أنا لا أفارقك .

ولكن يوسف يقول له : قد علمت اغتمام والدي بفقدي ، فاذا حبستك ازداد غمه .

وتتبخر أحلام « بنيامين » ، وتتبدد آماله الجميلة ، التي عقدها لكي يبقى مع أخيه ، الذي التقى به بعد غيبة طويلة ، فهو يريد أن يبقى مع يوسف ولا يفارقه .

ويحاول يوسف أن يحقق لأخيه بنيامين : رغبته في البقاء ، فيقول له : لا سبيل الى بقائك معي ، الا بعمل قد يسيء اليك .

ولكن رغبة الاخ في البقاء ، جعلته يقول لأخيه يوسف : لا أبالي بذلك ، فافعل ما بدا لك .

وحان موعد الرجوع ، ليعود

الاخوة الى أبيهم ، ومعهم الطعام الذي قدموا لشرائه من مصر ، فجهزهم يوسف بجهازهم ، ووفى الكيل لهم ، وزاد كل واحد منهم : حمل بعير ، وهو لا ينسى قولة « بنيامين » ، ورغبته في البقاء معه .

وأمر يوسف : واحدا من أتباعه ، بأن يجعل السقاية في رحل بنيامين .

والسقاية : إناء نفيس ، كان يكال بها الطعام ، في تلك الاعوام ، ونظرا لعزة الطعام وقلته : كان الكيل بهذه السقاية دون غيرها .

وسارت القافلة متجهة الى أرض كنعان ، بما تحمل من طعام في أمان الله .

وبعد أن قطعت شوطا من الطريق ، اذا بها تفاجأ بمن ينادي عليها ، ويأمرها بالوقوف ، ويتهمها قائلا لها : « **أيتها العير انكم لسارقون** » . يوسف / ٧٠ .

وتوقفت العير ، واخوة يوسف قد علاهم الذهول ، وغمرتهم الدهشة ، وأقبلوا على المنادي ، وهم في حالة انزعاج مما سمعوا ، وقالوا للقوم : « **ماذا تفقدون** » يوسف / ٧١ .. أي ما الذي ضاع منكم ؟؟

فكان الجواب : « **نفقد صواع الملك** » يوسف / ٧٢ .

صواع الملك : هو السقاية نفسها ، ولم يعبر القرآن بها هنا : مبالغة في الافهام والافصاح .

ونظرا لأهمية الصواع المفقود ــ ونفاسته ــ وأنه يكال به الطعام : جعلوا جعلا لمن يأتي به ، ولذلك قال المنادي لأخوة يوسف ، مرغبا لهم في اظهار الصواع « **ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم** » يوسف / ٧٢ .

ويتعجب أبناء يعقوب ، مما نسب اليهم ، وخاصة أنهم اشتهروا في مصر : بالعفة والصلاح ، وأنه ما جال بخاطرهم ، ولا مر بخيالهم : أن تمتد أيديهم الى شيء لا يملكونه ، أو لا يحل لهم ، حتى روى أن نزاهتهم ، وصلت بهم : الى أن عكموا أفواه ابلهم ، حتى لا تنال شيئا من زروع الناس أو طعامهم ، بالاضافة الى أنهم ردوا بضاعتهم ، التي وجدوها في رحالهم .

وقد اشتهر ذلك عنهم ، حتى عرفه الناس جميعا ، فكيف يتهمون بالسرقة ؟ ... وهي أعظم أنواع الافساد في الارض ، انهم على جانب كبير من النزاهة ، لا يليق بهم أن يقع منهم شيء من ذلك ، أو حتى ينسبوا اليه ، وهم الأتقياء البرءاء ، ولذلك قالوا : « **تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين** » يوسف / ٧٣ .

ولكن أصحاب الصواع : لم يقتنعوا بما سمعوا ــ من ادعاء أبناء يعقوب البراءة ــ مما نسب اليهم .

فقال أصحاب يوسف : فماذا يكون العقاب اذن ، لو تبين لكم كذبكم : في ادعائكم البراءة ، وأنكم فعلا سرقتم الصواع ؟ .

فقال اخوة يوسف : عقاب من وجد الصواع في رحله ، أن يسترق ويستعبد سنة ، لأنه ارتكب عملا قبيحا ، فهو ظالم بعمله هذا ، وكل ظالم لا بد أن ينال جزاءه ، ويعاقب

على ظلمه .

وهذا المعنى هو ما يشير اليه القرآن الكريم في قوله تعالى : « **قالوا جزاؤه من وجد في رحله فهو جزاؤه كذلك نجزي الظالمين** » يوسف / ٧٥ .

واخوة يوسف انما يقولون ذلك : ثقة منهم بكمال نزاهتهم ، وهم غافلون عما فعل بهم .

وهذا الحكم الذي قالوه ، وارتضوا تنفيذه — ان وجد الصواع معهم — هو ما كان معمولا به : في شريعة أبيهم يعقوب عليه السلام .

ولم يكن أمام أصحاب يوسف ، الا أن يفتشوا رحال أبناء يعقوب ، ليقفوا على الامر ، ويصلوا الى الحقيقة .

ولم يعارض في ذلك أخوة يوسف ، لأنهم متأكدون من نزاهتهم وبراءتهم .

وحتى تمضي الحيلة التي أرادها يوسف ، بدأ تفتيش أوعية الاخوة العشرة ، فلم يجد شيئا ، فلما انتهى به الامر الى « بنيامين » : روى أن يوسف عليه السلام — قال — ما أظن أن هذا أخذ شيئا .

ولكن الأخوة العشرة قالوا له : والله لا تتركه حتى تنظر في رحله ، فانه أطيب لنفسك وأنفسنا .

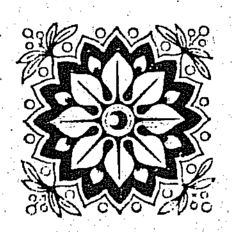
ولبى يوسف عليه السلام : رغبتهم ، وفتش رحل بنيامين ، ثم كانت المفاجأة لأبناء يعقوب العشرة ، حين وجد الصواع في وعاء بنيامين .

وهكذا تمت الحيلة ليوسف عليه السلام ، فقد ألهمه الله تعالى ، وعلمه كيف يحتال ، لتحصيل غرضه : باستبقاء أخيه ، فقد هيأ له من الأسباب : ما جعل الأخوة يقولون ، من حيث لا يشعرون : ان من يوجد الصواع في رحله يسترق ويستبعد سنة .

ولم يطبق يوسف على أخيه : التشريع المعمول به في مصر ، لأنه لن يحقق الغرض المقصود ، من استبقاء أخيه معه ، لأن تشريع الملك يقضي : بأن عقاب السارق — أن يضرب — ويغرم مثلي ما سرق ، دون أن يؤخذ أو يسترق ، كما هو الحال في شريعة يعقوب عليه السلام .

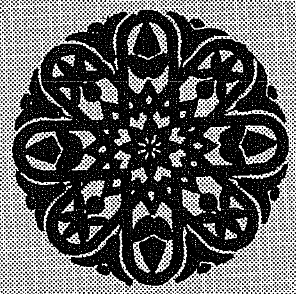
فلم يكن ليوسف اذن ، أن يتمكن من أخذ أخيه : الا اذا طبق عليهم : شريعة أبيهم يعقوب ، وهو ما أجراه الله على ألسنتهم حين قالوا ما قالوا ، لأن تشريع الملك المعمول به في مصر ، لا يساعده على تحقيق رغبته ، بل انه يفوت عليه الغرض الذي أراده .

وهكذا نرى : ان الحيلة التي قصدها يوسف ، وأتم تنفيذها هي : أن جعل الصواع في رحل بنيامين ، والهدف من ذلك هو : استبقاء أخيه عنده في مصر ، ليعيش معه ، وقد تم له ما أراد بفضل الله وتوفيقه .



« وفي الأرض آيات للموقنين »





لا شك أن العلم يدعو إلى إيمان له عمقه ومغزاه ، لأنه يفتح لنا بابا واسعا ، لنتطلع من خلاله إلى أسرار الخلق ، ونظم الكون ، ونواميس الحياة ، فنرى أن كل شيء قد قام على أسس متقنة ، ونظم مقدرة ، وشرائع صامدة ، نعبر عنها عادة بالمعادلات والقوانين ، وهذا ينبئنا بالخبر اليقين ، خبر أن الله سبحانه وتعالى قد (**أعطى كل شيء خلقه ثم هدى**) طه/٥٠ .

والذي يقرأ القرآن الكريم عن علم ، لا يستوى مع من يقرؤه بغير علم مصداقا لقوله تعالى : (**قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون**) « الزمر/٩ » .

خذ لذلك مثلا تلك الآية الكريمة : (**الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا فاذا أنتم منه توقدون**) « يس/٨٠ » .. أو قوله تعالى : (**أفرأيتم النار التي**

تورون . أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون) « الواقعة/ ٧١ و٧٢ » .

فرغم أن هذه الآيات في ظاهرها بساطة ، إلا أن في باطنها عمقا وأصالة ، وكثيرا ما مررنا عليها مر الكرام ، دون أن نفطن لما فيها من نظم وأحكام ، ومع ذلك ، فقد تجلت لنا في ساعة من ساعات الصفاء العقلي أو « الروحي » ما تحويه من إشارات تنطوي على أسرار لازلنا في بعض تفاصيلها حائرين ، وإن كنا لعظمتها مقدرين .

والعلم دائما يبدأ بالتساؤل : كيف ، ولماذا ، وما ، وأين .. الخ ، أي أنه لا يأخذ الأمور هكذا على علاتها ، بل يريد أن يتوصل إلى مكنوناتها ، ويكشف عن نظمها وأسرارها ، والسبيل إلى ذلك صعب المنال ، لأن السر المكتشف قد يقود إلى أسرار أدق ، وإلى ألغاز أعمق ، وبحيث يبدو لنا أننا كلما اقتربنا من الحقيقة ، أو أصبحنا منها قاب قوسين أو أدنى ، أشاحت بوجهها ، فنتخبط في بحار من الأسرار ليس لها من قرار .

فظاهر الأمر أن الشجر الأخضر مصدر من مصادر النار ، ولقد فسر المفسرون التقليديون هذه الظاهرة تفسيرا لا يتفق وما تنطوي عليه هذه الآيات من حكمة خافية ، ولهم في هذا عذرهم ، لأن لكل عصر أفكاره التي تناسبه ، ولكل مفسر مجاله الذي يلائمه ، ولا شك أن العصر الذي نعيش فيه الآن قد أسبغ على الانسان علوما تنوء بها رفوف المكتبات مهما اتسعت رقعتها ، وهذه العلوم لم تأت من فراغ ، ولا هي من صنع الانسان ، بل إن مصدرها الأساسي ينبع من النظم البيولوجية والطبيعية والكونية ، ولقد حثنا الله سبحانه وتعالى على البحث والتأمل والتفكير في مكنوناتها : **(الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك)** آل عمران/ ١٩١ ، وما أكثر الآيات التي جاءت في هذا المجال : **(إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) الرعد/ ٣ : (لقوم يعلمون)** النمل/ ٥٢ : **(لأولى الألباب)** الزمر/ ٢١ ... الخ .. الخ .

● ● ●

نعود إذن لنتساءل : ما هي طبيعة هذه النار التي جعلها الله في الشجر الأخضر ؟.. وكيف اختزنت فيه ، ثم كيف خرجت ؟.. ولأي هدف ترمى هذه الآيات ؟.. ولماذا يتحدى الخالق البشر بتساؤل له مغزاه ومعناه كما جاء في الآية

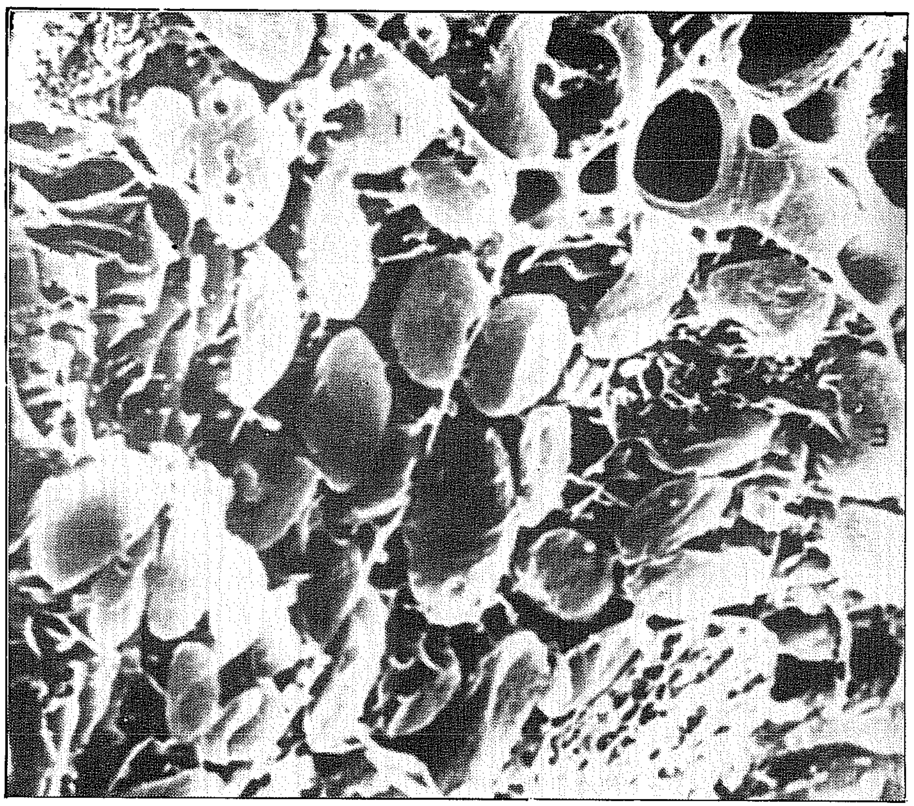
(أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون) ... الخ .

الواقع أن النار صورة من صور الطاقة ، ونحن نعرف الآن أن الطاقة تتخذ ظواهر شتى .. فمن طاقة حرارية ، إلى طاقة كيميائية ، إلى طاقة حركية أو ميكانيكية ، إلى طاقة كهربية ، إلى طاقة ضوئية .. ونعرف كذلك أن أية صورة من هذه الصور يمكن أن تتحول إلى صورة أخرى تبدو في الظاهر مختلفة ، لكن جوهرها واحد .. فمن الممكن أن تتحول الطاقة الضوئية إلى أخرى كيميائية ، والكيميائية إلى كهربية ، والكهربية أو الكيميائية إلى حرارية ، والحرارية إلى حركية أو ميكانيكية ، والميكانيكية إلى كهربية وحرارية .. الخ ، أي كأنما الطاقة تلعب أمام أعيننا وفي عقولنا لعبتها المثيرة ، فتختفي بوجه ، لتظهر بوجه آخر مختلف ، ولقد استفاد الانسان من هذه الصور او الأوجه ، وصمم لذلك اختراعات لا نستطيع أن نحصيها عدا .

وطبيعي أن شيئا لا يأتي من لا شيء .. فالنار التي تنطلق من الشجر ، لا توجد فيه على هيئة نار كامنة أو مختزنة ، بل هي ـ في الواقع ـ طاقة كيميائية ، وعندما تتحرر هذه الطاقة ، تبدو لنا بوجه آخر ، أي تنطلق على هيئة طاقة حرارية (النار) ، وأخرى ضوئية (فالنار يصحبها نور يمكن رؤيته في الظلام) ، ومن الممكن تحويل الطاقة الحرارية التي تنتج من احتراق الشجر إلى طاقة حركية ، أو آلية ، أو ميكانيكية (لأنها تحول الماء إلى بخار ، والبخار يدير آلة بخارية ، فتتحرك أو تدور ، وقد تستخدم هذه الحركة في « الدينامو » لتوليد طاقة كهربية ، وهذه بدورها قد نضيء بها مصباحا ـ أي نحولها لطاقة ضوئية ، أو قد نستخدمها كطاقة حرارية ، كما هو الحال في المكواة الكهربائية أو في الأفران الكهربية .. الخ) .

لكن كل هذه التصميمات البشرية المستخدمة في تحويل أية صورة من صور الطاقة إلى صورة نافعة ، تعتبر شيئا بدائيا إذا ما قورنت بالنظم العظيمة التي يحتويها الشجر أو أي نبات آخر أخضر .. والحق أنه لا وجه للمقارنة بين ما أنشأ الله ، وأنشأ الانسان ، لأن النبات هو أعظم تنظيما وأكفأ تصميما ، وأدق تكوينا لتناول الطاقة الشمسية ، ثم تحويلها إلى طاقة إليكترونية أو كهربية ، ثم اختزانها في الجزيئات العضوية ، على هيئة طاقة كيميائية .. هي التي نراها فيما ينتجه الشجر أو النبات الأخضر من أخشاب وغذاء وثمار وحبوب وزيوت وفيتامينات .. الخ .. الخ .

ومن الميسور أن يقع أي تصميم بشري لأية فكرة بشرية بين أيدي خبراء متخصصين في هذا النوع من التصميم ، فيفكونه قطعة قطعة ، أو يفحصونه جزءا جزءا ، ثم يعرفون سره ، ويمكن بعد ذلك تقليده أو تطويره إلى الأكفأ والأحسن .. مثال ذلك : وقوع طائرة حربية متقدمة ، أو تصميم صاروخي ، أو عقل إليكتروني متطور لدولة من الدول ، في حوزة دولة أخرى معادية ، فتعرف الأخيرة كل صغيرة وكبيرة عن هذا التصميم أو ذاك .



= صورة بالميكروسكوب لبعض خلايا نباتيـة ، وفي داخلها نشاهد اجساما كروية او بيضاوية هي البلاستيك التي تنطوي على انظمة دقيقة تقوم بتحويـل الطاقـة الشمسية الى طاقة كيميائية قد تتحرر على هيئة نار ، او تصبح طعاما للاحياء .

لكن هذه الأمور ليست متاحة مع الشجر ، أو أي نبات آخر أخضر .. صحيح اننا نرى النباتات ذات سيقان وفروع وأوراق وجذور وثمرات .. الخ ، وقد لا يجذب انتباهنا في ذلك شيء ، لكن سرها لا يختلف عن سر الحياة في داخل الانسان والحيوان ، لأن حياتها تقوم على ذات الأسس ، التي قامت عليها حياتنا ، فهي تتكون من خلايا ، وتتنفس وتحصل على خامات حياتها ، وتشكلها في جزيئات شتى ، وتنمو وتتكاثر وتموت ، وتخلفها « ذرية » من ذات نوعها (أي البذور) ، وفوق ذلك فقد امتلكت تصميمات فذة لا يمتلكها عالم الحيوان بما في ذلك الانسان ، وبهذه التصميمات تستطيع أن تستفيد بالطاقة الشمسية ، وتحولها إلى طاقة كيميائية ، وعلى هذه الطاقة المختزنة تعيش كل أنواع الحيوان ، وبها تدور عجلة الحياة على الأرض ، ولهذا تمعن في قوله تعالى : (**ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها**) فاطر/٢٧ ، ثم يتبع ذلك

بآية تالية : (**ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء**) فاطر/٢٨ وقد اختتم الله هاتين الآيتين اللتين تتحدثان عن الخلق بخشية العلماء لله ، لأنهم أقدر على فهم أسراره في خلقه ، فيدركون أنها نظم معقدة من داخل نظم أعقد وأدق وأعظم ، وكل هذا شاهد على عظمة : (**الذي خلق فسوى . والذي قدر فهدى**) الأعلى/٢ و٣ .

ذكرنا أنه من الميسور معرفة أي تصميم بشري ، مهما تعقدت أجزاؤه ، وتداخلت تكويناته ، لكن من الصعب جدا معرفة التصميمات المذهلة التي أودعها الله ونمقها في الكائنات ، لتقوم عليها كل صور الحياة .. ومن هذه التصميمات الكثيرة جدا نذكر ظاهرة الخضرة في النبات ، والخضرة هنا ليست لونا فحسب ، ولكنها نظام حي دقيق غاية الدقة ، وعلى هذا النظام العجيب يسيل لعاب العلماء ، ويودون من صميم قلوبهم ، لو أنهم عرفوا كل أسراره ، وتوصلوا إلى حل ألغازه ، عندئذ قد يستطيعون تخليق هذا النظام الكفء .. ونقول هنا : تخليقا ، لا خلقا ، لأن التخليق تقليد ، أما الخلق فمبتكر ، إذ تأتي فكرته الضخمة من عند عزيز مقتدر .

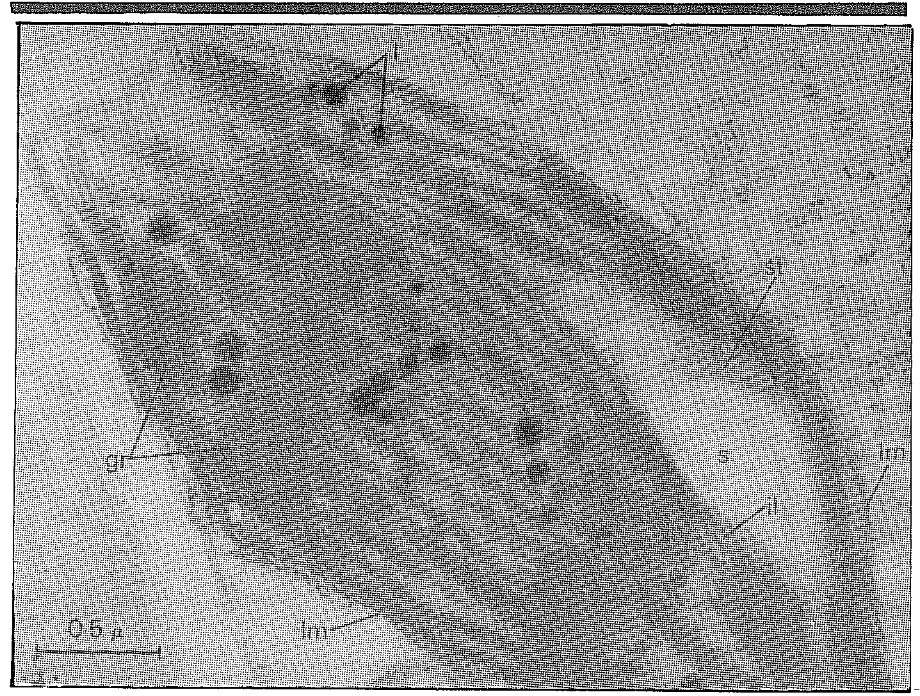
لكن أسرار نظام تحويل الطاقة الشمسية ، إلى طاقة كهروكيميائية في النبات الأخضر ، ليست بالأمور السهلة أو اللينة ، وهي لن تفتح لنا أبوابها من أول طرقة ، بل إن هناك جهودا جبارة ومستميتة يقوم بها آلاف العلماء الأذكياء في عشرات أو مئات المعامل ومراكز البحوث التي يشار إليها بالبنان ، وذلك بغية حل ألغاز هذه البطاريات الشمسية الدقيقة الحية التي تضفي على النبات خضرته ، وبرغم أن هذه الجهود قد استمرت لأكثر من سبعين أو ثمانين عاما متواصلة ، ورغم الامكانيات العلمية المتاحة ، والميزانيات الجبارة ، والأفكار المتطورة ، والحصيلة العلمية الهائلة .. رغم كل هذا ، فلازالت فكرة التنظيم البديع غير واضحة في عقول العلماء الذين تخصصوا في هذا المجال ، واستحق بعضهم جوائز « نوبل » تكريما ، ثم اعترافا بأفضالهم في حل بعض متاهات ذلك اللغز العويص .. لغز البطارية الحية التي نعرفها باسم « البلاستيدة الخضراء » ، وهذا ينبئك بأن الله سبحانه وتعالى قد : (**خلق كل شيء فقدره تقديرا**) الفرقان/٢ ، حتى ولو كان هذا الخلق في مكونة جد صغيرة من مكونات الخلية الحية ، وهذه بدورها لا نستطيع أن نراها بعيوننا المجردة ، بل تأتي الرؤية عن طريق الاستعانة بالميكروسكوبات الضوئية والاليكترونية .

● ● ●

وطبيعي أننا لن نتعرض هنا لتفاصيل تكوين هذه البلاستيدات ، لأن التفاصيل ستجرنا إلى متاهات ، إذ كلما كشفت لنا « الميكروسكوبات » الحجاب عن نظام من النظم التي تزخر بها هذه البطاريات الشمسية الحية الدقيقة ، وجدنا



= يتحول النور في الشجر الاخضر الى نار لكن ذلك لايتم الا من خلال نظم متقنة ، يتوه العلماء في تفاصيلها اعظم تيه .



= مع ان هذه اصورة مقطع في بلاستيدة مكبرة تحت الميكروسكوب الاليكتروني ٢٧ الف مرة الا ان تكوينها لا يزال ينطوي على متاهات من داخل متاهات .. لاحظ انها تبدو على هيئة طبقات ، وكأنما هي الواح بطارية حية لايقدر على صنعها الا الله المقتدر .

أن النظام المكتشف ليس خاتمة المطاف ، بل هو بدوره ــ وعلى دقته المتناهية ــ يتكون من نظم أدق ، تنطوي بدورها على نظم أدق وأدق ، وفي النهاية نصل إلى معمعة من التفاعلات الاليكترونية والكيميائية المنظمة أعقد تنظيم ، وإلى هنا تتشعب آراء العلماء ، وقد تختلف نظرياتهم ، وتتفتح أمامهم أبواب جديدة ، ومنها يلجون إلى أسرار عويصة أعمق غورا ، وأعظم تيها ، وربما يستلزم حلها عشرات السنوات ، أو قد لا يصل فيها العلماء إلى قرار .. ونحن لا نريد أن نشق على القارئ ، ونتعرض لأمور صعبة تستلزم منه أن يكون ضليعا في علوم البيولوجيا والكيمياء والفيزياء ، التي كتب فيها العلماء المجلدات ، ودونوا فيها حصيلة آلاف البحوث التي تناولت عملية تحويل الطاقة الضوئية في النبات الأخضر إلى طاقة كيميائية مختزنة .

يكفي أن نشير هنا إلى أن الخلية النباتية ــ التي لا ترى بالعين المجردة ــ تحوي العشرات من هذه البطاريات الشمسية ، وربما يصل عددها في الخلية الواحدة إلى أكثر من مائة بلاستيدة ، وهذا ينبئك بضآلتها ، إذ يتراوح قطر الواحدة منها ما بين ٣ ــ ٦ أجزاء من ألف جزء من المليمتر ، أي أننا لو تصورنا

أن هذه البلاستيدات قد انتظمت واحدة بجوار الأخرى ، كما تنتظم الحبات في عقودها ، فان كل ألفين منها يمكن أن تتراص في خيط لا يزيد طوله عن سنتيمتر واحد لا غير .

وفي داخل هذه البلاستيدة ـ أو البطارية الحية ـ تنتظم بنايات عجيبة ، تنطوي على نظم عظيمة يحتار فيها العلماء أعظم حيرة ، صحيح أنهم توصلوا إلى تحصيل طوفان من المعلومات الدقيقة ، وصحيح أنهم اكتشفوا الكثير من أسرارها الدفينة ، إلا أنهم قد عجزوا عن تقليدها ، والعجز يرجع إلى قصور في فهم ما تبقى فيها من ألغاز تحتاج إلى بحوث أخرى عميقة .. ولا شك أن العلماء هم وحدهم الذين يقفون أمام هذه النظم بخشوع وانبهار وإعجاب ، لأنها أكفأ نظم يمكن أن تتعامل مع ضوء الشمس ، وتستفيد به استفادة ذات كفاءة عالية .

ولكي نوضح أكثر ، كان لابد أن نشير إلى المجهودات الضخمة التي يقوم بها العلماء الآن لترويض الطاقة الشمسية ، وتحويلها إلى طاقة كهربية ، وعلى هذه البحوث صرفت الدول المتقدمة عشرات أو ربما مئات الملايين من الدولارات ، ولقد تمخضت هذه البحوث عن إنتاج نوع من الخلايا الكهروضوئية ، وهي التي يزودون بها سفن الفضاء ، لكي تحول الطاقة الشمسية ، إلى طاقة كهربية لتشتغل بها أجهزة السفن الفضائية ، وهذا إنجاز محمود من الانجازات العلمية البارزة ، لكن هذا الانجاز يعتبر شيئا بدائيا إذا ما قورن « بالخلايا » الضوئية الكهروكيميائية التي أبدع الله صنعها في البلاستيدة الخضراء الدقيقة .. فمن حيث تركيب الخلايا الكهروضوئية التي ابتكرها الانسان ، فانه من السهل معرفة طريقة عملها ، والنظرية التي قامت عليها ، ثم إنه ليس من الصعب تقليدها ، لكن ذلك يحتاج إلى تكاليف باهظة ، ومن أجل هذا لم تنتشر تلك الخلايا التقليدية الانتشار الذي يمكن أن يعوض الدول منبعا دائما من منابع الطاقة .

لكن الأمر يختلف مع ما صنع الله فأتقن ، فكفاءة « بطارياته » النباتية الحية أكفأ من بطاريات الانسان بحوالي أربع مرات ، أو ربما تصل إلى ست مرات (أي ما بين ٤٠٠ ـ ٦٠٠٪ من كفاءة بطاريات الانسان) ـ أضف إلى ذلك أن تشغيلها لا يحتاج لأكثر من زراعة بذرة في أرض خصبة ، ثم إمدادها بالماء ، وعندئذ تنبت وتكون ساقا وجذورا وفروعا وأوراقا ، وفي داخل الأوراق توجد ملايين فوق ملايين من هذه البطاريات ، لتقوم بأضخم وأتقن وأكفأ عملية على الاطلاق ، ذلك أن إنتاج النباتات الخضراء المنتشرة على سطح هذا الكوكب وفي بحاره تنتج سنويا من المادة العضوية (أي التي تحترق إذا مستها النار) ما يقدر قيمته بعدة مئات ألوف الملايين من الأطنان ، وهذا يمثل إنتاجا ضخما غاية الضخامة ، وبجواره يتوارى إنتاج البشر من صناعاتهم ، مهما بلغت ضخامة هذا الانتاج .

● ● ●

هذه المئات من ألوف ملايين الأطنان من المادة العضوية الحية التي نحصل منها على وقودنا وغذائنا وكسائنا وكل مقومات حياتنا ، لا تستلزم إلا أشعة ضوئية تنساب على كوكبنا بحساب ومقدار ، ثم إن هذا الانتاج الضخم لا يحتاج أيضا إلا لخامتين رخيصتين .. ماء وغاز ثاني أوكسيد الكربون (الموجود في الهواء) ، وبالطاقة الضوئية تقوم « البلاستيدات » بشق الماء ، ثم ربط شق منه مع غاز ثاني أوكسيد الكربون ، وتحوله إلى سكر ، ومن السكر يتكون النشا والزيوت والدهون والخشب والبروتين والفيتامين ومئات بل آلاف من المركبات التي لا نستطيع لها هنا حصرا ، ورغم أن العملية تبدو لنا وكأنما في ظاهرها بساطة ، إلا أن جوهرها ينطوي على أسرار ضخمة غاية الضخامة ، والفضل في ذلك يرجع إلى النظام الأمثل الذي أتقنه الخالق في تلك البلاستيدة التي « تشحن » كل مخلوقات هذا الكوكب بطاقة كيميائية ميسرة ، جاءت أساسا من طاقة ضوئية ، فتختفي في البلاستيدة بوجه ، لتظهر في الكائنات الحية بوجه آخر مختلف ، فتهبها الحركة والدفء والحياة .

ذكرنا في سياق حديثنا في الفقرة السابقة أن الضوء يشق الماء أو يفلقه إلى نصفين .. أي إلى أيدروجين وأوكسجين ، لكن ذلك ليس بالأمر الهين ، فمهما سلطنا من ضوء على الماء ، فانه لن ينشق أو ينفصل إلى شقين ، مهما كان هذا الضوء مركزا ، لكن جزيئيات الكلوروفيل (وهي المادة الخضراء التي تتخذ نظاما فذا داخل البلاستيدة) تستطيع أن تفلق الماء ، بأية كمية من الضوء ، مهما كان هذا الضوء ضعيفا ، وبه تبدأ أعظم وأضخم عملية يمكن أن نراها على هذا الكوكب .. والسر هنا يكمن في التصميم العظيم الذي وضع الله فكرته في داخل تلك البطارية الحية الدقيقة ـ أي في البلاستيدة .

يكفي أن نذكر هنا اننا نستطيع أن نفلق الماء إلى شقيه ، لكن ذلك يحتاج منا إلى طاقة هائلة ، ذلك أن هذا الفلق يمكن أن يتم إذا ما عرضنا بخار الماء إلى درجة حرارة عالية جدا ، قد تصل إلى ٢٥٠٠ درجة مئوية ، وهذه تكفي لصهر معظم المعادن المعروفة ، أو يمكن شق الماء بطاقة كهربية لها شأنها .. لكن البلاستيدة العجيبة تقوم بالعمل ذاته دون أن تلجأ إلى هذه الوسائل العنيفة ، إذ يكفيها ـ كما ذكرنا ـ شعاع من ضوء ، فاذا بهذا التصميم الالهي يقوم بالعملية دون ضجة أو ضوضاء ، بل كل شيء يبدو حولنا وكأنما هو يسير سيرا هينا لينا ، وبطريقة اقتصادية قد لا يحلم بها البشر ، مهما تفتقت عقولهم عن أفكار تكنولوجية ، ومهما تقدمت علومهم وبحوثهم .

ولا شك أن العلماء المهتمين بأمور توفير الطاقة لكوكب تشح فيه مصادر الطاقة ـ لا شك أنهم يتوقون من صميم قلوبهم إلى الاستعانة بنظم الله في هذه « البلاستيدات » الخضراء لكي يحصلوا على مصدر دائم من مصادر الطاقة .. فالماء موجود على هذا الكوكب بكميات ضخمة جدا ، كما أن أشعة الشمس مصدر دائم من مصادر الطاقة على كوكبنا ، لكن معظمها يتبدد ويعود إلى الفضاء على

هيئة إشعاعات حرارية ، والمستفيد الوحيد من اصطياد تلك الطاقة الضوئية هو النبات الأخضر ، ولو استطعنا أن نقلد النبات في رسالته ، لنشق الماء بالضوء ، إذن لحصلنا على ملايين فوق ملايين من أطنان الأيدروجين كل عام ، ذلك أن الايدروجين خامة طيبة لتوليد طاقة نظيفة ، إذ أن هذا الغاز يحترق ، ولا ينتج من احتراقه غير الماء وكميات هائلة من الطاقة الحرارية ، وهذه يمكن تحويلها إلى صور أخرى من الطاقة (كادارة الآلات ، وتوليد الكهرباء .. الخ) .. وكل هذا تحكمه المعادلات التي لن نتعرض لها هنا .

والواقع أن العلماء لا يلجأون إلى الطرق التقليدية لشق الماء إلى عنصريه ، لأن ذلك يحتاج إلى طاقة من الوقود أو الكهرباء ، وهذا من شأنه أن يجعل العملية غير اقتصادية على الاطلاق ، لكن الكفاء والاقتصاد الحق ينبع من نظم الحياة .. تلك النظم التي أتقنها الله : **(صنع الله الذي أتقن كل شيء)** النمل/٨٨ .

لقد وقعت بين يدي مجلة علمية حديثة أثناء كتابتي لهذه الدراسة ، وفيها بحث كتبه أربعة من العلماء المشتغلين في قسم العلوم النباتية بجامعة لندن ، وفيه يشيرون إلى المجهودات والأفكار الكثيرة التي يتناولها العلماء الآن لشق الماء إلى شقيه ، مستعينين على ذلك بالنظام الأصيل والأمثل الذي يسلكه النبات ، وهم في بحوثهم تلك يريدون الحصول على غاز الأيدروجين من الماء ، ليصبح وقودا لا ينضب معينه ، هذا لو استطاعوا أن يسيطروا على الخطوة الأولى التي تخطوها « البلاستيدة الخضراء » في سلسلة معقدة من الخطوات التي تكون بها المادة العضوية ، لكنهم لم يحققوا النجاح المطلوب حتى الآن ، فالمشكلة الكبرى التي تواجه العلماء الآن تتركز في إمكان السيطرة على العملية خارج النبات الحي ، لكنها سرعان ما تخبو بعد ساعات ، ذلك أن مجالها ومكانها الأمثل يكمن في الخلية ذاتها ، مثلها في ذلك كمثل قلب أو كلية معزولة عن جسم صاحبها ، لكن كليهما لا يستطيعان أن يعيشا لفترة طويلة خارج البناء الحي المتكامل الذي يخدم بعضه بعضا ـ نعني به الجسم الحي .

نعود لنقول : إن الموضوع لازالت تكتنفه ألغاز ومتاهات ، هذا رغم التقدم العلمي الجبار الذي نلحظه في كل المجالات .. لكن هذا التقدم لا حيلة له ، ولا مأرب منه ـ الآن على الأقل ـ إذا ما تعرض لفكرة هائلة أودعها الخالق في النبات ، وبحيث تبدو لنا كواحدة من التحديات العظام التي تجابه الانسان ، وإلى هنا تتجلى لنا المعاني العظيمة التي تنطوي عليها آيات القرآن الكريم ، ثم هي توضح بجلاء معنى الآية التي سبق أن أشرنا إليها .. **(أفرأيتم النار التي تورون . أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون)** .

والحق نقول : إننا لن نستطيع أن ننشيء شجرة ، ولا خلية في شجرة ، ولا بلاستيدة في خلية ، ولا أن نقلد وظيفة نظام جد صغير ، يتمثل لنا في بطارية حية دقيقة ، فتحيل « النور » إلى طاقات ، ومنها تخرج النار ، وبها توقد جذوة الحياة في كل الكائنات : **(صنع الله الذي أتقن كل شيء)** .

مائدة القارئ

بين الأب وابنه

قال تعالى : (واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم . ووصينا الانسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك الى المصير) الآيات من سورة لقمان .

الحماقة

الحماقة : مأخوذة من حمقت السوق اذا كسدت ، فكأن الأحمق كاسد العقل والرأي ، والحمق غريزة لا تنفع فيها الحيلة ، والحماقة داء لا دواء لها .

قال الشاعر :

لكل داء دواء يستطب به   الا الحماقة أعيت من يداويها

رفعة العلم وعزة العلماء

قال القاضي الجرجاني :

ولم أقض حق العلم ان كنت كلما   بدا طمع صيرته لي سلما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي   لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أأشقى به غرسا ، وأجنيه ذلة   اذا فاتباع الجهل قد كان أسلما

حكمة

صمت تسلم به خير من نطق تندم عليه .

حب الولد

روى عروة عن عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ قالت : « جاء الى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ رجل من أهل البادية . فقال : « يا رسول الله أتقبلون الصبيان ؟ » قال : « نعم » قال : « فوالله ما نقبلهم » قال : « أو أملك إن كان الله نزع من قلبك الرحمة » .

حيلة غريم

قدم قوم غريمهم الى الوالي وادعوا عليه بألف درهم ، فقال الوالي : ما تقول ؟ فقال : صدقوا فيما يقولون ، ولكني أسألهم أن يمهلوني لأبيع عقاري ، وإبلي ، وغنمي ، ثم أوفيهم .
فقالوا أيها الوالي : قد كذب ، والله ما له شيء من المال لا قليل ولا كثير .
فقال : قد سمعت شهادتهم بإفلاسي ، فكيف يطالبونني ؟! فأمر الوالي بإطلاقه .

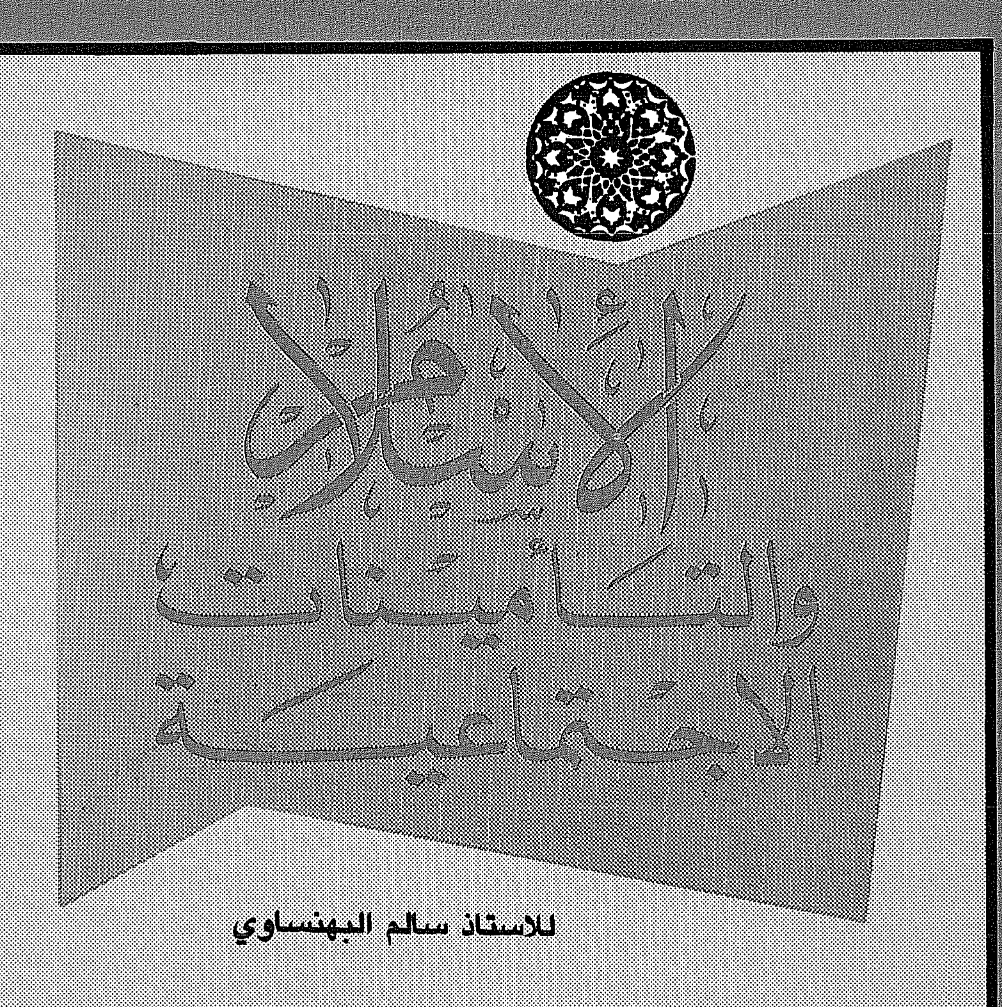
رجل لا يغتاب أحدا

قيل للربيع بن خيثم : ما نراك تغتاب أحدا ، فقال : لست عن حالي راضيا حتى أتفرغ لذم الناس ، ثم أنشد :

لنفسي أبكي لست أبكي لغيرها   لنفسي من نفسي عن الناس شاغل

رجاء في عفو الله

قال يحيى بن معاذ يناجي ربه : الهي يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب على رجائي مع الأعمال ، لأني أعتمد في الاعمال على الاخلاص ، وكيف لا أحذرها ، وأنا بالآفة معروف .
وأجدني في الذنوب أعتمد على عفوك ، وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف .



للاستاذ سالم البهنساوي

لم يتعرض الفقهاء الاقدمون لنظم التأمينات الاجتماعية لان نظام الزكاة والتكافل في الاسلام ، يغطي هذه الناحية فلا حاجة معها لهذه التأمينات .

اما التأمينات الاهلية او التجارية فمنهم من تعرض لها مثل ابن عابدين حيث ذكر « انه جرت العادة ان التجار اذا استأجروا مركبا من حربي ، يدفعون له اجرته ثم يدفعون ايضا مالا معلوما لرجل مقيم في بلاده ، يسمى ذلك المال (سوكره) على انه مهما هلك المال الذي في المركب بغرق او حريق او نهب او غيره فذلك الرجل ضامن له بثمنه ، في مقابلة ما يأخذه منهم ، فاذا هلك من مالهم شيء ، يؤدي ذلك المستأمن للتجار بدله تماما ، او بدل المال الذي هلك ثم يقول ابن عابدين (والذي يظهر لي انه لا يحل للتاجر أخذ بدل الهالك لانه التزام ما لا يلزم)

وعلى الرغم من صدور هذا الرأي من

ابن عابدين المتوفى سنة ١٢٥٢ هـ إلا أن الفقهاء او العلماء المعاصرين لم ينتهوا بعد الى رأي قاطع في التأمينات الاهلية او التجارية ، فمؤتمر اسبوع الفقه المنعقد في دمشق ١٩٦١ بمناسبة مهرجان لابن تيمية ، تعرض لهذا التأمين وانتهى الى مناشدة الخبراء ان يعكفوا على دراسة المستحدث من العقود واساليب التأمين تمهيدا لبيان الحكم في كل منها ، وليكون رأي العلماء صادرا عن معرفة دقيقة بالاوضاع العملية للتأمين وصوره المختلفة .

ولسنا بصدد اصدار حكم فقهي في هذه المسألة الاجتهادية ولكن نشير الى ان التأمين التجاري مازال يحتاج الى دراسة ورأي جماعي ، وذلك ان بعض العلماء يرى حل انواع معينة منه مثل تأمين السيارات الشامل والاجباري لزوال الغرر والمقامرة ، وبعضهم يرى حرمة التأمين على الحياة ويرتاب في غيره .

بينما التأمين الاجتماعي الذي نحن بصدده لم يتعرض له أحد مع ان الحكم فيه اوضح وذلك لبعده عن شبهة الغرر والمقامرة كما ان الربا ليس من مقوماته ، وما قد تقوم به مؤسسة التأمينات الاجتماعية من فرض فائدة سنوية على اصحاب الاعمال المتخلفين عن السداد او على العمال الراغبين في ضم مدة خدمة سابقة أمر لا تستلزمه طبيعة التأمين الاجتماعي بل يتنافى هذا مع صفته الاجتماعية ، وفي استطاعة هذه المؤسسة ان تعفي هذه الفئة من العمال من هذه الشبهات ، كما في استطاعتها ألا تترك أموالها للضياع لتحصل ما بقي منها بفائدة سنوية من اصحاب الاعمال .

والجدير بالذكر ان زوال شبهة الغرر والمقامرة يرجع الى ان الدولة هي التي تفرض هذا التأمين اجباريا بقوة القانون وذلك لمصلحة افراد المجتمع الذين يشملهم هذا التأمين ، ولهذا فالاموال التي تفيض لا تعد ربحا للمؤسسة او الخزانة العامة انما تعود على المجتمع في شكل مزايا جديدة او زيادة في المزايا الحالية ، والخسارة تتحملها الخزانة العامة حسبما نص عليه القانون .

وبعد ما تقدم نبين وجه الشبه بين الزكاة والتأمينات الاجتماعية من حيث أثرهما الاجتماعي إذ أن الزكاة فضلا عن طابعها الاجتماعي هي عبادة يؤديها المسلم ابتغاء رضوان الله .

وفي الجانب الاجتماعي ينفرد نظام الصدقات بشموله غير المسلمين ومن هنا كان قانون الخليفة الثاني (أيما شيخ من أهل الذمة ضعف عن العمل وصار أهل ملته يتصدقون عليه عيل هو وعياله من بيت المال ما أقام بدار الاسلام)

بين التأمينات الاجتماعية والزكاة

لما كان الغرض من التأمينات الاجتماعية هو ضمان مستوى معين من المعيشة للعمال والموظفين عند فقدهم القدرة على العمل بسبب اصابات العمل والعجز الكلي او

الشيخوخة ، ثم نقل هذا الحق الى ذويهم عند الوفاة . فان التكافل الاجتماعي في الاسلام يغطي هذه الناحية ويتميز بانه لا يخص العمال والموظفين وحدهم ، كما انه لا يربط الاستفادة منه بالقدرة المالية على المساهمة والاشتراك في هذا النظام ، ولا يشترط مدة معينة إن لم تتوفر سقط الحق في المعاش ، وأيضا لا يجعل للمعاش نسبة ثابتة ، فحده هو سد الحاجة .

والجدير بالذكر ان التكافل الاسلامي ليس هو الزكاة وحدها ، بل كانت بدايته قول الله تعالى : (**ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو**) البقرة/ ٢١٩ والعفو هو الزيادة وفي الحديث الشريف (من كان له فضل ظهر ــ خيل ــ فليعد به على من لا ظهر عنده ، ومن كان معه فضل من زاد فليعد على من لا زاد عنده) رواه مسلم .

فكل ما زاد عن حاجة الغني كان مطلوبا للفقير في بداية تكوين المجتمع الاسلامي ، ولذا ذابت الفوارق المخلة بتوازن المجتمع وذلك بتطبيق هذه النصوص وغيرها مثل آية الحشر التي اعادت التوازن ونصها (**ما افاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم**) الحشر /٧

وبعد ان زالت الضرورة الناشئة عن الهجرة ثم استقر المجتمع ولم يحمل في طياته بذور الاختلال والاعتلال فرض الله نظام الزكاة . ولقد حدد القرآن الكريم المستحقين للزكاة **بقول الله تعالى : (إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم)** التوبة/ ٦٠ . وتلك هي مصارف الزكاة كما في كتب الفقه .

وبمقتضى هذه الآية الكريمة تلزم الدولة الاسلامية بكفالة رعاياها في الحالات المشار اليها واذا عقدنا مقارنة بينها وبين الحالات التي تلزم الدول الحديثة بتغطيتها في مواجهة رعاياها حق لنا أن نقول ان نظم التأمينات الاجتماعية السارية المفعول حاليا في المجتمعات الحديثة لم تدرك بعد نظام الزكاة والتكافل الاجتماعي الذي جاء به الاسلام منذ اربعة عشر قرنا من الزمان .

وحينما نقول ان نظم التأمينات الاجتماعية في العصر الحديث لم تبلغ ما بلغه نظام الزكاة في الشريعة الاسلامية فهذا القول لا يصدر عن عاطفة نعبر بها عما في انفسنا باسلوب حماسي ولكننا نقرر حقيقة قائمة فعلا .

فالزكاة تستفيد منها جميع طبقات المجتمع ، فلا تشمل حالات فقد القدرة على الكسب من مرض واصابات وبطالة وعجز وشيخوخة فقط بل يستفيد منها ايضا القادر على الكسب في حالات منها :

١ ــ اذا كان لا يحصل على ما يسد حاجته وهذا هو الفقير ثم المسكين

وفقا لترتيب ـ القرآن الكريم ـ فقد سمى مالكي السفينة بالمساكين في آية سورة الكهف : (**أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر**)

٢ ـ اذا كان مدينا وعجز عن آداء الالتزامات الملقاة على عاتقه سواء كانت هذه المديونية شخصية أم ترتبت على كفالته للغير ممن استغرقت الديون أموالهم اذ من حق هؤلاء ألا يتنكر لهم المجتمع ، وعليه ان يهيء لهم ما يتمكنون به من استئناف حياة كريمة وقد سمى القرآن هؤلاء بالغارمين وهم سادس المستحقين من الزكاة .

٣ ـ اذا كان بعيدا عن موطنه ونفدت أمواله السائلة سواء كان ذلك بسبب السفر او الفرار من ظلم او اضطهاد وهذا هو ابن السبيل بتعبير القرآن .

٤ ـ اذا كان من الذين يقومون بتنفيذ نظام الزكاة ـ قال تعالى : (**والعاملين عليها**)

٥ ـ اذا كان من المحاربين ـ في سبيل الله ـ قال تعالى : (**وفي سبيل الله**) **وقد قال بعض الفقهاء ان هذا المصرف عام يشمل سائر المصالح العامة وليس خاصا بالمجاهدين في سبيل الله وقال ابن حزم المصرف خاص بهم وهو الصواب لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (لاتحل الصدقة لغني الا لخمس وذكر اولهم الغازي في سبيل الله ـ حديث ابي سعيد الخدري ـ رواه ابو داود والدارقطني مرفوعا .**

ولا يخفى علينا ان من الناس من يقول ان التعويض المنصوص عليه في نظم التامينات الاجتماعية حاليا يحصل عليه المؤمن عليهم بنص قانوني ملزم بينما الاستحقاق في الزكاة ليس كذلك وهذا مردود عليه بان الزكاة ليست احسانا ـ قال تعالى : (فريضة من الله) ، (والذين في اموالهم حق معلوم . للسائل والمحروم) المعارج ٢٤ و ٢٥

ولذلك حارب الخليفة الاول كل من امتنع عن تسليم الزكاة للدولة .

فاذا لم يقم المسلمون بتنفيذ هذه النصوص واضاعوها فيما اضاعوا من نظم حتى اصبح تنفيذ الزكاة اختياريا فليس هذا عيب التشريع الاسلامي .

وما اخذ به قانون التأمينات الاجتماعية والمسمى بنظام تكوين الاموال ومؤداه ان يساهم العمال بجانب اصحاب الاعمال في تمويل هذا النظام كان لسبب اقتصادي حيث لا يمكن الاخذ بنظام توزيع الاموال حاليا خشية مقابلة اي ضغط اقتصادي فلا تستطيع الدولة القيام بالتزاماتها تجاه المؤمن عليهم .

وختاما نشير الى ان المستحقين من الزكاة لا يتعرضون للروتين المعقد والمهانة التي يتعرض لها المؤمن عليهم في ظل نظم التأمينات الحديثة وقد احسن المشرع حين أسند أمر تنفيذ التأمينات الاجتماعية الى مؤسسة التأمينات الاجتماعية .

ولنا كبير الامل في أن يدرك موظفو مؤسسات التأمينات الاجتماعية خطورة الرسالة التي يقومون بها .



تنفيذا لتوصيات اللجنة الوطنية لتوعية المسلمين بقضية فلسطين والقدس الشريف بالكويت يسر مجلة الوعي الاسلامي ان تنشر هذه الموضوعات التي اعتمدتها تلك اللجنة في اجتماعاتها .

للقدس في الاسلام مكانة عظيمة تنبع من قدوم خاتم الانبياء محمد صلى الله عليه وسلم وحلوله في ارضها وارتباطها بالمسجد الاقصى المبارك الوارد ذكره في القرآن الكريم وبالاسراء والمعراج ولانها قبلة المسلمين الاولى ومسجدها ثالث الحرمين الشريفين . التي لا تشد الرحال الا اليها لمقامها المختار في الاسلام .

ويزيد من مكانة القدس في العالم الاسلامي انها احتوت في ارضها المباركة رفات عدد من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم والمجاهدين الشهداء الابرار على مر السنين والايام . ولقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « لا تشد الرحال الا الى ثلاثة مساجد » (المسجد الحرام والمسجد الاقصى ومسجدي هذا) رواه البخاري وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الصلاة في المسجد الاقصى تعدل خمسمائة صلاة في غيره من المساجد باستثناء المسجد الحرام والمسجد النبوي . وجاء في الحديث « من مات في بيت المقدس فكأنما مات في السماء » وعن أنس بن مالك رضي الله عنه انه قال : « أن الجنة لتحن شوقا الى بيت المقدس » . وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قال : « بيت المقدس بنته الانبياء وعمرته الانبياء » ما فيه موضع شبر الا وقد صلى فيه نبي . وجاء في

الحديث : « من أهل بعمرة من المسجد الاقصى الى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر أو وجبت له الجنة » رواه ابو داوود واحمد .

وقد ضمت هذه الارض المباركة رفات الشخصيات البارزة الذين عرف دفنهم في القدس وما حولها (الصحابي الجليل شداد بن اوس والصحابي الجليل عكاشة وعبد الله القرشي وابو مدين الغوث المغربي والجراح من قواد صلاح الدين ومجير الدين بن الحنبلي صاحب كتاب الانس الجليل ومولانا محمد علي الهندي من زعماء العالم الاسلامي والبطل الشهيد عبد القادر الحسيني ومئات آخرون منذ الفتح ، العمري) .

ومن هؤلاء من دفن في مقبرة مأمن الله التاريخية المشهورة ومنهم من دفن في مقبرة باب الرحمة عند باب الاسباط ومنهم من دفن في مقابر خاصة مثل مجير الدين .

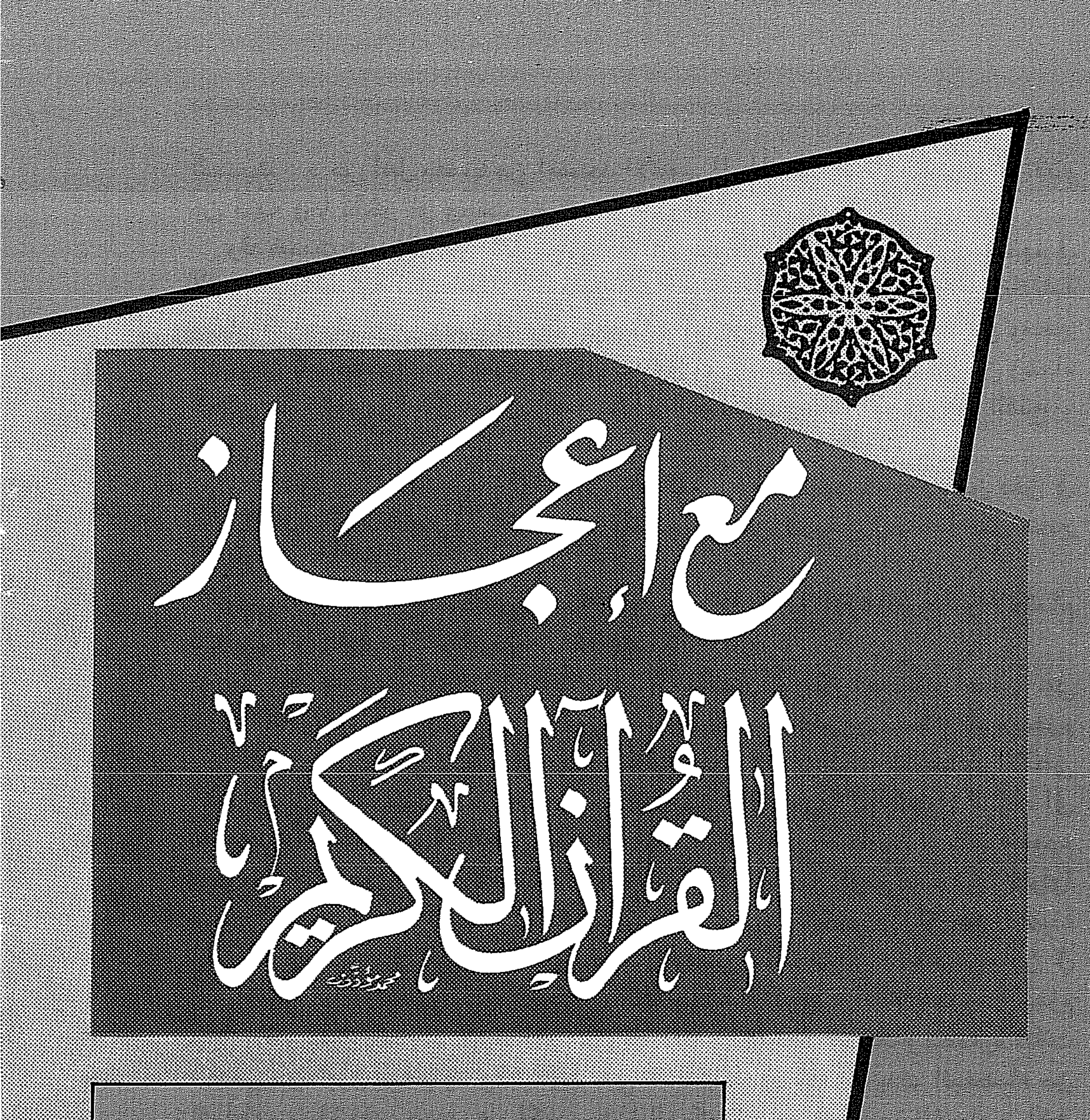
وقد كان الفتح الاسلامي لمدينة القدس بداية الخير لهذه المدينة والاهتمام بشئونها ورعاية سكانها وتأمين حقوقهم .

ولما احتلها الصليبيون الاجانب رواد الاستعمار لم يطق المسلمون صبرا على هذه المذلة والمهانة التي لحقتهم وتشويه المسجد الاقصى حتى ان صلاح الدين حرم على نفسه الضحك والابتسام ورفع شعارا يقول فيه : كيف نضحك والاقصى اسير . ولئن ضحكنا ضحكنا بالامس فقد بكينا اليوم وما لم يتحول البكاء الى دماء صادقة تغمر باحة الاقصى كما فعل اسلافنا من قبل فسيأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين لا يخافون لومة لائم وان تتولوا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا امثالكم ولئن سطا شذاذ الافاق على المدينة المقدسة في غفلة من اولى العزم من الرجال ودنسوها باحتلالهم وهم ماضون في تهويدها وتغيير صيغتها الاسلامية فان العالم الاسلامي يدعو لمقابلة التحدي بعزم يليق بأمة يحتل الجهاد في عقيدتها ذروة السنام امة ذات امجاد وحضارة كانت القدس من ابرز ميادينها والسكوت على هذا التحدي بعد ان بدت البغضاء من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر . هذا السكوت لا يعفى اي متخلف او ساكت من مسئوليته امام الله .

ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتطلع الى امته عبر القرون ليرى ماذا فعلت امة الجهاد في مسراه وفي قبلته الاولى وفي المسجد الذي تشد اليه الرحال ..

فعجلـــوا بالانتقام طال في الشعـــب المنام
مسجـــد الله الحرام بات يؤذيـــه الحرام

اللجنة الوطنية لتوعية المسلمين
بقضية فلسطين والقدس الشريف



الوعي الاسلامي :

تذكر السادة القراء بأن الحلقة الأولى من هذا البحث قد تم نشرها بالعدد رقم (١٤١) وتأسف المجلة لطول شقة الفصل بين الحلقتين رجاء الرجوع إليها إتماما للفائدة .

للدكتور/ابراهيم علي ابو الخشب

ولعل الذين روجوا للقول بالصرفة ــ في إعجاز القرآن الكريم ــ إنما روجوا له ، وبالغوا في الحديث عنه ، إرضاء لخاطر كثير من هؤلاء الذين يحبون القضايا المسلمة ، ولا يرون أن الدراسة والبحث ، وربط الأسباب بالمسببات ، واقتران الدعاوي بالأدلة ، مما يتناسب مع كلام الله الذي هو وراء ذلك كله لأنه تنزيل من حكيم حميد ، وكانت نسبته إلى هذه الجماعة من أهل الفكر والرأي ، والعقل والمنطق ، تأكيدا للاعتداد به ، والاحترام له ، في حين أن القرآن لا ينكر الجدل ، ولا يأبى المناقشة ، ولا يتهرب من النظر الصحيح ، والبرهان السليم ، والحجة البالغة ، وإنما يقدس ذلك كله ، ويدعو إليه ، وقد كان من عوامل خلوده ، ومقارعته للخطوب ، ومصارعته للحوادث ، أنه كتاب مفتوح للبر والفاجر ، والمؤمن والكافر .

ومما يضيفونه إلى الاعجاز ، وينسبونه إلى المزايا الذاتية في القرآن أنه تضمن ألوانا من التشريع لا يمكن لمصلح اجتماعي بالغا ما بلغ من العلم والحكمة ، والحصافة والرأي ، والفطنة والذكاء ، والبصر والذوق ، والحزم والسياسة ، والعقل والفكر ، أن يهتدي لمثلها ، في علاج الأمراض ، والقضاء على المشاكل ، والحد من الفوضى ، والطب للنفوس ، والتقويم للطباع ، وهي التي انتقلت بالعرب في فترة وجيزة من الزمن من ذات الصدع إلى ذات الرجع ، وجعلتهم يأخذون في سلوكهم وعاداتهم بأمثل الأساليب ، ويتطلعون إلى الطموح البعيد ، والعيش السعيد ، والغايات النبيلة الكريمة ، ثم ظلوا هكذا يشعرون فيما بينهم وبين أنفسهم أن هذا الدستور الذي يحمله إليهم ، والنهج الذي يبينه لهم ، وتلك الأوامر والنواهي التي تضمنها ، لا يمكن أن تدنو منها دساتير الشعوب ، ولا قوانين الأمم ، ولا أفكار الفلاسفة ، وقد كان فيمن حولهم من الناس شرائع مما وضعوه بأنفسهم ، واهتدوا إليه بتجاربهم ، وباركته عقولهم وأفئدتهم ، ومع ذلك كله كانت وبالا عليهم ، وتقويضا لبنيانهم ،

وتدميرا لحضارتهم ، وقضاء على طموحهم وآمالهم ، وسببا لصيرورتهم فيما بعد خبرا لكان الناقصة لا يذكر هم التاريخ إلا للعظة والاعتبار (**ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر**) القمر/ ٤ .

وفي نظرنا أن حديث الاعجاز إن لم يكن من القرآن نفسه فهو محاولة فاشلة ، أو مصاولة هازلة ، أو جهد لا جدوى من ورائه ، لأن القرآن وهو يتحدى العرب كان تحديه لهم في ثقة ويقين ، واطمئنان وثبات ، واعتقاد جازم أنه إنما يدخل عليهم من الأبواب التي كانوا يدخلون منها ، وفي الأرض التي تعودوا أن يضعوا أقدامهم عليها ، ولو أنه جاء إليهم من طريق لم يعرفوه ، أو وغل عليهم من باب لم يألفوه ، لكانت حجتهم عليه قائمة .. وقد سجل عليهم هذا الكتاب ألوانا من عنتهم الذي قابلوه به ، وظنونهم التي ظنوها فيه ، وتهمهم التي كالوها له ، إذ قالوا : شعر وسحر وأساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه ، وإفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ، وهكذا من كل تلفيق آثم ، وقول باطل ، وزعم خاطئ ، وظل الرسول صلى الله عليه وسلم ينظر إليهم في سخرية ، ويقابل منهم تلك الأقوال كلها بالازدراء ، لأنه كان يدرك تمام الادراك أنها تخبطات المرورين الذين تنطبق عليهم المنافذ ، وتشتبه عليهم المسالك ، وتلتوي في أعينهم الدروب ، وتختلط دونهم الطرق ، فلا يجد أحدهم ما يستر به عيب نفسه ، وضلال قلبه ، وظلام خاطره ، إلا الطيش والسفه يستعين بهما ، ويفزع اليهما ، مع اعتقاده أنهما لا يغنيان عنه فتيلا ، ولكنهم حينما جدوا في الأمر وابتدأوا الخصومة كما يصح أن تكون وقالوا : (**لو نشاء لقلنا مثل هذا**) الانفال/ ٣١ . كان له معهم موقف آخر .. إذ تحداهم التحدي الجاد ، وإذا قلت التحدي الجاد فانما أقصد إلى أن الخصومة كانت خصومة بمعنى الكلمة ، لأن التحدي إنما يكون تحديا إذا كان فيما يتأتى للخصم أن يأتي به ، ويصدر مثله عنه ، ويمكن ان يجيء من نظرائه وأنداده ، فاذا ثبت قصوره فيه ، وتأكد تخلفه عنه ، ووضح هزاله عنده ، لزمته الحجة ، وأحاطت به الهزيمة ، وباء بالخزي الذي ليس قبله ولا بعده .. ولذلك فاننا لا نعتبر أن التحدي قد ابتدأ إلا من هذه النقطة السوداء في تاريخ قريش التي يعلم العرب أجمعون أنها كانت صاحبة السدانة على البيت ، والسيادة على الناس ، وهو الفخر الذي لم يتطاول إليه أحد سواها في هذا الوقت ، وقد كان الفضل الذي بوأها الله إياه ، بوأه كذلك للهجتها التي ظلت تتعهدها بالصقل ، وترعاها بالتهذيب ، وتنخلها بالذوق ، وتنميها بالطبع ، إلى أن اقتعدت بها الذروة الشماء ، والمكانة القعساء ، ونزل بها الوحي آيات محكمات هن أم الكتاب وآخر متشابهات ، رجاء أن يكونوا هم القائمين عليه ، والحفظة له ، والزائدين عنه ، إلا أن هزيمتهم

أمامه ، وإلقاءهم السلاح بين يديه ، صرف الأنظار عنهم ، وحول القلوب إلى غير ناحيتهم ، ولا يشك عاقل منصف أن هذا التحدي كان خاليا من العنت ، بعيدا عن المشقة ، لأنه لم يطالبهم بأحسن منه ، ولم يكلفهم بشيء جديد عنه . بل ناداهم أن يأتوا بمثله مفتري مزعوما كما يدعون **(أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون . فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين)** الطور/٣٣ ، ٣٤ . فلما ثبت عجزهم ، وظهر ضعفهم ، نزل معهم إلى أدنى من ذلك **(قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين)** هود/١٣ . وهنالك تبين له أنهم على حالهم لا حول لهم ولا طول ، فتدلى بهم إلى مستوى القوى المريضة ، والطاقات المحدودة ، وطلب منهم سورة واحدة **(وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين)** البقرة/٢٣ ، ٢٤ . وبهذا كان يرخى لهم العنان إلى أبعد الحدود . ثم كان في خلال ذلك يناشدهم أن يستعينوا بما شاءوا من الأنصار والأصحاب والأصدقاء والقرابة والأهل ، حتى إذا ما أغلقت من دونهم الأبواب لم يكن هنالك بد أن يسجل عليهم تلك النتيجة **(قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)** الاسراء/٨٨ . وقد ثبت أنهم بعد هذه المرحلة من التحدي تجردوا من ضمائرهم . وانسلخوا من أخلاقهم ، وأخذوا يفكرون في قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا لذنب إلا أنه كشف فضولهم ، وأعلن هزيمتهم ، بهذا المنطق الفطري الذي جادلهم به ، وتلك الحجج التي لا تنكرها الطباع ، ولا يأباها العقل . ولم يكن أسلوبهم الوحشي النافر الذي قابلوه به صلى الله عليه وسلم غريبا على البشرية الحمقاء ، فهكذا تجرى عادات الناس حين تطيش أحلامهم ، ويشتد سفههم ، إذا ما تحداهم المتحدي في أخص مزاياهم فأحاط بهم العجز ، وأصابهم الهزال ، واستبد بهم الضعف ، وهذا هو السر في أن المتحدثين عن الاعجاز من المتقدمين والمتأخرين تقوم مؤلفاتهم على المعنى البلاغي الذي كان رأس مالهم ، والجانب البارز في أمجادهم ، والثروة الضخمة التي يتطاولون بها على الناس ، وإن كان الباقلاني يرى أن هذه الناحية لا يفهمها إلا من كان ذا ذوق عربي ، وسليقة أدبية ، وثقافة دينية ، ويقول في مقدمة كتابه : « لأن ذلك مما لا سبيل إليه إلا أن يكون الناظر فيما نعرض عليه مما قصدنا إليه من أهل صناعة العربية ، وقد وقف على جملة من محاسن الكلام وتصرفاته ومذاهبه ، وعرف جملة من طرق المتكلمين . ونظر في شيء من أصول الدين » ثم يقول بعد ذلك في أثناء الكتاب تحت

عنوان « فصل في كيفية الوقوف على إعجاز القرآن » : وكذلك نقول إن من كان من أهل اللسان العربي إلا أنه ليس يبلغ في الفصاحة الحد الذي يتناهى إلى معرفة أساليب الكلام ، ووجوه تصرف اللغة ، وما يعدونه فصيحا بليغا بارعا كالأعجمي في أنه لا يمكنه أن يعرف إعجاز القرآن » .. ولهذا فان الزمخشري – صاحب كتاب الكشاف – لما أراد أن يدلي بدلوه في الدلاء ، ويكشف عما في هذا الكتاب من ملاحة فاقت الوصف ، وتجاوزت حدود التصور ، تعرض لآياته يشرحها من ناحية البلاغة ، ويعلن عما تضمنته من الروعة ، وكذلك حذا هذا الحذو عبدالقاهر الجرجاني مع اختلاف الأسلوب ، لأن صاحب الكشاف كان أشبه بمن يحمل في يده المشعل ليضيء الطريق ويملأه بالنور لتظهر الحقيقة الواضحة ، والصور الناصعة .. اما صاحب الدلائل فانه أراد أن يربي الذوق البلاغي الذي يساعد على إدراك الجمال ، ومعرفة الحسن ، وفهم الابداع ، والحكم على روعة الأشياء ، وسحر المعاني ، وجلال الصور ، ثم يتركنا بعد ذلك وقد اكتملت فينا الملكة ، ونضج الوعي ، وقويت القدرة على النقد الذي نميز به بين الحسن والقبيح ، والجيد والرديء ، وهنالك يمكننا أن نقارن بين عجز الانسان وإبداع الرحمان ونردد بيننا وبين أنفسنا قوله جل جلاله : **(هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه)** لقمان/١١ . وربما كانت هذه هي إحدى النواحي في فهم إعجاز القرآن ، فان المسلمين ما فرطوا في أدبه إلا منذ فرطوا في لغته فأصبحوا لا يفقهون كلمة ، ولا يدركون حكمة – كما يحدثنا الرافعي في كتابه إعجاز القرآن – ولذلك فاننا ننادي بضرورة الاهتمام بلغته ، والعناية بدراستها ، والغيرة عليها ، والدفاع عنها ، وجعلها الرباط الوثيق بين المسلمين الذين يأمرهم هذا الدين أن يتواصوا بالخير ، ونعلن أنهم لم يتخلفوا في الحياة ، ويتأخروا عن الركب ، إلا بسبب هذا التفكك في ثقافتهم ، والاختلاف في لغتهم ، وأنهم لم يفهموا أن شريعتهم التي تأمرهم بالجماعة ، وتسوية الصفوف ، والاتجاه إلى القبلة ، والابتداء الواحد في الصوم والفطر ، وجعل الحج فرصة للتعارف والتقارب ومدارسة الأحوال والمشاكل رجاء أن يتعاونوا على البر والتقوى ، تحتم هذا وتؤكده ، ونرى أنه سبحانه وتعالى لم يقصد من وراء ذلك كله إلا إلى الترابط في اللسان والبيان ، والاحساس والشعور ، والوجدانات والعواطف ، والآمال والآلام ، والأهداف والأغراض ، ليكونوا – بحق – خير أمة أخرجت للناس ، يمسكون بأيديهم زمام الأمور ، ومقاليد الحكم ، وموازين العدل ، ووسائل الاصلاح ، ولا يتأتى ذلك إلا إذا كانت الضاد – التي هي لغة القرآن – لغة تخاطبهم في الشرق والغرب ، والبادية والحضر ، وإذا

كان بعض المسلمين يفهمون أن مثل هذه الدعوى تحمل في طياتها عصبية للغة دون اخرى ، فاننا نقول إن القرآن الكريم ينادي في أكثر من آية من آياته ، وأكثر من سورة من سوره ، أنه بلسان عربي مبين ، ولا يقصد من وراء ذلك تسجيل التاريخ ، ولا بيان الواقع ــ كما يقولون ــ وأنه حين نزوله على النبي العربي ، وبلسان قومه الذين كان يتجه إليهم بالبيان ، وفي ذلك المكان الذي ترعرعت بين جنباته اللغة ، كانت العربية هي ترجمانه ، وعقوده وجمانه ، وبيانه ولسانه ، ثم صار هذا كله مع الأيام نبأ يروى ، وحديثا يقص ، ومن حق الهندية أن تنطقه بألفاظها ، كما هو من حق الفارسية والتركية وهكذا .. نقول لهؤلاء جميعا لا وألف مرة لا .. ومن إعجاز القرآن الكريم أنه بهذا اللسان ، وإن تحويله عنه تحويل له ، وعدوان عليه ، وخروج به عن حقيقته ، قد يقول قائل : ان المصادفة فقط لا اكثر ولا اقل هي التي كانت السبب الاول والاخير في ان يكون القرآن بلسان عربي مبين ولو كان نزوله على غير العرب لكان بلسانهم ، وبيانهم . والله سبحانه وتعالى يقول : (**وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم**) ابراهيم/ ٤ وبخاصة اذا سلمنا أن العرب لم يكونوا وحدهم من التخلف والفوضى ، والانتكاس والتردي والجهل والطيش ، بحيث تدعو حالهم الى الاسعاف السريع . والانقاذ العاجل ، والعلاج الحاسم ، إلا أننا نكرر القول ونؤكده حينما نعود الى التاريخ لنستلهمه الصواب في ذلك وحينئذ ينبئنا ان اهتمام هؤلاء الناس بلغتهم يهذبونها ويشذبونها كان عاملا مهما في تلك العروبة للنبي صلى الله عليه وسلم وكتابه معه ، وشيء آخر لا نتغافله في الحديث ، ولا نتجاهله عند التعليل والتحليل وذلك ان للعرب مزايا في اخلاقهم ، وخصائص في طباعهم ، كانوا يعتبرونها كمالا في رجولتهم ، ولها تقديرها واحترامها في موازينهم ، مثل الغيرة على الأعراض ، واباء الضيم ، وكراهية الظلم والوفاء بالعهد والكرم والجود ، وما سوى هذا وهذا مما يكون من أسباب الترابط والألفة والانحياز الى الحق ، والدفاع عنه والوقوف بجانبه ، وهكذا مما تحتاج اليه دعوات الاصلاح ، وتقوم عليه النهضات وتنتصر به المبادىء ، وكان هذا كله له أثره البارز في نجاح الرسالة وتمام بنيانها ، ورسوخ قدمها ودوي صوتها . وانتشار دينها . وكان صلى الله عليه وسلم لا يفتأ في كل مناسبة يقول : « اذا ذل العرب ذل الاسلام » رواه ابو يعلى عن جابر ايمانا منه بانهم كانوا خير درع له ولما جاء به من عند الله (**ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين وان يكن منكم مئة يغلبوا الفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون**) الانفال / ٦٥ ومن هنا كان القرآن عربيا ، لا يتخلى عن العربية قيد أنملة . ولا يقدح هذا في انه يصرخ في آذان الناس جميعا

ويدعوهـم الى كلمة سواء وهـذه العروبة ـ كما نرى ـ ليست عرضية تروح وتجيء ، او تغيب وتحضر ، وانما هي ذاتية له ، لا تفارقه ابدا ، وربما كان من العجيب الغريب أن تكون عربيته هذه ـ او عروبته ـ من الاعجاز الذي اودعه الله فيه ليكون له حصانة من العدوان وضمانا من الضياع ، وصونا من العبث ، ومانعا من ان ينال منه آثم بالتغيير او التشويه ، او بالاختلاق او الكذب . وظهر ذلك كله حينما حاول كثير من الناس ان يترجموه الى لغتهم فاذا هو يتأبى عليهم كل التأبي ولا يستجيب للمحاولة ، ولا يخضع للرياضة ، وليس معنى هذا اننا ندعي ان ذلك قد صرفهم عنه ، فان كثيرا من المبشرين والمستشرقين عنوا بنقله الى لغاتهم المختلفة رجاء للمزلة ، والطعن فيه ، والتشهير به ، واتخاذه في مدارسهم وكنائسهم مادة للنقد المكشوف ، والتجريح المفضوح ، وان كان شأنهم ـ كما يقول القائل : « كناطح صخرة يوما ليوهنها » ولما دب النور والعرفان ، واتسع نطاق الثقافة والعلم في انحاء مختلفة من الأرض أصبح الناس من هنا وهنالك يحاولون دراسة الأديان والرسالات على أسلوب من البحث النزيه ، والمنطق السديد ، وكان فيما يرجون أن يتناولوا به دراستهم كتاب الله الخالد على مدى العصور والأزمان وحينئذ ظهر في المسلمين وغير المسلمين من كان ينادي بضرورة تعريف غير العرب به عسى ان يكون باعثا لهم على الايمان ، وحاملا لهم على الهداية وحافزا لهم على ان يكونوا من جنوده .. وكان مفتاح هذا التفكير ان القرآن اسم للمعنى مجردا من اللفظ ـ عند الامام أبي حنيفة ـ وحجته في ذلك قوله تعالى (**وانه لفي زبر الاولين**) الشعراء / ١٩٦ وقوله : (**ان هذا لفي الصحف الأولى . صحف ابراهيم وموسى**) الأعلى / ١٨ و ١٩ ولم تكن هذه كلها بالعربية فان صحف ابراهيم كانت بالسريانية وصحف موسى كانت بالعبرية ، ولعل الذي قوى هذا الزعم عند ابي حنيفة أن سلمان الفارسي ترجم لقومه فاتحة الكتاب ليقرأوها في صلاتهم ، وما كان لهذا الامام الكبير ان يذعن لهذه الشبهة ، ولا ان يستسلم لهذا الرأي لان كون القرآن في زبر الأولين أو صحف ابراهيم وموسى ليس معناه انه كان مكتوبا فيها . وانه نقل عنها . ولكن معناه انها اخبرت به وبشرت بالرسول الذي يحمله الى هذه الأمة ، ولذلك فقد خالف الصاحبان رأي امامهم وذهبا الى أن القرآن اسم للفظ والمعنى . وانه معجز بهما معا ، لا ينفصل احدهما عن الآخر .

فاذا قدر المكلف عليهما لا يسقط الواجب الا بهما ، وان لم يستطع اللفظ سقط عنه واداه بمعناه وحكمه حكم من عجز عن الركوع والسجود ، فان صلاته تكون ايماء .. ومما حققه العلماء الاعلام ـ كصاحب مسلم الثبوت ـ ان أبا حنيفة رجع عن هذا الرأي .. ولذلك نرى كثيرا من

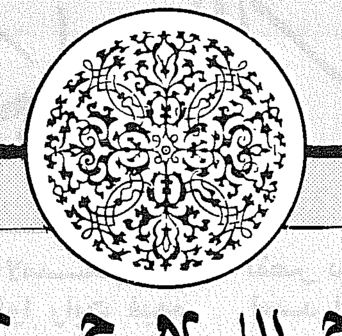
أصحاب مذهبه يتعرضون لكتابة المصحف بغير العربية بالانكار ، ولا يقولون بجوازها خوفا على القرآن من العبث ، ومنعا له من عدوان أهل الفسوق والعصيان .. وقد نقل عن الشرنبلالي قوله : « ولا يصح أن يكتب القرآن بالفارسية لأن ذلك يؤدي الى الاخلال بحفظه ونحن أمرنا بحفظ النظم والمعنى » وفي كتاب الفتح القدير : « ان اعتاد القراءة بالفارسية أو أراد أن يكتب مصحفا بها يمنع » وفي النفحة القدسية : « أما لو اعتاد القراءة أو كتب المصحف بالفارسية يمنع أشد المنع » وقال الفضلي : « من تعمد ذلك يكون زنديقا او مجنونا ، والمجنون يداوي لكن الزنديق يقتل » .. واذا كان علماء الأحناف قد أعطوا هذه المسألة اهتماما كبيرا . وتناولوها بالبحث هذا التناول ، اعتمادا على ان امامهم كان يرى أن القرآن الكريم اسم للمعنى من غير اللفظ فان علماء المذاهب الأخرى قد تناولوها ايضا بالنفي تارة ، والاثبات تارة اخرى ، ويظهر ان الدافع الأول والأخير لأصحاب القول بالترجمة ، والدعوة اليها ، كان هو الرغبة الصادقة في عموم النفع ، وكثرة المؤمنين ، وهداية الناس ، ولقد علمنا من أبناء المسلمين الذين عاصروا الدعوة في ابانها أنهم ما كانوا يحاولون — كالكسالى — ان يسعى القرآن اليهم ، وينتقل الى موائدهم ، مستكينا لارادتهم ، خاضعا لسلطانهم ونفوذهم ، بل كانوا وهم يتشوفون اليه ، ويحرصون عليه يكدون في الوقوف بين يديه ، بلغته التي انزله الله بها ، وبيانه الذي كساه جل جلاله منه حلة من الرونق ، ولباسا من الحسن ، وخلعة من السحر ، وبهجة من الجلال ، وطابعا من القبول ، وفيضا من البلاغة ولم يتطاير الينا ولا نصف نبأ أنهم كانوا يجرونه اليهم بالنقل ، او يقربونه منهم بالترجمة ، ولم يدخل الفرس في دولة العرب في الخلافة العباسية الا وقد وضعوا في اعتبارهم أن يتعلموا له لسانه وبيانه لذلك كان منهم المفسرون له ، والمنوهون به ، والمدافعون عنه ، والغيورون عليه .. ومن البديهي ان الذين يتحدثون عن ترجمة القرآن ويروجون لها لا يفهمون حق الفهم أسرار اللغة العربية او خصائصها ، وهي التي شرفها القرآن حين نزل بها ، وجاء على نسقها وطريقة تأليفها ، ويقول الامام الشاطبي في كتابه « الموافقات » : إن دلالة الالفاظ على معانيها تأتي على خبرين — أولية وثانوية — فالأولية كقيام زيد والثانوية ما يزيد على ذلك من الاهتمام به وتعريفه او تنكيره وذكره أو حذفه وهكذا من البحوث التي تقوم عليها كتب البلاغة ويتبارى في مضمارها فحول العلماء ومما لا يختلف فيه أحد أن المعاني الأولية لا يتفاوت انسان فيها مع آخر .. أما الثانوية فانها مجال الفحولة ، وميدان السبق ، ومناط الحذق ، وعنوان المهارة والبراعة وبخاصة إذا كانت مشتملة على استعارة لطيفة ،

او كناية طريفة ، او مجاز رائع ، او تمثيل بديع ، ولا يمكن لهذا اللون من التعبير أو التصوير ان تنقله الترجمة كما هو دون زيادة فيه او نقص ، وانا أسوق لك بعض الشواهد على ذلك .. اذ يقول الله سبحانه وتعالى للرجل يريد أن يفارق زوجته الى أخرى يتزوج بها ويعمل على أن يجرد مطلقته من كل حقوقها حتى مؤخر الصداق : **(وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج واتيتم إحداهـن قنطارا فلا تاخذوا منه شيئا اتاخذونه بهتانا وإثما مبينا . وكيف تاخذونه وقد افضى بعضكم الى بعض وأخذن منكـم ميثاقا غليظا)** النساء / ٢٠و٢١ فان أفضى بعضكم الى بعض هذه عقدة العقد التي تتجاوز طاقة المترجم فلا يسعه الا أن يقف أمامها مكبلا أو مكتوف الأيدي ومثل هذا قوله جل جلاله : **(نساؤكم حرث لكم)** البقرة / ٢٢٣ وغير هذا وهذا من الأمثلة والشواهد .. وربما جاء مثل ذلك في أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يتعذر نقله ، ولا يمكن ترجمته ، كقوله : « من كشف قناع امرأة فعليه مهرهـا » رواه الديلمي » وقد كان يكثر من ذكره لخديجة وكـان ذلك يوغـر صدر عائشة ـ رضي الله عنهما ـ فقالت له عائشة ـ أرأيت يا رسول الله لو كان أمامك واديان معشبان أحدهما رعى فيه والآخر لم يرع فيه ، في أيهما ترتع بعـيرك .. وتقصد بالـواديين هي وخديجة ، وبالرعي البكارة وعدمها كأنما تدل على خديجة انه صلى الله عليه وسلم تزوجها ثيبا ، أما هي فانها كانت بكـرا .. وهما ـ كما ترى ـ حديثان لا يمكن للترجمة ان تنقلهما على روعتهما ، وتمام بلاغتهما ، وجمال ادائهما .. وهكذا نجد أن مجيء القرآن الكريم بهذه اللغة وعلى هذا النمط من البيان كان اعجازا آخر غير تلك الأنواع التي تناولها العلماء بالحديث في اعجازه لأن تحويلـه عنه يسلبه قرآنيته الباهرة ، وفصاحته القاهرة وبيانه الخلاب ، وسحره الغلاب ، والدليل على ذلك أن أحدا من الناس لم يستطع ذلك إلى الآن وكل ما يقال في ذلك كله من نقل او ترجمة انما هي محاولات من يقبس نور الشمس يظن أنه يضم يده عليه ولم يدر أنه انما يطبقها على الوهم . ويضمها على الهواء . وليس الامر اكثر من انتفاع به ، وأخذ عنه ، يصادفه التوفيق الى حد ما ، او يخطئه الصواب الى غير حد ، ثم يبقى القرآن بعد ذلك كله شامخ الرأس ، عالى القدر ، بعيد المنال ، كأنما يقول لهؤلاء جميعا : **(فويل لهـم مما كتبت أيديهم)** البقرة / ٧٩ .. ولهذا فاننا نعود الى تكرار هذه الصيحة التي نرجو من ورائهـا أن يتعلـم المسلمون لغته ليفهموه بهـا ، واذا كان تدبر مراميه ، وفهم معانيه . لا يتم الا بذلك فاننا جريا على القاعدة الأصولية « ما لا يتم الواجب الا به فهو واجب » نقول إن ذلك واجب لا يصح تركه ولا يليق بنا أن نتغافله او نتجاهله ، ونحن خير أمة أخرجت للناس .

شباب الاسلام

للدكتور : عباس محجوب

شباب امة الاسلام قوة … لنصر دين الله قد تطلعوا
في الحرب ان صالوا رأيت فيهم … أسد الشرى من الأمان أفزعوا
في السلم كالغزلان في مأمنها … وداعة ورقة قد طبعوا
مذاقهم كالشهد حين يأمنوا … والصاب والحنظل اذ يروعوا
قد بايعوا الرسول قائدا لهم … لم يهدروا للحق أو يضيعوا
اهدافهم عظيمة طموحة … لم يركنوا للسهل أو يقتنعوا
ان افقروا تواضعوا وصبروا … وإن غنوا فهم هزال خشع
والماء منة اذا اتاهم … لم يشربوه أو به ينخدعوا
ملمسهم لدى الصديق ناعم … وللعدو خشن ومفزع
هم الندى اذا الازهار صوحت … هم الورود نشرها تضوع
ترتعد البحار من طوفانهم … والموج من ثورتهم يصطرع
اذا الجبال عارضت طريقهم … دكوا الجبال والصخور ميعوا
وان رأوا في دربهم حدائقا … فهم لها الماء النمير المشبع
سيماهم فراسة وحكمة … رهبان ليل والأنام هجع
قد بدد الايمان من شكوكهم … بنوره ظلماتها تنقشع
الموت في سبيل الله غاية … والله للجهود لا يضيع
لم يرهبوا عدوهم او يجبنوا … لم يطلبوا غنائما توزع
يقتنصون النجم ان هبوا له … وان ارادوا للأسود صدعوا
للكفر والالحاد اين واجهوا … هم الاعصار المفجع المروع
اذا اتاهم من يرى شراءهم … زادوا له في سعرهم ورفعوا
لكي يبيعوا للاله ربهم … ومن لهم الا الاله المبدع ؟؟
ما لونوا جلودهم او بدلوا … ما قلدوا الطاووس لم يبتدعوا
واللهو والغناء والهوى … عن أسره وسحره ترفعوا
تشغلهم مآرب عظيمة … لزينة ورغد قد ودعوا
للظلم والطغيان في الوانه … جهادهم وجهدهم لا يدفع
لم يرهبوا طاغية او حاكما … لم يسجدوا لصنم او يركعوا
هذا الشباب سوف يبني أمة … لها الكتاب منهج ومرجع
هذا الشباب سوف يعلي راية … تزلزل الرايات بل تقتلع



الدين هو الحل

محمد مؤذن

للاستاذ : محمد احمد العزب

من المشاكل الخطيرة في تاريخ الفكر البشري ، دوران هذا الفكر في فراغ موحش رهيب ، وضلاله الأعمى في رحلة البحث عن قرار ..

قديما .. وعلى سفوح اليونان وقممها السامقه . انطلق هذا الفكر البشري باحثا عن قراره . ناشدا الايمان بشيء يشده إليه . فلا تبحر به الريح في مهاوي الضياع .. ولكن هذه الرحلة ما أثمرت قرارا ، ولا أعطت شيئا يهب الأمن والسلام ..

بل أعطت حشودا من المعرفة العقلية الرائدة . التي قادت الأجيال في طريق التطور العقلي الصاعد المنتصر .

ولئن كانت المعرفة العقلية معزولة الكيان عن المنطقة الروحية في البداية .. فانها ـ في الواقع ـ كانت الشرارة الأولى التي انبثق منها ضوء الصعود الخالد إلى آفاق الروحانية العالية .. وكانت كذلك حتى في طور ميلادها الأول . استشرافا ذكى الفهم لكل ما هو وراء المادة .. ولكل ما هو خلف تخوم الحياة ..

ذلك كان شأن الفكر اليوناني القديم .. كان يعتز بنفسه إلى حد الغرور .. ولكنه كان مع ذلك يتطلع دائما إلى أعلى من طاقاته وقدراته ..

وحديثا .. وعلى ضوء كل ماجد في حياتنا المعاصرة من انتصارات علمية وحضارية شامخة .. مازالت للفكر نزواته واندفاعاته . وأستطيع أن أقول : إن ضراوة الاغترار والزهو بكل ما هو عقلي .. ومادي .. وأرضي .. لم تبلغ في أي طور ما بلغته اليوم من ضراوة وقسوة .. إن موجات الالحاد والشك .. لتفور في كل منطقة من العالم اليوم .. حتى في أعرق هذه المناطق إيغالا في مراحل الايمانيات .. ربما لأن الزحف العلمي بكل فتوحاته .. وانطلاقاته . قد أعطى عن نفسه صورة القادر الذي لا يغلب . والقائد الذي لا ينهزم .. في اللحظة التي يقف الدين فيها محتلا مواقعه الأولى .. منحسرا في مجالات كثيرة عن بعض هذه المواقع .. نتيجة النضوب الفكري والايماني الذي أصاب أبناءه بالشلل ، فلم يعودوا قادرين على حمله وتبليغه ، والتحليق به الى آفاق مضيئة أكثر حياة ، وأشمل اندفاعا ..

وفي وهج هذا الدوران الفكري الراعش المضطرب عاش الانسان في الماضي ويعيش اليوم . أقسى ما يمكن أن يتصور من حياته .. أنه يدور في فراغ .. ويحس بأن وجوده عبثي !! لحظة الميلاد عنده تساوي لحظة الموت ، والمساحات الزمنية القائمة بين البدء والختام ، ليست سوى مرحلة من العبث القاسي الذي لا جدوى من ورائه ..

خذ مثلا واحدا من مفكري هذا العصر . (البير كامي) .. واقرأ بحوثه .. وقصصه .. ومسرحياته .. انه ككاتب لامع مفكر سيبهرك من غير شك بثرائه الفني الرائع الممتاز ويعمقه الساحر الأخاذ .. ولكنه في النهاية سيسلمك إلى إحساس

عاصف باليأس والعبثية .. واللاجدوى .. في مسرحيته .. « سوء تفاهم .. » تصيح « مارتا » « هذه الدنيا ليست سوى مقبرة سنوضع فيها في النهاية بالكوم متلاصقين) .. وفي موضع آخر تخاطب ماريا : (لكن قبل أن أذهب لأموت .. علي أن أخلصك من وهم اعتقادك بأنك على صواب . وأن الحب ليس عبثا .. وأن ما حدث لم يكن إلا نتيجة الفوضى الشاملة .. وهو منطقي معها) .

ان كل كتابات هذا المفكر الفنان .. طافحة بهذه القتامة الداجية . وهذه الهروبية الصفراء . وربما لا تجد لأكثر أبطاله من نهاية سوى الانتحار .. كنتيجة طبيعية ومنطقية لايمانهم بفوضى العدالة .. وعدالة الفوضى ..

« البيركامي » هنا .. ليس سوى رمز لعشرات ومئات من مفكري العصر ، الذين فقدوا الايمان بشيء معين .. أعلى من الانسان .. وأهدى من المادة .. ففقدوا بذلك صلابة الأرض التي يقفون عليها ، ووضوح الرؤية اللازمة لكل من يشق طريقه في الحياة .. إن إيمانهم كان بالعقل .. وبالعقل وحده .. حتى ألهوه .. وليس في استطاعة العقل البشري . حتى في قمة نضوجه وإشراقه .. أن يحمل عبء الألوهية الهائل .. بكل ما يتطلبه العبء من تبعات وأثقال .. أجل . ليس في استطاعة العقل البشري أن يقدم الحل ، أو الحلول العاقلة لمعادلة الحياة الصعبة المتشابكة لأن العقل نفسه بعض من هذه المعادلة .. ولأنه يرتطم دائما بأسوار محدوديته فيقع على السفح عاجزا عن التحليق والطيران ..

وهنا يبرز الدين كحل .. وكحل إلهي شامل وعميق .. ليقدم لمعادلة الحياة تفسيرها المنطقي الذي لا يتهرأ في حومة الصراع ودورانه المفزع ..

الدين كحل .. يبدأ من منطلق الايمان بالأعلى لينتهي إلى الايمان بكل شيء .. وهذا سر عظمته .. انه لا يبدأ من مقدمات سانجة .. مثلا من الايمان بالثمرة إلى الايمان بالشجرة قائلا لك أن الأثر يدل على المؤثر كما يقولون .. ولكنه يبدأ من منطلق الايمان بالشجرة الفارعة المثمرة .. المتهدلة الاغصان والثمار .. قائلا لك لو لم تكن الشجرة موجودة أكانت توجد هذه الثمار ؟؟

ومن هذا نستطيع أن نفهم لماذا كانت الصيحة الأولى لنبي عظيم « كمحمد صلى الله عليه وسلم » هي : « لا إله إلا الله » .. إنه يبدأ القضية من أساسها .. ثم يمشي بك في دوربها دربا فدربا .. حتى يضعك في النهاية أمام بناء ايماني شامل متكامل بكل أبعاده وأعماقه .

أنت في قضية الايمان مطالب بشيء من التجاوز .. تجاوز الذات وتجاوز المنطق العقلي .. فالذات الضامرة الكليلة يجب أن تؤمن بأنها دون مستوى الندية للقوى الكبرى الخالقة .. فليس إذن في استطاعتها استيعاب حقيقتها .. ومن واجبها أن تذعن لهذه القوى المبدعة وأن تسلم

لها بالحكمة .. والعظمة .. والابداع ..

التلميذ البادئ دون مستوى الندية لأستاذه . فليس من حقه أن يشك في معطيات هذا الاستاذ ، إلا إذا بلغ شأوه العلمي .. إن من حق التلميذ فقط أن يسأل ، وأن يطلب المزيد من الفهم .. ولكن ليس من حقه أبدا أن يقول لأستاذه أصبت هنا .. أو أخطأت هناك .. فاذا كان الامر كذلك في إطار العلاقة بين الاستاذ وتلميذه الذي قد يبلغ شأوه العلمي يوما ما .. فان العلاقة بين الانسان وخالقه يجب أن تحددها دائما علاقة العجز والقدرة .. أو علاقة النقص والكمال .. لأنه ليس في طاقة الانسان أن يلحق شأو خالقه .. لأن شأو الخالق ليس مدى طفرة أو طفرات .. وإنما هو اللانهائية الضخمة ، بكل ما تنطوي عليه اللانهائيات من قدرات وأسرار ..

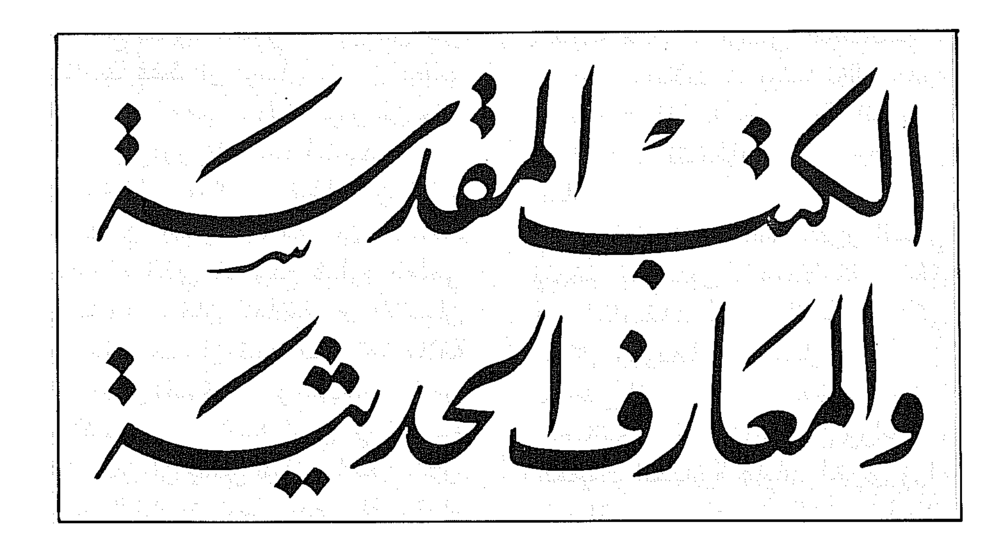
الايمان إذن عملية ترسيخ لوضعية الانسان على هذه الأرض ، بدلا من تركه مذبذبا هكذا في مهب الرياح .. وليست عملية الترسيخ هذه شدا إلى صخرة بكماء . وإنما هي إعطاء الانسان كل مشاعل النور ، ليبصر على ضوئها الغاية من وجوده . والهدف من حياته .. ومتى تعلقت آمال الانسان بغاية ينشدها ، أو هدف يرنو إليه . فان وجوده حينذاك يكتسب خصوبة ومعنى ، ويصبح من غير شك وجودا هادفا وعميقا . وليس مجرد عبث أو فوضى أو حياة بلا جدوى ..

وإذا كانت بعض الفلسفات المادية تعطي الانسان في حياته غاية أو هدفا .. فان الاسلام يسبقها إلى ذلك .. متخطيا تخوم الحياة إلى تخوم الآخرة . عاقدا بين غاية الانسان هنا وغايته هناك . أوثق الوشائج . وأعمق الصلات .. بينما تظل جهود الفلسفات المادية حبيسة اللحظة المعاشة لا تتخطاها إلى غيرها من حياة ..

وهنا تبرز ضخامة الدور الذي ينهض به الدين ، معدلا كل منطق هذه الفلسفات .. فان الانسانية لكي تحقق وجودها الأفضل لابد أن تتخطى إلى حد ما .. بعض غاياتها الحياتية .. فاذا آمنت بأن وراء هذه الغايات الحياتية غايات أخرى وراء الحياة .. أقدمت على التضحية بكل ما في وسعها من إيمان .. أما إذا لم تكن مؤمنة بسوى الغايات الدنيا .. فانها قد ترتطم حتى بآمالها في الدنيا ، محطمة ومحطمة .. وهنا قصور الماديات ..

الدين كحل .. يهب الايمان الواثق المتكامل .. ويعطي الهدف من الوجود للوجود .. ويحفز على التجاوز الواثب المتفتح .. ويفض المغاليق لنرى أبعد من حدود الرؤية . وهو وحده الذي يمكن أن يكون حياة الحياة .. ونبض التطلع الانساني إلى الأسمى دائما .. والأشمل دائما .. والأخلد دائما .. وتلك هي رسالته للبشرية جمعاء .

كتاب الشهر



تأليف : موريس بوكاي
ترجمة : دار المعارف طبعة ١٩٧٧
عرض : عمر الراكشي

مدخل الى الكتاب :

مؤلف هذا الكتاب طبيب فرنسي ، ممن عنوا بالدراسات العلمية ، ومقابلتها بالكتب المقدسة ، وتقع الترجمة العربية لهذا الكتاب عن الفرنسية في ٢٨٦ صفحة من القطع الكبير .

ويرى المؤلف بصفة عامة ، أن المعطيات الموضوعية لتاريخ الأديان ، يوجب وضع العهد القديم والأناجيل والقرآن على مستوى واحد ، من حيث هي مجموعات للوحي المكتوب .

غير أن هذا الموقف الذي يقول به المسلمون مبدئيا ، ليس هو نفس الموقف الذي يقبله مؤمنو البلاد الغربية التي تنتشر بها اليهودية والمسيحية ، والتي ترفض إعطاء القرآن صفة الكتاب المنزل .

فاذا كان القرآن في آيات عديدة

منه ، يطلب من الذين آمنوا به الايمان بكتب الله السابقة ورسله وأنبيائه السابقين ، فان المؤلف يقرر أن المسيحية لا تعترف بأي وحي جاء بعد المسيح وحوارييه ، ولذلك فهي تستبعد القرآن . وكذلك الشأن بالنسبة لليهودية فانها لا تعترف بأي وحي جاء بعدها .

ويقرر المؤلف بأنه اذا كان هذا هو موقف اليهودية والمسيحية من الاسلام ، فان موقفهما من بعضهما البعض جد مختلف ، فيقول الدكتور موريس بوكاي : إن كتاب اليهودية المقدس هو التوراة ، وتختلف التوراة عن العهد القديم المسيحي ، لأن هذا الأخير أضاف عدة أسفار لم تكن موجودة بالعبرية .

ويضيف المؤلف قوله : إنه إذا كانت المسيحية قد اعتمدت على التوراة لكنها زادت عليها بعض الاضافات ، ولم تقبل في الوقت عينه كل ما انتشر من كتابات تستهدف تعريف الناس برسالة عيسى ، ولذلك قامت الكنيسة باجراءات حذف هامة جدا لعدد من الأسفار التي كتبت لتعريف الناس بحياة المسيح وتعاليمه ، ولم تحتفظ من العهد الجديد إلا بعدد محدود من الكتابات أهمها الأناجيل الأربعة المعترف بها كنسيا وهي أناجيل متى ، ومرقص ، ولوقا ، ويوحنا .

غاية المؤلف من مؤلفه :

يقرر المؤلف أنه إذا كان البابا بولس السادس يفصح عن إيمانه العميق بوحدة العالمين الاسلامي والمسيحي ، اللذين يعبدان إلها واحدا ، فان كثيرا من المسيحيين قد تربوا في ظل روح عدائية للاسلام ، وظلوا في جهالة لحقيقة الاسلام وجوهره . وبالتالي فان مفاهيمهم عن الاسلام ، هي في واقع الأمر مفاهيم مغلوطة .

ومن هنا ، فقد وجد المؤلف من الواجب عليه ، أن يقدم دراسة مقارنة للكتب المقدسة في الأديان الثلاثة ، مع التركيز على جانب دراسة هذه الكتب ، في ضوء المعارف العلمية الحديثة .

الفروق الجوهرية بين المسيحية والاسلام فيما يتعلق بالكتب المقدسة :

أولا : القرآن :

يرى المؤلف أن الاسلام لديه القرآن الذي هو وحي منزل وثابت معا ، كتب فور نزوله ، يحفظه ويستظهره المسلمون في صلواتهم ، ومواسم عباداتهم ، اما الكتاب المسيحي المقدس ، فانه يختلف عن القرآن اختلافا بينا ، فالأنجيل – كما يقرر المؤلف الدكتور بوكاي – يعتمد على شهادات بشرية متعددة وغير مباشرة ، فلا تملك أي شهادة لشاهد عيان لحياة عيسى ، وهذا خلاف لما يتصوره الكثيرون من المسيحيين .

ويأسف المؤلف لذلك الموقف الذي

يهدف إلى تبرير الاحتفاظ في نصوص التــوراة والانجيــل بعض المقاطــع الباطلة التي تتعارض مع كل منطق ، وإذا كانت هذه المقاطع تسيء كثيرا إلى الايمان باللــه لدى بعض العقــول المثقفــة التــي أدركت وجــود هذا الضعــف ، فان الغالبيــة من المسيحيين ـ في نظر المؤلـف ـ لم تدرك حتى الآن ذلك الضعف ، وظلت في جهالة تامة من أمر ذلك التناقض مع المعارف الدنيوية المشهورة .

ثانيا : الأحاديث النبوية :

أما الأحاديث النبوية فهي في رأيه تشبه الأناجيل من حيث هي مجموعة من الأقوال والأخبار لأفعال محمد صلى الله عليــه وسلــم ، وليســت الأناجيل بأكثر من هذا فيما يتعلق بعيسى عليه السلام ، فقد كتبت اولى الأحاديث النبوية بعــد عشرات من السنين من موت محمد صلى الله عليه وسلم مثلما كتبت الأناجيــل بعــد عشرات السنوات من انصراف عيسى عليه السلام . وقد فصل المؤلف في كتابه كيف أن مؤلفــي الأناجيــل الأربعة المعترف بها كنسيا لم يشهدوا الوقائع التي أخبروا بهــا ، وهــم متى ، ومرقص ، ولوقا ، ويوحنا .

ويضيف المؤلف قوله : بأنه إذا كان يصح الجدل في يومنا هذا حول صحة هذا الحديث النبوي ، او ذاك ، فان الكنيسة قد حسمت منذ قرونها الأولى ، وبشكل نهائي بين الأناجيل المتعددة وأعلنت رسمية أربعة منها فقط ، برغم التناقضات العديدة فيما بين هذه الأناجيل في كثير من النقاط ، وأصدرت الأمر باخفــاء الأناجيــل الأخرى . ومــن هنــا جاء اســم « الأناجيل المزورة » .

الكتب المقدسة وحقائق العلم :

ثم ينتقل المؤلف إلى بيان أن مقابلة نصوص الكتب المقدســة بحقائــق العلوم ، كانت موضع تفكير الانسان في كل العصور ، ففي البداية قيل : إن اتفاق العلم والكتب المقدسة أمر لازم لصحة النص المقدس ، ومن هنا خلق ذلك الوضع الخطير الذي جعل مفسري التوراة والأناجيــل اليــوم يناصبون العلماء العداء ، حيث يؤكد المؤلف أنه لا يمكن أن تقبل رسالة إلهية منزلة تنص على واقــع غــير صحيح ، ومن ناحية مقابلة ، أدى عدم قبول صحة مثل هذا المقطع من التوراة الذي ينص على واقع لا يقره العلم إلى تعصــب البعض بشــدة للاحتفاظ بتمام النص ، وكان من نتيجة هذا ان اضطر المفسرون إلى اتخاذ مواقف لا يقرها رجل العلم .

ودراسة المؤلف لنصوص القرآن الكريم كشفت له عن وقائع عديدة ذات صفة علمية ، وفي رأيه أنه ليس ثمة وجه للمقارنة بين القليل جدا لما اثارته التوراة من الأمور ذات الصفة العلمية وتعددها في القرآن الكريم .

ويرى المؤلف أيضا أنه لا يتناقض موضع ما من المواضع ذات الصفة العلمية في القرآن الكريم مع وجهة

النظر العلمية ، وهذه هي النتيجة الأساسية التي خرج بها المؤلف من دراسته ، في الوقت الذي يعرض فيه ، كيف أن بعض الأحاديث النبوية غير القطعية أو ظنية الثبوت تخرج عن نطاق الوحي القرآني ، ويتعذر قبولها علميا .

ويعرض الدكتور « موريس بوكاي » في كتابه العديد من الموضوعات العلمية التي تنبئ الكتب المقدسة بظاهراتها الطبيعية وتحيطها تلك الكتب بقليل أو كثير من التعليقات والشروح ، ولكن الوحي القرآني في تطوره غني جدا في تعدد هذه المواضع وذلك على خلاف ندرتها في العهدين القديم والحديث .

وقد أيقن المؤلف بعد دراسته للنص العربي للقرآن الكريم أنه لا يحتوي على أية مقولة قابلة للنقد ، من وجهة نظر العلم في العصر الحديث .

وبنفس الموضوعية قام المؤلف بنفس الفحص لنصوص العهد القديم والأناجيل فوجد فيما يتعلق بالعهد القديم أنه ليس هناك حاجة تقتضيه الذهاب الى أبعد من الكتاب الأول ، أي سفر التكوين ، فقد وجد مقولات يتعذر التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخا في عصرنا .

أما بالنسبة للأناجيل فما كاد يفتح الصفحة الأولى منها حتى وجد نفسه دفعة واحدة في مواجهة خطيرة مع شجرة أنساب المسيح ، ذلك أن نص انجيل متى يناقض بشكل جلي انجيل لوقا ، وهذا الأخير يقدم صراحة أمرا لا يتفق مع المعارف الدينية الخاصة بقدم الانسان على الأرض .

خاتمة :

ويختتم المؤلف وجهة نظره حول تلك الأمور المتناقضة ، أو تلك التي لا يحتملها التصديق بقوله : إنها لا تفضي إلى إضعاف الايمان بالله ، وأن المسؤولية فيها تقع على عاتق البشر ، فلا يستطيع أحد أن يقول كيف كانت النصوص الأصلية ، وما نصيب التعديلات غير الواعية التي أدخلت على الكتب المقدسة السابقة على القرآن ، ومن هنا فان كثيرين من المسيحيين ظلوا يجهلون نقاط الضعف الخطيرة في مقاطع العهد القديم وفي الأناجيل ، وقد عرض الدكتور « موريس بوكاي » في الجزءين الأول والثاني من كتابه أمثلة صحيحة لذلك .

أما الجزء الثالث من الكتاب فقد أوضح المؤلف فيه بالتفصيل كيف أن الاسلام قد اعتبر دائما أن الدين والعلم توأمان متلازمان ، وأن تطبيق هذا المبدأ هو الذي أدى إلى ذلك الازدهار العظيم للعلوم في عصر الحضارة الاسلامية ، التي اقتات منها الغرب نفسه ، قبل عصر النهضة في اوروبا .

وبعد ، فانني أضع هذا العرض الموجز لذلك الكتاب الكبير ـ بغير إغراق في تفصيلات ـ بين يدي القارئ الكريم ، وهو في إجماله غني عن أي تعليق وتعقيب .



للاستاذ علي عبدالعظيم

الدين ضرورة نفسية واجتماعية ، الدين علاج نفسي ووقاية صحية ، لا الضوابط الخلقية ولا القانونية ولا العلمية مغنية عن الدين ـ لا بديل للعقيدة الدينية .
التدين نزعة فطرية ، وقد اعترف بهذا جمهرة العلماء المحدثين ، والخلاف بينهم انما يقوم على دراسة هذه الظاهرة وتطورها .
وقد قرر القرآن الكريم هذه الحقيقة قبلهم ، بنحو ثلاثة عشر قرنا ، وفي هذا أكبر الأدلة على أنه من عند الله ، وإلا فمن أنبأ هذا الرجل الأمي ، بحقيقة هذه المشكلة التي استنفدت طاقات العلماء المحدثين .
ومن الآيات القرآنية الحاسمة في هذا الموضوع ، قوله تعالى : **(واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا)** الاعراف / ١٧٢ .
واذا أخذنا بظاهر اللفظ ـ كما فعلت طائفة من المفسرين ـ فاننا نفهم من الآية الكريمة : ان الله سبحانه خلق الأرواح قبل خلق الأجسام ، وأنه أخذ عليها العهد بالايمان به ، فلما ظهرت إلى الوجود في أجسامها المادية ، كان عليها أن تفي بعهد الخلاق العظيم .
واذا ما أولنا الآية ـ كما أولتها طائفة من المفسرين ـ فاننا نفهم منها أن الله أودع في طبيعة النفوس البشرية نزعة الايمان العميق .
والآية في كلتا الحالين ـ تقرر أن النفوس البشرية منطوية على الايمان ، وأن كابر في هذه الحقيقة بعض المكابرين المعاندين .
وإلى هذا أشار الحديث الشريف : (كل مولود يولد على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه ، فأبواه يهودانه ، او ينصرانه او يمجسانه) رواه الطبراني والبيهقي .
وفي هذا الفصل ، نحاول الاجابة عن هذا السؤال : هل الدين ضرورة حتمية ؟ وهل هناك ما يحل محله أو يغني عنه ؟ وإذا كان غريزة ، فهل ينبغي لنا كبحها أو التسامي بها ؟
وقبل الاجابة عن هذه الاسئلة ، علينا أن نعرف ما هو الهدف الأساسي من الدين ؟
إن قوة الانسان محدودة ، ومداركه محدودة ، وأيامه على هذا الكوكب الأرضي محدودة ، وهو لا يدري من أين جاء ؟ ولا إلى اين ينتهي ؟ ولا يعرف كيف تم هذا ؟ ولا يدرك الحكمة من وراء كل هذا . والى هذا تشير الآية الكريمة : **(ما اشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق انفسهم)** الكهف / ٥١ . وهو ـ مع هذه الحيرة ـ يحس ـ في الكون الخارجي وفي قرارة نفسه ـ وجود قوة عظمى مهيمنة مدبرة : يمتد سلطانها دون قيود او حدود ، بحيث تشمله كما تشمل الأرض والسموات ، ويسيطر على الماضي والحاضر والمستقبل : القريب أو البعيد ، وهو ـ بفطرته الطبيعية ـ يلجأ اليها ملتمسا المعونة والتأييد ، والحماية من الشرور والآثام ، والأخطار المحيقة به ، المتجهة اليه من حيث يدري ولا يدري : يستوي في هذا جهال الأميين وكبار الباحثين ، وهذا هو جوهر العبادة

والتقديس .
والدين هو الذي ينظم هذه العلاقة القائمة بين الخالق والمخلوق والهدف الأكبر من العبادة ، هو تحقيق السعادة الممكنة في هذه الحياة وما بعدها للأفـراد والجماعات ، فاذا جردنا الانسان من عقيدته الدينية ، التي تمنحه العزاء عما يقاسيه من آلام لسلكناه في عداد الأنعام ، فتجعله حيوانا يأكل ويتناسل ، ثم ينفق ويتلاشى الى غير رجعة ،
فاي حياة يحياها هذا الانسان ؟
ندع الاجابة عن هذا السؤال الى كانت Kant أكبر فلاسفة العصر الحديث حيث يقول : لنأخذ حالة انسان فاضل : يجد نفسه خاضعا لالحاح الاعتقاد أنه لا يوجد إله ولا حياة أخرى وراء هذه الحياة ، فكيف يقدر مصيره الفردي تقديرا مستمدا من القانون الخلقي ، الذي يوحي اليه العمل ؟ إنه يرى أن ذلك الاعتقاد لن يجلب له أية فائدة شخصية لا في هذه الحياة ، ولا في حياة اخرى بطبيعة الحال ، بل إنه على العكس يرى ان إراداته يمكن ان تكون باعثة على الخير ، على حين توجه القوانين الأزلية جميع طاقاته فهو مجبر في كل افعاله ، ويجد آخرين ممن يحيطون به يخادعون ويغدرون ، ويستعملون العنف والقسوة ، على حين يكون ــ هو نفسه ــ أمينا مسالما ، ولا يعدم فيمن حوله بضعة افراد فضلاء مثله ، ولكنهم يتعرضون لقسوة الطبيعة التي لا تحفل بالقيم المثالية .. وبعد هذا يتساوى الجميع ــ اشرار واخيار ــ حينما يدهمهم الموت ، ويلقى بهم في قبور فسيحة بلا تفرقة ..
إنه لن يستطيع الاستجابة للقوانين الأخلاقية بسبب المصير إلى ظلام العدم اللانهائي ، وإذا اراد أن يتجنب هذا ، وجب عليه الأيمان بوجود خالق للكون هو الله ..
كما يقرر انه إذا كان للوجود الانساني قيمة ، فلا بد ان يكون للعالم غاية .. ولا بد من وجود سيد اعلى يشرع ــ من الشرائع ذات الأهداف المثالية ــ ما يتسنى به تحقيق الخير الأقصى تحت رعايته وسيطرته على الكون كله ، كذلك يقرر في بحث آخر قصور الارادة الانسانية عن تحقيق القانون الخلقي ، وأن الله ــ وحده ــ هو الذي تتحقق فيه الصلات المطلقة بين الارادة الالهية والقانون الخلقي .
وفي كلامه هذا ، ما يغنى عن الرد على من قالوا : إن القوانين الخلقية النابعة من الضمير حينما يلتزمها الانسان ، تغنيه عن العقيدة الدينية ، وإن القوانين الخلقية ، لا تقوم على مجرد السلطة المقارنة لها ، بل تقوم على إدراك ما يصاحب تطبيقها من منفعة ، وما ينشأ عن تركها من أضرار ، ولكن ، من الذي يحدد المنافع ويوضح الأضرار ؟ فكم من عمل ظاهره النفع أو ظاهره الشر ولكنه ينتج عكس ما توقعناه قال تعالى : **(وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون)** البقرة / ٢١٦ وقد تكون المنفعة خاصة بالفرد ولكنها ضارة للمجتمع ، وقد تكون وقتية يعقبها شر كبير .

ويبالغ اميل دوركاتم فيرى في كتابه « التربية الخلقية » ان القاعدة الخلقية يجب ان يكون الباعث على احترامها واجب ، دون النتائج التي تترتب عليها .
وهذه احلام فلاسفة اذا فرضنا تحققها في بضعة افراد ممتازين ، فانها لا سبيل إلى تحقيقها في المجتمعات .
ثم لنا ان نتساءل عمن يضع القوانين الخلقية ؟
ان الفلاسفة قد اختلفوا وسيظلون مختلفين في تقييم الفضائل وتحديد الرذائل ومن يرجع الى تاريخ الفلسفة وعلم الاخلاق فسيرى طوفانا من الآراء المتضاربة المتشابكة التي تقود الى الفوضى والدمار .
وفي هذا يقول ديورانت ، ان الشك يبعث على التوقف والضيق ، والايمان يدفع الى البسط ، ويحسن الشهية والدورة الدموية ، والواقع ، أن كل متشكك يشكو معدته ، ان الاعتقاد امر طبيعي وهو ينشأ مباشرة من الحاجات الفطرية والعاطفية من التعطش الى حفظ الذات والثواب والصحيــة والأمــن ، بل والخضوع ، وفي بعض الأحيان يغمرنا الشكر على النعمة ، حتى نود ان يكون لروح العالم آذان يسمع بها آيات شكرنا .
يقول نيتشة ان الطريقة التي تنقلب بها المصائب ، حظوظا حسنة ، اغرته بالاعتقاد في الله — ان الدين لم ينزع عن الموت ما فيه من ألم فقط بل ملأ الحياة جمالا بالطقوس والبناء والنحت ، والنقش والدراما .. لقد بدل مأساة الحياة الحقيرة الى رحلة شاعرية يحج فيها المرء إلى نهاية شريفة وبغير الدين ، تصبح الحياة سخيفة ..
.. والدين يؤدي الى استقرار الأسرة ، بما يربط افرادها به من روابط مقدسة ، ثم إلى استقرار الدولة تبعا لذلك .. إن ضعف الوازع الديني ، يؤدي الى انهيار خلقي يبدو واضحا في الانحلال الخلقي المتفشي الآن بين طوائف الخنافس والهيبز والوجوديين وجماعات الساخطين ، ومستعمرات العراة ، من أجيال مكتئبة تتقلب في القذارة الحسية والخلقية : مما جعل توماس هاردي يتساءل عن الكآبة المزمنة التي أخذت في الاستيلاء على الشعوب المتحضرة مع زوال اعتقادها في سلطة خيرة « يقصد بها سلطة الدين ومن هنا ، كانت مهمة علم الاخلاق قاصرة قصورا تاما عن أداء دور الدين : سواء بين الأفراد او الجماعات ويمتاز الدين ، بأنه يحدد الفضائل والرذائل تحديدا دقيقا ثابتا ، لا مجال فيه للبس ولا ابهام ،
والى هذا اشار الحديث الشريف : (الحلال بين والحرام بين ، وبينهما امور مشتبهات لا يعلمها كثير من الناس ، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه ، ومن وقع في الشبهات ، وقع في الحرام كراع يرعى حول الحمى يوشك ان يواقعه ، ألا وإن حمى الله تعالى في ارضه محارمه) رواه البخاري .
فالحديث الشريف يوضح الامور توضيحا دقيقا فهناك شعائر بينه ، امر الله بها وهناك محارم واضحة ، نهى الله عنها ، وهناك امور لم يرد فيها تعيين دقيق يلتبس فيها الأمر على بعض المؤمنين فعليهم ان يسألوا فيها اهل الذكر كما أشار

القرآن الكريم (**فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون**) النحل / ٤٣ .
والى أن يفتي فيها أهل الذكر فالاحوط في الدين ـ تجنبها ، اتقاء للشبهات ومن هنا اتضح الصراط المستقيم . (**صراط العزيز الحميد . الله الذي له ما في السموات وما في الأرض**) ابراهيم / ١ ، ٢ .
ومن أهم آثار الدين : انه يبدد الاحزان ، ويسوق العزاء . ويبتعث الآمال وييسر مشكلات الحياة ، ويبعث في النفوس الثقة والاطمئنان والأمان .
ولما كان القلق النفسي يدمر الحياة ، ويمزق النفوس ، ويجلب الأمراض النفسية والجسمية ، فان علاجه الوحيد ، هو بث الاطمئنان في النفوس .
والى هذا اشار العالم النفساني الشهير « هنري لنك » الذي اجرى ـ هو ومعاونوه ـ عشرات الالاف من التجارب النفسية على نحو عشرة آلاف شخص ، تلبية لطلب مؤسسة كاونيجي ، التي وضعت بين يديه مائتي ألف دولار ، وقد خرج من تجاربه بهذه النتيجة : « سجلت تقريرا شخصيا شاملا لكل فرد منهم ، وهنا بدأ إدراكي لأهمية العقيدة الدينية بالنسبة لحياة الانسان ووجدت من نفسي استعدادا لمضاهاة تجاربي السابقة على مرضاي ، بالنتائج الباهرة التي أتت بها تلك الاختبارات العظيمة ، التي توليت الاشراف عليها وقد استخلصت من هذه الاختبارات نتيجة هامة ولو أنها لم تنشر في التقرير النهائي ، وهذه النتيجة هي ان كل من يعتنق دينا أو يتردد على دار للعبادة ، يتمتع بشخصية أقوى وأفضل ممن لا دين له ، أو لا يزاول أية عبادة .
أليس هذا مصداقا لما قرره القرآن الكريم ، منذ أربعة عشر قرنا ، حيث يقول الله تعالى: (**الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب**) الرعد / ٢٨ .
والاسلام يحض المؤمنين به حضا على توكيد الصلات الوثيقة بفاطر الأرض والسموات لانه مصدر الأمن والامان ويوضح التبادل المتوالي بين رحمات الخالق وعبادة المخلوقين ، فالله تعالى يقول : (**فاذكروني اذكركم**) البقرة / ١٥٢ . فالمسلم يذكر ربه ، وربه يذكره .
وقد وضح الحديث الشريف هذا الذكر حيث يقول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث قدسي عن الله تعالى : (يقول الله تعالى انا عند ظن عبدي بي ، وانا معه إذا ذكرني ، فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وان ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه) رواه الشيخان وفي حديث قدسي آخر اذا تقرب العبد الى شبرا تقربت اليه ذراعا ، واذا تقرب الي ذراعا تقربت اليه باعا ، واذا اتاني يمشي اتيته هرولة) رواه البخاري .
والمسلم يقف أمام ربه مقيما الصلاة مناجيا له ، والله سبحانه يصلي هو وملائكته على عباده (**هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات الى النور وكان بالمؤمنين رحيما**) الاحزاب / ٤٣ والمحبة متبادلة بين الخالق والمخلوقين (**قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله**) آل عمران / ٣١ فهو سبحانه

(يحبهم ويحبونه) المائدة / ٥٤ وهو سبحانه راض عنهم وهم عنه راضون **(رضى الله عنهم ورضوا عنه)** التوبة / ١٠٠ .
ومن الطبيعي ان صفات الله من الذكر والصلاة والمحبة والرضوان ، هي رحمات منه متواليات يغدقها على عباده المؤمنين وأن صفات المخلوقين عبادات مرفوعة ، الى الله الجدير بالحب والعبادة والتقديس .
والنتيجة ان يتسامى الانسان من نطاق المادة الى الملأ الأعلى ، فيصبح جديرا بخلافة الله في أرضه وحمل أمانته بين خلقه ، واذا امتلأ قلبه بالايمان ، امتلأ بالسكينة والاطمئنان **(هو الذي انزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم)** الفتح / ٤ .
واذا كان أهم مصادر القلق النفسي ، هو الحزن على ما فات أو الخوف مما يباغت به المستقبل فان المؤمن الصادق الايمان لا يأسى على ما فاته من حظوظ الدنيا ، لانه يعرف أن الأمور تجري بالمقادير كما ورد في الحديث الشريف (واعلم ان ما اصابك لم يكن ليخطئك وان ما اخطأك لم يكن ليصيبك) رواه الترمذي واحمد والحاكم ، وفي رواية ، زيادة « واعلم ان الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك وان اجتمعوا على ان يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك .. رفعت الأقلام وجفت الصحف ، رواه الترمذي .
وهذا مصداق لقوله تعالى : **(ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير.لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم)** الحديد ٢٢ / ٢٣ . والمسلم يعلم انه اذا تعرض لمصاب فقابله بالصبر ، رفعه الله به درجات وكفر به عنه كثيرا من السيئات ، وفي هذا يقول صلى الله عليه وسلم **(ما من مسلم يصيبه أذى شوكة فما فوقها ، الا حط الله تعالى له به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها)** رواه الشيخان وقال صلوات الله وسلامه عليه (ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه خطيئة) رواه مسلم وليست الشدائد مقصورة على بعض الناس دون بعض ، ولم ينج منها الأنبياء بل هم اشد الناس تعرضا للبلاء ليكونوا في صبرهم احسن قدوة للمقتدين وفي هذا يقول صلى الله عليه وسلم (اشد الناس بلاء : الانبياء ، ثم الأمثل فالامثل : يبتلي الرجل على حسب دينه ، فان كان في دينه صلبا اشتد بلاؤه وان كان في دينه رقة ابتلى على قدر دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة) رواه البخاري والمؤمن في ثقته بربه يعلم : ان مع العسر يسرا وان لكل ضيق فرجا وان الله مع الصابرين وان العاقبة للمتقين **(ومن يتق الله يجعل له مخرجا . ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه)** الطلاق / ٢ ، ٣ **(ومن يتق الله يجعل له من امره يسرا)** الطلاق / ٤ . وان الله اذا اختبر عبده انعم عليه ، وان نعمه عليه متوالية من قبل ومن بعد **(وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها)** ابراهيم / ٣٤ وهو حينما يمتلىء قلبه بهذه المعاني ، لا يستطيع ان ينفذ اليه الخوف او الحزن **(ألا إن**

أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون) يونس / ٦٢ فيفيض قلبه بالسكينة والأمان والاطمئنان ، فيحيا راضيا عن ربه مرضيا عنه منه **(يا أيتها النفس المطمئنة . ارجعي الى ربك راضية مرضية)** الفجر / ٢٧ و ٢٨ ، والقرآن الكريم يقرر في حزم ان المؤمنين يتلقون نصيبا من الثواب في الدنيا كما يتلقون الثواب الاكبر الدائم في الاخرة .

(لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون) النحل / ٤١ والملائكة موالون لهم في الدنيا والآخرة **(نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة)** فصلت/ ٣١ صادرة من الله تعالى لهم في الدنيا والآخرة **(لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة) يونس/ ٦٤ أما الكفار فلهم عذاب عاجل في الدنيا وآجل في الاخرة (لنذيقهم عذاب الخزى في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون)** فصلت/ ١٦ **(لهم في الدنيا خزى ولهم في الآخرة عذاب عظيم)** البقرة/ ١١٤ .

فأي هدف سام يتطلع إليه الانسان في الحياة أكبر من الأمان والسكينة ، والاطمئنان في الدنيا والآخرة ، واي محذور يتقيه أخطر من الخزى والهوان فيهما .

وفي هذا بلاغ لأتباع المذهب المادي الذين يسخرون من وجود حياة أخرى للانسان ويرونها وهما من الأوهام ، يخدع به الأمراء والقساوسة ، الغالبية العظمى من الشعوب ليقنعوا بما هم فيه من فقر وشقاء ، وليتركوا نعيم الدنيا للقساوسة والأمراء والاغنياء .

ولهذا هتفوا : بأن « الدين أفيون الشعوب » .

واذا كانت المسيحية تجعل الفقر والزهد في الطيبات مثلا أعلى للمسيحيين ؛ فان الاسلام يحض المسلمين حضا : على الضرب في مناكب الأرض ، والسعي في سبيل الرزق ، والتمتع بطيبات الحياة ، دون إسراف أو كبرياء **(فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله)** الجمعة / ١٠ وقد خاطب الله انبياءه ، بهذا **(يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا)** المؤمنون/ ٥١ وأنكر على من حرم الزينة ودعا الى التقشف والحرمان **(قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق)** الاعراف/ ٣٢ ومن على رسوله صلوات الله وسلامه عليه بأنه أغناه بعد إملاق **(ووجدك عائلا فأغنى)** الضحى / ٨ .

وقد أنبأ الله عباده بأنه سخر لهم كل ما في الأرض : كل ما تضمه الأرض من سهول ووديان وبحار ومناجم **(هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا)** البقرة / ٢٩ **(وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار . وآتاكم من كل ما سألتموه)** ابراهيم /٣٢/ ٣٤ وبهذا امتاز الاسلام على غيره من الديانات حيث وازن بين الروح والمادة ، وبين الواقعية والمثالية ، وبين الدنيا والآخرة **(وكذلك**

جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس) البقرة/ ١٤٣ .

ويذهب بعض الفلاسفة الى أن القانون يغني عن الدين ، لأن عقابه سريع لا ينتظر بعثا ولا نشورا ، ولأن عامة الدهماء تخشى العقاب الواقعي العاجل ، ولا تلقي بالا إلى العقاب النفسي ولا العقاب الآجل ، وما دامت عين القانون ساهرة قوية ؛ فان المجتمع يستطيع أن يعيش في أمن وسلام ، دون حاجة إلى دين يحميه .

والحقيقة أن كثيرين يخشون العقاب العاجل ، ويحبون النتيجة العاجلة . وإن كان وراءها شر كثير .

والى هذا أشارت الآية الكريمة**(كلا بل تحبون العاجلة . وتذرون الآخرة)** القيامة/ ٢٠ ، ٢١ وفات هؤلاء ، أن الله سبحانه ، يعجل جانبا من الثواب في الدنيا ، كما يعجل جانبا من العقاب فيها كما ذكرنا منذ قليل .

والقانون لا يعاقب الا على ما يظهر ويؤيده الواقع . وكثيرون من المجرمين يرتكبون جرائمهم ويخدعون رجال الامن ورجال القانون ، ويعيثون في الأرض فسادا ، وكثيرون يسترون جرائمهم بالارهاب او بالرشاوي ، فلا يشهد عليهم أحد بهذه الجرائم ، لأنهم يخشون شرهم او يرجون بذلهم ، ولكن الله المطلع على الضمائر **(يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور)** غافر/ ١٩ فلا تخفي عليه خافية ولا يفلت من عقابه المجرمون **(قل إن تخفوا ما في صدوركم أو تبدوه يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الأرض والله على كل شيء قدير)** آل عمران/ ٢٩ **(وان تبدوا ما في انفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله)** البقرة/ ٢٨٤ **(واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروه)** البقرة/٢٣٥ .

والقانون يعاقب ولكنه لا يكافئ . ومن الناس من تخيفه العقوبة ، ومنهم من تجذبه المثوبة بل إن الفرد الواحد يتجاذبه الخوف والرجاء . والله سبحانه يثيب الطائعين ويعاقب المسيئين **(ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم)** الانعام/ ١٦٥ .

وهناك جرائم لا يعاقب عليها القانون مثل الكذب والنفاق ، واكل الربا وشرب المسكرات ، والبخل والجشع ، وكنز الأموال ، ولكن الله يوعد عليها بالعقاب الشديد . لأنها جرائم تلحق أشد الضرر بالأفراد والجماعات .

ومواد القانون قد تكون ظالمة ، وقد تكون قاصرة ، وقد تحمي الطائفية والعصبية المذهبية والعنصرية في كثير من الدول ، وهي مع هذا ، غير ثابتة : تتغير من جيل الى جيل ، ومن مكان الى مكان ، ولكن الشعائر الدينية ثابتة مستقرة : بما تقرره من فضائل وما تحظره من رذائل . وهي قائمة على العدالة المطلقة والموازين القسط **(فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره)** الزلزلة / ٧، ٨ .

والقانون يمثل سلطان الحاكم ، وربما كان هذا الحاكم ظالما أو بغيضا الى الشعب . وقد يحيطه الشعب بسخطه ويوجه اليه سهام النقد والسخرية ، ومهما

بلغت قوة الحاكم ، فهو محدود السلطة ، محدود العمر ، محدود المعرفة ، محدود الزمان والمكان ، أما الدين ، فيرد الأمور كلها الى حاكم عادل مطلق السلطان : لا يحده زمان ولا مكان ، ولا يخفى عليه خافية ، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ، هذا الاله : وسعت رحمته كل شيء **(كتب ربكم على نفسه الرحمة)** الانعام / ٥٤ **(أعطى كل شيء خلقه ثم هدى)** طه / ٥٠ ، وهو **(الذي خلق فسوى . والذي قدر فهدى)** الاعلى/ ٢ ،٣ وهو ـ سبحانه ـ يشمل عباده بانعامه وإحسانه ، ويغمرهم بعطفه وبره وحنانه **(وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها)** ابراهيم/ ٣٤ وهو تعالى **(يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر)** البقرة / ١٨٥ وهو سبحانه ـ بفضله وكرمه **(غافر الذنب وقابل التوب)** غافر/ ٣ لا يعجل بالعقوبة ولا يسارع بالعذاب **(ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم)** النساء / ١٤٧ .

وحاكم الدولة : قد يجامل ويحابي ، وقد يتحايل ويتعصب ، ولكن الله سبحانه لا يجامل ولا يحابي ، ولا يتحامل ولا يتعصب ، **(ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين)** الانبياء ٤٧ .

وحاكم الدولة قد يحتجب عن رعيته ، وراء الأسوار داخل نطاق الحراس الأقوياء ، ولكن الله قريب من عباده ، بل هو أقرب اليهم من حبل الوريد .**(وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان)** البقرة / ١٨٦ وهو سبحانه ـ يلبي دعوة من دعاه باخلاص وايمان **(وقال ربكم ادعوني أستجب لكم)** غافر / ٦٠ فلا يحتاج المؤمن في اتصاله بربه الى شفيع أو وسيط .

ولما كانت الاخلاق والقانون لا يستطيع كلاهما ان يحل محل الدين ؛ في توجيه الأفراد وقيادة الشعوب فقد ظن بعض الباحثين أن تقدم العلوم وازدهارها ، كفيل بجلب السعادة للأفراد والمجتمعات ، بما يحله من مشكلات ، وما يقدمه من وسائل للترفيه والراحة ، والتمتع بلذات الحياة ، وزعموا أن العالم كان في بدء نشأته يحتاج الى الدين ، كما يحتاج الطفل الى المربي : يأخذه برفق ، ويوجهه بحزم . أما الآن فقد استطاع العلم أن يقرب الأبعاد ، ويلغي المسافات ويحمل الانسان : فوق الهواء ، وتحت الماء ، وعلى غمار الامواج ، وان يقتحم به الفضاء ويصل به إلى القمر ، ويتهيأ للوصول به إلى الكواكب الاخرى عن قريب ، وبهذا يصبح سيد الكون ، فلا حاجة به إلى سيادة سواه من آلهة وأرباب .

وفي هذا يقول اوجست كومت إن العقل مر بحالات ثلاث : حالة لا هوتية « دينية » ثم حالة ميتافيزيقية (تجريدية) ثم حالة واقعية ، ففي الحالة اللاهوتية ، يبحث العقل عن كنه الكائنات وأصلها ومصيرها ، فيخلع على الكائنات الطبيعية حياة روحية شبيهة بحياة الانسان ، ثم قاده ذلك إلى تعدد الآلهة ، ثم إلى التوحيد .

أما في الحالة الثانية الميتافيزيقية التجريدية ـ ففيها يرمي العقل إلى استكناه

صميم الأشياء وأصلها ومصيرها ويستبدل بالعلل الغارقة عللا ذاتية يتوهمها في باطن الأشياء مثل : القوى الفاعلية ، الجوهر ، الماهية ، النفس ، الحرية ، الغاية .. ويقوده هذا إلى الاعتقاد بقوى تتعدد بتعدد الظواهر مثل : القوة الكيميائية ، والقوة الحيوية .. ثم إلى إرجاع القوى العديدة الى قوة أولية ، هي « الطبيعة » وتبلغ هذه الحالة أوجها في مذهب « وحدة الوجود » الذي يجمع جميع القوى الميتافيزيقية في « الطبيعة » .

وأما الحالة الثالثة وهي الواقعية فان العقل يكف فيها عن التطلع الى الحصول على معارف مطلقة ويقصر همه على تعرف الظواهر الطبيعية واستكشاف قوانينها ، وترتيب القوانين فيها من الخاص الى العام ، ، وهنا ، تحل الملاحظة محل الخيال والاستدلال ، فيكون العلم محاولا الاجابة عن السؤال« كيف » ؟ « لا الاجابة عن السؤال » لم ؟ » وهذه الطريقة هي التي أفلحت في تكوين العلم وتقدمه . ويجب أن يحل العلم الذي تولد عنها ، محل الفلسفة ، ثم يذهب إلى أن هذه الحالات الثلاث ، تتوالى في الانسان ، فهو في طفولته ــ لا هوتي ، وفي شبابه ــ ميتافزيقي ، وفي نضجه ــ واقعي .

وبهذا حصر دائرة المعارف الانسانية ، في نطاق التجارب المادية الواقعية ، وعاق الانسانية عن التطلع الى القوى السامية المسيطرة على الكائنات والموجهة لها ، والتي تتجلى آثارها في الذرة كما تتجلى في المجرة ، والتي تجذب البشرية إلى المثل السامية والآفاق العليا للاتصال بالحق والخير والجمال ، فليست الحياة مقصورة على واقعها المادي ، فهناك طاقات عرفنا بعضها وجهلنا معظمها . وما علمناه لا يجاوز قطرة ماء بالنسبة إلى المحيطات ، وما دامت هذه الطاقات قوى باقية مسيطرة : تحركها قوة عظمى : تنسقها تنسيقا دقيقا ، فان الدين باق ، وإن جادل في هذا المجادلون .

وفي هذا يقول الدكتور ماكس نوردو : إن الاحساس الديني أصيل في الطبيعة البشرية : يجده الانسان غير المتمدين كما يجده أعلى الناس تفكيرا وأعظمهم حدسا ، وستبقى الديانات ما بقيت الانسانية ، وستتطور بتطورها ، وستتجاوب دائما على درجة الثقافة العقلية التي تبلغها الجماعة .

على أن العلم لا يتناول الظواهر المحسوسة جميعها ، بل يقف حائرا أمام مشكلاتها جميعا .

والى هذا أشار القرآن الكريم ، في دقة بالغة الروعة (**يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون**) الروم/٧ فهم لا يعلمون جميع الظواهر ، وإنما يعلمون ظاهرا ، ساقه القرآن منكرا للدلالة على ضآلته . ثم كرر الضمير (هم) : (**وهم عن الآخرة هم غافلون**) لابراز ضآلتهم ، على الرغم مما يتبجحون به من ادعاءات . .. وقرر هذا في آيات عديدة ، منها قوله تعالى : (**وما يتبع اكثرهم الا ظنا إن الظن لا يغني من الحق شيئا**) يونس/٣٦ وسخر من غرور العلماء الماديين فقال : (**بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما**

يأتهم تأويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) يونس/ ٣٩ وهنا ، تقرر الآية الكريمة : أن العلماء ، إن بلغوا مرتبة سامية من التجارب العلمية ، فان معارفهم ستظل محدودة ، وهم لا يحيطون ــ ولن يحيطوا ــ بكل شيء علما ، فالأمانة العلمية تقتضيهم ألا يكذبوا بما لم يصل الى علمهم ، لأن النفس ، يقتضي الاحاطة بكل شيء علما ، وهو ما لا يستطيع ــ ولن يستطيع ــ أن يدعيه أحد من العلماء ،

والآية تقدم الدليل على أن التقدم العلمي : يكشف كل يوم جديدا ، لم يكن معروفا . وأن هذه الكشوف ، ينبغي أن تحمل العلماء على التريث في إصدار الاحكام المطلقة ، ثم فيها إشعار بأن الله سيريهم من آياته الكونية وتأويلها ، ما يردهم إلى الصواب ، حيث تقول (**ولما يأتهم تأويله**) فان أداة الشرط« لما » تشعر بقرب الوقوع ، وهذا مصداق لقوله تعالى (**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق**) فصلت / ٥٣ وقوله تعالى (**وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها**) النمل/ ٩٣ .

كما أن القرآن الكريم ، يدعوهم إلى الاتعاظ بما حدث لمن كان قبلهم ، من الجاحدين المنكرين الذين بادروا بالتكذيب ، ثم كشفت الأحداث جهالتهم وقادتهم إلى سوء المصير (**كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين**) .

على أن العلم ، إذا كان قد منح الانسانية رفاهية وتقدما ــ فانه أنزل بها من المصائب والكوارث ، ما حول حياتها إلى شقاء وجحيم وهلاك ، فان الانسان ــ أول ما عرف الذرة واستطاع تفجيرها ــ دمر بها المدن ، وأباد بها في ثوان معدودات مئات الآلاف ، ولا يزال التقدم العلمي يهدد الانسانية بالدمار والخراب ، والقضاء عليها القضاء الأخير ، ما لم ينقذها عاصم من الدين .

والشعوب الراقية علميا الآن ، يتعرض شبابها لألوان من الضياع والتمزق والدمار ، لأن قلوبهم ــ من الدين ــ خواء .

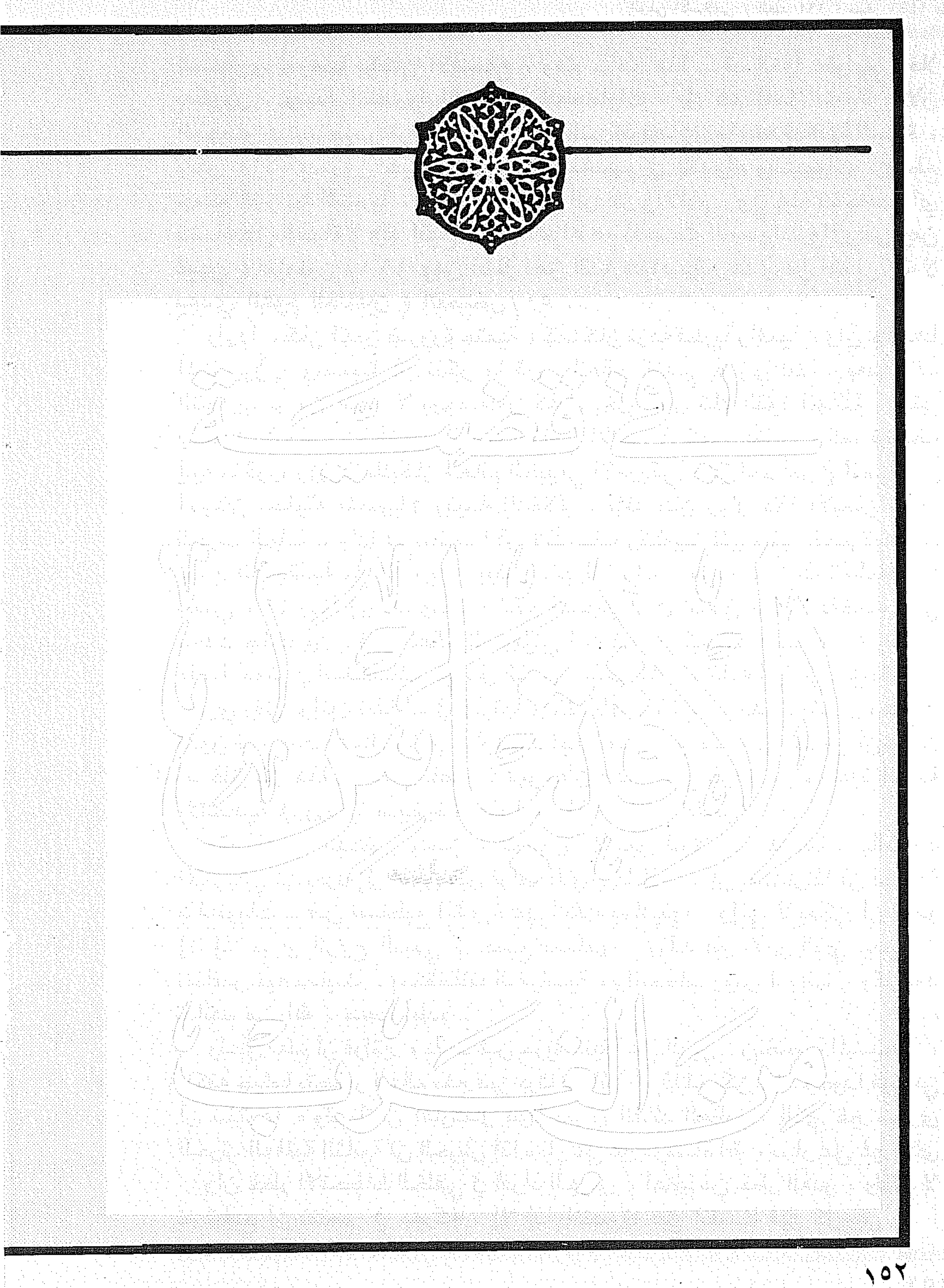
وهناك من المذاهب الحديثة ، ما يدعو إلى الفوضى والانحلال وعبادة الأهواء والشهوات : استجابة لبواعث السخط والتشاؤم ، والتحلل من كل نظام : كالوجودية والفوضوية ، وجماعات الساخطين ، والهيبز والخنافس .. وما يمثلها من جموح كالسريالزم ، والعبث والسخط واللامعقول .. وفي هذا انحدار للبشرية من مرتبة الانسانية الى احط درجات الحيوان وفي هذا يقول القرآن الكريم في استفهام إنكاري تعجيبي (**أفرأيت من أتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله**) الجاثية ٢٣ ويقول جل شأنه (**أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا . أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا**) الفرقان/ ٤٣ ، ٤٤ فهم لا يستجيبون للأدلة المنطقية ، ولا للوحي

السماوي ، وهما يبلغان الأسماع ، وهم ــ مع هذا ــ قد ألغوا عقولهم ، فلا يفكرون . وبهذا انحدروا إلى مرتبة العجماوات ، بل هم أضل سبيلا ، لأن العجماوات تستجيب لغرائزها الفطرية ، التي تقودها إلى ما يحفظ عليها الحياة ، ولكن هؤلاء يدمرون حياتهم تدميرا بانغماسهم في الأهواء والشهوات ، وقطع جميع الروابط البشرية ، واقتراف جميع الرذائل والآثام ، وفي هذا قضاء ــ أي قضاء على الحياة (**ولو اتبع الحق أهواء هم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن**) المؤمنون / ٧١ (**ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين**) القصص/ ٥٠ .

ولهذا ، كان الدين ضرورة حتمية ، كما كان نزعة فطرية واقعية ، وان جحدها المكابرون ، وحسبنا أن نذكر ما قرره العالم النفسي هنري لنك ، بعد آلاف التجارب ــ من أنه « لا يوجد بديل كامل يحل محل تلك القوة الهائلة ، التي يخلقها الايمان بالخالق وبناموسه الخلقي الآلهي في قلوب الناس » كما نضيف إليه ما قرره روبرت مليكان العالم الطبيعي الامريكي » إن أهم أمر في الحياة هو الأيمان بحقيقة المعنويات وقيمة الأخلاق . ولقد كان زوال هذا الايمان سببا للحرب العامة ، واذا لم نجتهد الآن لاكتسابه ولتقويته فلن يبقى للعلم قيمة بل يصير العلم نكبة على البشرية » ويقرر مالبراتش أنه « ما من شيء اذا تأملناه كما ينبغي ، إلا ردنا إلى الله وحينما نجح السوفييت في اطلاق مركبة الفضاء التي حملت جاجارين ، قال العالم السوفيتي المشرف على أبحاث الفضاء : « إننا ــ كلما أمعنا في استكشاف مجاهل الكون ــ ثبت لنا أن نظامه الرائع ــ في دقته ــ يجري وفق قوانين تبلغ ــ في كثرتها واختلاطها ودقتها ــ حدا يستحيل معه أن تكون قد وجدت بشكل جزافي ، أولعبت فيه الصدفة دورها ، بل لابد من أن يكون قد خلق كل هذا ، منظم ماهر !؟ فهو يعلن هذا ، على الرغم من سيطرة المادية الالحادية في روسيا سيطرة ترعاها الدولة ويكفلها القانون ..

وقد أهاب الدكتور ولسن ، الرئيس الأسبق للولايات المتحدة . بالشعب الأمريكي أن يعود إلى الدين قبل فوات الأوان قائلا : « إن حضارتنا أن لم تنقذ بالمعنويات ــ فلن تستطيع المثابرة على البقاء بماديتها ، وإنها لا يمكن أن تنجو إلا إذا سرى الروح الديني في جميع مسامها . وذلك هو الأمر الذي يجب أن تتنافس فيه معابدنا ، ومنظماتنا السياسية ، وأصحاب رؤس أموالنا ، وكل فرد خائف من الله ، محب لبلده .

ونحن نعلم أن فولتير ، ملحد شن حربا عنيفة على الدين ، وبخاصة المسيحية ، ولكنه حينما يتصور العالم بغير دين يرتاع قائلا » إذا لم يكن الله موجودا فينبغي أن نخترعه » وقد أعلن المارشال مونتجمري القائد العظيم ، الذي غير مجرى الحرب العالمية الثانية أن الجيش إذا سار على غير مرضاة الله ، سار على غير هدى . وأن خطر الانحطاط الخلقي في أفراد الجيش ، أعظم من خطر العدو ، ولذلك لا نستطيع أن ننتصر في معركة ، إلا إذا انتصرنا على أنفسنا قبل كل شيء ..



للأستاذ : أنور الجندي

ما يزال الفكر الغربي يطرح في آفاق الفكر الاسلامي سموما زاعقة ، وشبهات خطيرة ، ومفاهيم ضالة ، ويرجع فساد الفكر الغربي إلى أن الغربيين بعد أن عزلوا الدين حكموا العقل في ناحية ما وراء الطبيعة والضمير في ناحية الأخلاق .

ويخطىء العقل لأنه يختلف من إنسان لآخر ، ومن بيئة إلى أخرى ، ومن زمن إلى زمن ، ومن مكان لآخر ، ومن ثقافة لأخرى ، كذلك فان الاعتداد بالضمير خطأ ، لأنه يوحي بايحاءات مختلفة ، فالضمير ليس إلا أثرا للبيئة والثقافة والوسط الذي يعيش فيه ، ليس الضمير معصوما قط ، وإنها لفكرة خرافية أن يكون الضمير معصوما ، وإذا تخلص الضمير من سيطرة الدين فانه قد يوحي بالفساد ، وإذا كانت البيئة أوروبية فالضمير أوروبي ، وإذا كانت البيئة شرقية فالضمير شرقي ، ومن الواضح أن ضمير الأوروبيين لا يؤنبهم قط على سفك الدماء الذي يستبيحونه في كل قطر يسيطرون عليه ، بل هو يبيح السفك والتنكيل والاستعمار ، وليس هناك شيء ثابت مستقر معصوم اسمه الضمير ، وليس هناك قضايا يتفق عليها فيما وراء الطبيعة .

ومن أخطائهم دعوى رجال العلم بأن الانسان له حريته واستقلاله وخلوده ، وكان ذلك رد فعل لموقف الكنيسة ، كذلك كانت دعوة « سارتر » إلى حرية الفرد هي رد فعل الحرب العالمية الثانية وسقوط فرنسا ، إنهم يحولون بين البشرية والوصول إلى مفهوم الاسلام ، ويوجهونه إلى مفهوم العلمانية وهدم الدين .

– كذلك فان هناك فساد فكرة التطور في الدين والأخلاق ويعني مفهوم التطور في الفكر أنه ليس هناك قضية ثابتة وأن جميع القضايا الفكرية متطورة ومتغيرة ، وأن هذا التطور قد لا ينتهي عند حد ، وإذن فهناك النسبية باستمرار ، هناك النسبية المطلقة ، وهناك أيضا الخطأ المستمر ، وما دام هناك قول بالنسبية والتطور فليس هناك ثبات ، وإذن لا يكون هناك ثبات في الدين ، ولا يكون هناك ثبات في الأخلاق .

ومن أكبر أخطائهم فساد ادخال فكرة التطور في الدين ، فاذا فهمت فكرة التطور على حقيقتها ، وفكرة الدين على حقيقته ، فليس هناك مناص من الاقرار بأن الدين الحق لا يدخله التطور ذلك أن التطور الفكري هو تغيير من حال إلى حال ، وهو تغيير مستمر دائم ، ولا ريب أن الحقائق الدينية ثابتة ، لا تتغير بتغير الأهواء والعواطف .

– إن جذور الفكر الغربي المعاصر (ماركسي ووثني وليبرالي) هي صلب المسيح ، وتأليه الانسان ، والرهبانية ، والربا ، وعبادة الذهب ، ونظرية الأبوة ، وسقوط الغيرة إزاء المرأة ، وسقوط الرحمة إزاء الآباء والأسرة ، والتثليث ، وإنكار الآخرة والبعث ، وعبادة الأجساد ، وكل هذه المفاهيم تشكل النظريات الخاصة بالاجتماع والسياسة ، والثقافة والتربية والاقتصاد ، ومن هنا كانت الفوارق العميقة بين أصول وقيم ومقومات الفكر الاسلامي وأصول وقيم ومقومات الفكر الغربي ، وأبرز هذه المقومات أن الثقافة الاسلامية لم تعرف ذلك الانفصام الذي عرفته الثقافة الأوروبية بين الفلسفة والدين ، حيث لا يوجد في الاسلام انفصام بين العلم والدين ، أو بين الدين والمجتمع ، أو بين الدنيا والآخرة .

ومن هنا تأتي قضية الاقتباس : وهي قضية هامة وخطيرة بالنسبة للفكر الاسلامي المعرض اليوم لتحديات الفكر العالمي (الوثني والمادي والماركسي) والحقيقة الأولى في مجال الاقتباس أنه يؤدي إلى نقل النواقص التي يشكو منها أهل الفكر المنقول منه ، وهذه النواقص عندما تنقل الى بيئة أخرى قد تصبح أشد خطرا بكثير مما كانت في بيئتها الأولى .

والحقيقة الثانية : أن الأخذ من الغير مقيد بشرط المحافظة على الأصالة الاسلامية ، فاذا كان عاملا على القضاء على الذاتية الخاصة فانه مرفوض تماما .

– ولا ريب أن الحلول الوافدة قد جنت على أمتنا الاسلامية جناية كبرى ، حتى قيل : إنها بمثابة قتل الشعوب بغير إطلاق الرصاص ، وتتمثل هذه الحلول في الدعوات المسمومة إلى الاقلية والقومية العرقية والليبرالية والديمقراطية والماركسية ، ولدى المسلمين مناهج أكثر أصالة وأقدر على حفظ العطاء ، وعلى بقاء الأخوة الاسلامية الجامعة .

ولا ريب كم تكون النظرة ناقصة وغير قادرة على الاحاطة وعاجزة عن استيعاب الأمور عندما تكون قومية أو وطنية اقليمية ، أو عندما تكون أدبية ، ذلك أنها تكون جزئية وناقصة .

إن علينا تأصيل القيم العليا التي ورثناها عن الدين الحق ، والتي هي اساس وجودنا ، وإن أخطر الأخطار هي حجب الثقافة الاسلامية عن طابعها الأصيل المميز لها ، أو عزل الثقافة والفكر الاسلامي المعاصر عن جذوره وامتداداته منذ نزول القرآن ، وأخطر من ذلك الدعوة إلى ما يسمى ثقافة عربية حديثة مرتبطة بالفكر الغربي مع تجاهل كل ما يتصل بتاريخ أربعة عشر قرنا

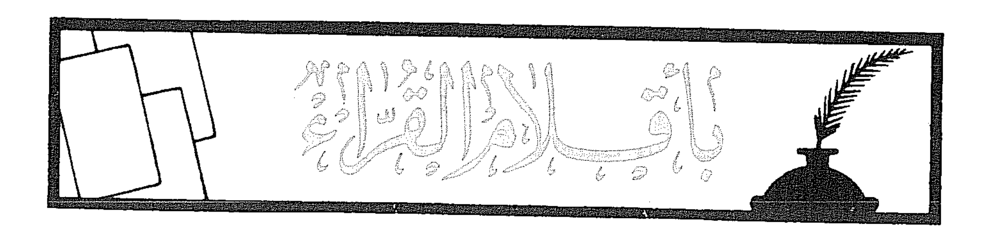
ومن ذلك خطر التخيير الغربي للمسلمين بين الاسلام والعلمانية ، أو القول بأن الاسلام لا يستطيع أن يواجه التطورات الاقتصادية

والاجتماعية التي يواجهها العرب والمسلمون ، ولا ريب أن العلمانية التي يدعون إليها هي فراغ ، والفراغ لا يمكن أن يحمي المنطقة من الأخطار ، وأن الاسلام هو الحل الوحيد الذي يحمي الأقطار العربية ، لقد حمى الاسلام الأقطار العربية في الماضي ، وسيحميها في المستقبل ، فالاسلام هو السلاح الوحيد .

– إن الاسلام لم يحذر من شيء قدر تحذيره من التبعية والتقليد ، إيمانا بأن الاسلام له منهجه الأصيل ، ونظرته الواضحة ، لكل أمر من أمور العيش والحياة ، وثبات الشخصية والقيم في الاسلام لا يحول مطلقا دون تلقي أحدث معطيات العلم والفكر والمعرفة ، واستيعابها ، والترقي بها في مختلف مجالات النهضة ، والتقدم والحضارة ، ولقد كان المسلمون في مختلف العصور حتى في أشد العصور ضعفا وتخلفا ـ قائمين بالحق في وجه محاولة احتوائهم أو صهرهم في بوتقة الأممية ، وكانوا في أسوأ عهود الاحتلال العسكري والاستعمار السياسي غاية في اليقظة تجاه محاولة صهرهم في بوتقة الغرب ، وأخشى أن يكونوا بعد أن تحرروا من النفوذ العسكري والسياسي ، قد دخل عليهم إحساس خادع بالأمن بينما يدعونا الاسلام ونحن في أشد حالات القوة إلى الحذر الدائم ، والمرابطة في الثغور ، وهناك صيحة تحذير عامة صدرت من كثير من الناصحين تشير إلى أننا نفقد اصالتنا تدريجيا ، ونتنازل عن الصفات المميزة لنا يوما بعد يوم ، نتيجة غزو أسلوب العيش الغربي لنا ، وسيطرة قيم وافدة على مفاهيمنا وسلوكنا .

– إن قضية الاقتباس قضية مثارة ، ولكن لها محاذيرها ، فانها قد تؤدي إلى نقل النواقص التي يشكو منها ، ويسعى لازالتها المفكرون في البلاد التي أنشأت ذلك النظام ، وهذه النقائص ، عندما تنتقل إلى بيئة جديدة قد تصبح أشد ضرراً بكثير مما كانت في بيئتها الأولى .

إن الأخذ من الغير مقيد بشرط المحافظة على أصالتنا ، ولا ريب أن المنهج العلمي الغربي تشادله كل يوم قداسة جديدة ، وبطولة زائفة ، ذلك لأننا وجدناه في أيدي الباحثين ، وخاصة المستشرقين والمبشرين ، يقوم على الهوى والتعصب ، ويحمل طابع استعلاء الغربيين بالجنس الأبيض وبالحضارة ، ويحمل طابع الانتقاص من حضارة الاسلام ، صاحبة الفضل الأكبر على الحضارة الحديثة ، ولا ريب أن المنهج العلمي الصحيح هو الذي قدمه الاسلام ، وكل منهج يدعي العلمية ، ولا يقوم على ضبط النفس ، والاخاء البشري ، والسماحة ، هو منهج زائف . ولقد واجهت المناهج والأيديولوجيات الغربية هزائم متوالية في التطبيق ، لأنها (١) عارضت الفطرة (٢) صانعت الأهواء والظنون (٣) لأنها لبشريتها لم تتمكن من الارتفاع إلى آفاق الايجابية والموالاة مع تحولات الزمن والبيئات ، ولا يقدر على ذلك إلا المنهج الرباني .



مؤمنون حقا

أرسل لنا الأخ الطبيب زكريا عبدالستار المزين من مصر رسالة نقتطف منها مايلي :

من النماذج القرآنية في كتاب الله نذكر منها :ـ
(أ) نموذج الفتى الشاكر في شخصية سليمان الذي قال عندما سمع كلام النملة وفهم عنها: « ربّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحا ترضاه » كما قال عندما احضر له عرش بلقيس :« هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم » .
(ب) نموذج الحاكم او الملك العادل الذي لم يلهه ملكه عن عبادة ربه ، ورعاية شعبه ، في شخصية ذى القرنين الذي بلغ مطلع الشمس ومغربها ولكنه ظل متمسكا بالعدل : يكافيء المحسن ويعاقب المسيء ويقاوم المفسدين في الأرض ، ويقيم التحصينات والسدود مستعينا بالله اولا ثم بجهد الشعوب اخرا .
(جـ) نموذج المبتلى الصابر والمصابر والمستعيذ بالله والراضي بالقضاء ، وراغب الشفاء والذي دعا رب العباد رافعا رأسه لرب السماء في شخصية ايوب :« إنا وجدناه صابرا نعم العبد إنه أواب » .
(د) نموذج الشاب الذي سجدت له دائرة الفلك الكونية ولم يعرف احد اسرارها ومدى تأثيرها في شخصية يوسف:« إذ قال يوسف لأبيه يأبت إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين » .
(هـ) نموذج الشاب المفوض أمره لله ، والصابر لطاعة الله حتى قدم رقبته قربانا لله في شخصية الذبيح اسماعيل بن ابراهيم حيث قال له ابوه:« يابني إني أرى في المنام أنّي أذبحك فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين » .
(و) نموذج المؤمن الذي يكتم ايمانه لمصلحة ، فاذا جاء وقت الحاجة برز بايمانه ، يدافع عن الحق ويقاوم الباطل ويحاول بالحكمة ويؤثر بالموعظة ويدعو على بصيرة . في شخصية مؤمن آل فرعون .
(ز) نموذج الداعية صاحب الرسالة يحكم عليه بالسجن ظلما ـ فينتهز كل

فرصة لدعوة السجناء الى توحيد الله واطراح الوثنية المحرفة في شخصية يوسف ابن يعقوب:« ياصاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار » .

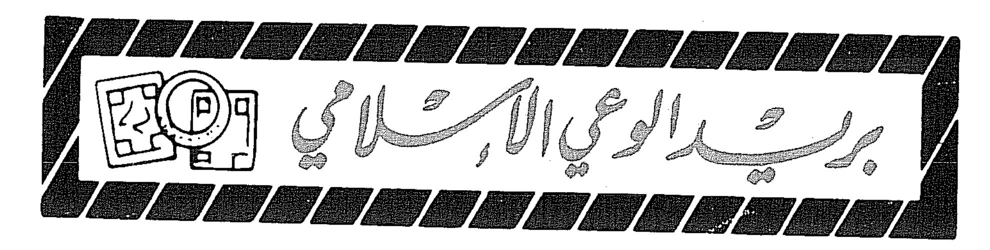
(ح) نموذج الابن المؤمن مخاطبا اباه قائلا له ماذا تلتمسه من عبادة الأصنام وكيف يتلطف معه في الدعوة وتبليغ الرسالة الالهية في شخصية ابراهيم وابيه:« إذ قال لابيه ياأبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا » .

(ى) نموذج المرأة المؤمنة وذلك يطالعنا قرآننا الكريم:« ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا » وفي شخصية آسيا امرأة فرعون وزوجها الطاغية الجبار الذي:« فحشر فنادى . فقال أنا ربكم الأعلى » وخديجة بنت خويلد حيث يجد الانسان الكمال المطلق والخير المحض والمثل العليا في كل شئ .

(ل) نموذج لصاحب أشهر واعجب عصا في التاريخ والتي اذهلت الخلق عندما القى موسى عصاه :« وما تلك بيمينك ياموسى . قال هي عصاي أتوكؤا عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى . قال ألقها ياموسى فألقاها فإذا هي حية تسعى . قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى » ونموذج آخر لصاحب السفينة التي حملت من الخيرات والأنعام وفيها ما تشتهى كل نفس وما تنظر له كل عين من نفحات وعبادات:« قيل يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك وأمم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب أليم » .

(ص) نموذج الأمة التي لا تحترم نعمة الله ولا ترعاها ، ولا تقوم بحق شكرها ، فيسلبها الله منها ويسخط عليها ، وينأى بها عن سبيل الفضيلة ، ويوقعها في الهاوية:« لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور . فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشئ من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور » ؟

(ن) ونموذج للاخلاق الفاضلة الحميدة الطيبة ونقتدي بها جميعا ، ونسير على خطوها ، ونرتكز على عقيدتها:« لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » وبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم نورا وهدى للعالمين فكانت أخلاقه قرآننا القويم ، بقوة اليقين في شخصه وروعة الايمان في نفسه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في أخلاق الاسلام:« لا يكن أحدكم إمعة ، يقول أنا مع الناس ان احسن الناس احسنت ، وان اساءوا اسأت ، ولكن وطنوا أنفسكم ، ان احسن الناس ان تحسنوا ، وان اساءوا ان تجتنبوا إساءتهم » وعنه قال لابن عباس: « ياغلام احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك تعرف الى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، واذا سألت فاسأل الله ، واذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك بشئ قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك جفت الأقلام وطويت الصحف » هذه أخلاق رسول الله ، الذي بعث ليتمم مكارم الأخلاق » وقال الله له « وإنك لعلى خلق عظيم » .



الحجاب امر به الرسول

تسأل اخت مسلمة هل لها من مخرج فهي متدينة متمسكة بالحجاب ولكنها تحارب ويمنعها أهلها من ارتدائه ويقرون إظهار زينتها ولا حرج عندهم في ذلك ؟..

نقول لها لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق فمهما كانت صلة من يمنعك من لبس الحجاب فليس له الحق في ذلك .

فالحجاب امر به الله سبحانه وتعالى وشدد فيه فقال : « وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن او آبائهن .. » الى آخر الآية الكريمة فقد تبين انها تنص صراحة على التزام الحجاب وهو ستر زينة المرأة فمن الافعال التي تلعن عليها المرأة اظهار الزينة ولقد بالغ الاسلام في التحذير من التبرج الى درجة انه قرنه بالشرك والزنى والسرقة وغيرها من المحرمات وذلك حين بايع النبي صلى الله عليه وسلم النساء ، فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال « جاءت اميمة بنت رقيقة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تبايعه على الاسلام فقال ابايعك على ان لا تشركي بالله شيئا ولا تسرقي ولا تزني ولا تقتلي ولدك ولا تأتي ببهتان تفترينه بين يديك ورجليك ولا تنوحي ولا تتبرجي تبرج الجاهلية الاولى » والتبرج هو إظهار الزينة .

وفي الحث على ذلك ايضا جاءت الاية الكريمة يقول الله سبحانه « يأيها النبي اذا جاءك المؤمنات يبايعنك على ان لا يشركن بالله شيئا ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين ايديهن وارجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ان الله غفور رحيم »

والقرآن الكريم يخاطب اولياء الامور يقول الله سبحانه « يا أيها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا . وقودها الناس والحجارة » .

والحديث الشريف يؤكد ذلك « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ... » الى آخر الحديث الشريف .

وعن عاصم الاحول قال .

« كنا ندخل على حفصة بنت سيرين وقد جعلت الجلباب هكذا وتنقبت به فنقول لها : رحمك الله قال الله تعالى : « والقواعد من النساء اللاتي لايرجون نكاحا فليس عليهن ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة »

فالزوج اذا رضي لزوجته عدم الحجاب وإبداء الزينة تلحقه لعنة الله لانه مأمور بتقويمها ونهيها عن المعصية وكذلك الوالد مأمور بتنشئة ابنائه على الطاعة ، والتبرج لا شك انه معصية .

فاستعيني بالله وتمسكي بما امر الله حتى تكوني محل رضاه ، وثقي ان الله لن يتركك وحدك لانك قد التجأت اليه ولن يضيعك ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم .

ونطلب لاهلك وذويك الهداية الى الصواب وان يكونوا عند حسن الظن ويحافظوا على نعمة الله فيك ويصونوها عن الاعين الضالة وما اكثر اصحابها .

وعليك الطاعة لهم وعدم الايذاء فقد اوصى الله بهم خيرا وامر بالاحسان اليهم لكن في غير معصية ، وكوني رفيقة بهم .

كلمات لها معان

وردا على سؤال حول كلمة « امة » فان الكلمة الواحدة تطلق على معان كثيرة فمن معاني كلمة امة في القرآن الكريم نقول :

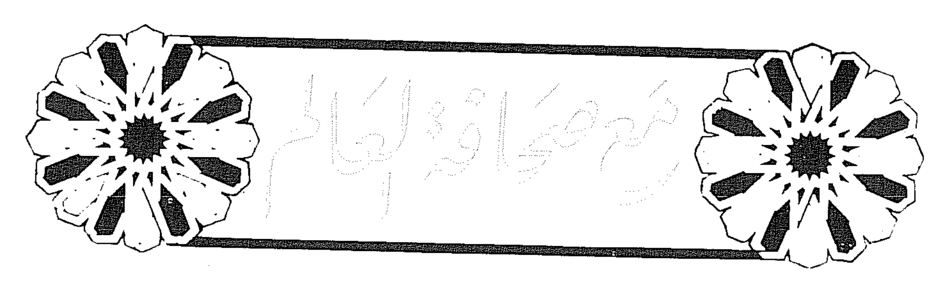
تطلق كلمة امة ويراد بها الدين يقول الله سبحانه وتعالى « انا وجدنا آباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون » .

وتطلق ويراد بها الرجل المطيع لله كقوله تعالى « ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين » .

وتطلق ويراد بها الجماعة كقوله تعالى « ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون » .

وقول الله سبحانه « ولقد بعثنا في كل امة رسولا » . وتطلق ويراد بها الحين من الدهر كقوله تعالى « وقال الذي نجا منهما وادكر بعد امة انا انبئكم بتأويله فأرسلون » اي بعد حين على اصح القولين .

وهكذا فانك تجد الفاظا كثيرة تؤدي معاني مختلفة وتلك صفة الكثير من الكلمات العربية .



صدور الجزء الاول من الموسوعة الفقهية

الموسوعة بكاملها ستضم ٥ آلاف مصطلح وتصدر خلال ١٠ سنوات

كتبت جريدة القبس الكويتية الصادرة بتاريخ ١٩٨٠/١١/١٤ عن الموسوعة الفقهية تقول :

اصدرت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت « الجزء الاول من الموسوعة الفقهية » الذي يشتمل على قسم كبير من حرف « الالف » بدءا من مصطلح « ائمة » حتى مصطلح « اجزاء » .

والاجزاء الاخرى مازالت قيد الاعداد والطبع ، حيث تتناول بسط الاتجاهات المختلفة في الفقه الاسلامي موزعة على نظريات رئيسية ومواضيع فرعية مرتبة ترتيبا أبجديا .

الجزء الاول ، وقد عرض في معرض الكتاب السادس ضمن جناح الوزارة ويتكون من نحو ٤٠٠ صفحة من القطع الكبير .

والموسوعة الفقهية من اهم مشروعات وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية ، لانها ستكون مرجعا ليس للكويت والامة العربية فحسب بل للامة الاسلامية ككل .

مراحل العمل

وقد بدأ العمل بها منذ عام ١٩٦٧ ، وجرى خلالها وفق خطوات متوالية اهمها :

- استخراج المصطلحات الفقهية الشاملة (رؤوس المسائل وعناوين الابحاث) ..
- دراسة المصطلحات ومدى صلتها بالفقه ، وفرزها بحسب حاجتها للبيان ما بين بحوث كبيرة او صغيرة ، او فرعية بحيث لا يترك مصطلح دون دراسة وافية او موجزة او دلالة للموطن المناسب لبحثه . وهذه هي الميزة الاساسية للموسوعة .
- تخطيط كل مصطلح بصورة اجمالية ثم تفصيلية ، ودراسة اللجنة العلمية لتلك المخطوطات لضمان التتنسيق والشمول .

- كتابة البحوث الأصلية داخليا من قبل الخبراء او خارجيا من قبل الفقهاء المستكتبين بالمراسلة وكتابة المصطلحات الصغيرة والفرعية داخليا من قبل الباحثين .
- مراجعة كل ما يكتب مرتين : خارجيا من الفقهاء المختصين ، ثم داخليا من اللجنة العلمية ، مع تدارك الثغرات .

٥ آلاف مصطلح

والموسوعة ، التي قد يستمر العمل فيها حتى نهاية الثمانينات ، يتوقع ان تضم نحو خمسة الاف مصطلح ، وان تصدر في نحو ثلاثين جزءا على دفعات ، اشباعا لرغبة طالبي العلم والمعرفة وتمكينهم من متابعة خطوات انجاز الموسوعة ، والافادة منها ، وتلبية للحاجة الماسة لسد الفراغ بالنسبة لاخراج الفقه الاسلامي في صورة موسوعية تواكب متطلبات العصر من حيث الشكل ، مع الحفاظ على جوهره المستمد من الكتاب والسنة من حيث المضمون .

وهذا العمل يشرف على اعداده نحو ١٥ خبيرا وباحثا ومساعدا علميا من علماء المسلمين من شتى الاقطار سواء من تيسر تفرغهم او بالتعاون الخارجي . وتعتمد الموسوعة على المذاهب الاربعة حيث اختيرت طريقة العرض حسب الاتجاهات الفقهية ، وتأتي المذاهب تباعا وبذلك تمثل جميع الاراء الفقهية .

اما بالنسبة للاجتهادات الحديثة والمعاصرة فانها تؤخذ بعين الاعتبار ويستفاد منها في الملحق المخصص للمسائل المستحدثة .

وهذا العمل الذي ستجري ترجمته الى عدد من اللغات الحية المنتشرة في البلدان الاسلامية غير الناطقة بالعربية ، ستكون له فائدة علمية كبيرة للباحثين ، والدراسات الاسلامية بشكل عام ، كما انه سيكون عونا لاية دولة اسلامية تسعى لوضع دستورها وقوانينها وفقا للشريعة الاسلامية ، حيث ستتضمن الموسوعة من المادة الفقهية ما يصلح لاستخلاص الاسس الاسلامية الصحيحة لذلك .

المشاريع المشابهة

ولا توجد في العالم الاسلامي سوى مشروعات قليلة شبيهة للموسوعة ، اذ لا يوجد رسميا حاليا سوى مشروعين مشابهين : اولهما في سوريا بكلية الشريعة حيث انطلقت فكرة الموسوعة وهي الان شبه مجمدة ، والثاني : موسوعة المجلس الاعلى بمصر ومضت عليها ١٨ سنة ابتداء من ١٩٦١ ، وينتظر ان تبلغ اجزاؤها ١٠٠ جزء اصدر منها ١٥ جزءا فقط . والاختلاف بين الطرائق المتبعة في كل من هذه المشاريع يسهم في خدمة الفقة الاسلامي بصور متعددة . وهناك تعاون قائم بين المشاريع على مستوى الجهات والافراد .

محكمة العدل الاسلامية

وصفت صحيفة « ناواي وقت » الباكستانية المحافظة امس دعوة امير البلاد لايجاد محكمة عدل اسلامية ، بأنه اقتراح ايجابي ومهم .

« وقالت انه اذا ما تحقق ذلك رسميا ، فان من شأن محكمة كهذه ان تساعد في التغلب في الوقت المناسب ، على النزاعات التي قد تنشأ بين دول اسلامية واستئصال كافة الحروب ، كما هو الحال في الحرب العراقية الايرانية .

واضافت ناواي وقت ، في مقال لها بعنوان « محكمة العدل الاسلامية » ان انقسام الدول الاسلامية وتصنيفها وفق معطيات شتى ، كأن تكون دولا عربية او غير عربية تقدمية او رجعية مؤيدة لموسكو او للغرب ، ليس بالعقبة العادية ، ويمكن لمحكمة كهذه ، فقط ان تكون فاعلة وتتمتع بثقة كل دولة اسلامية ، وتقبل قراراتها دون ادنى تحفظ .

وقالت ان تنفيذ اقتراح سمو امير البلاد ، يتطلب عملا صعبا وبراعة سياسية وحذرا ، لكن اقتراح انشاء محكمة عدل اسلامية لا يمكن وصفه بانه خطوة غير عملية ، وذلك بعد تأسيس فروع المؤتمر الاسلامي ، مثل بنك التنمية الاسلامي .

الاسلام حقيقة كونية

نشرت مجلة النور المغربية في عددها رقم ١٠٩ بتاريخ اكتوبر ١٩٨٠ كلمة حول هذا العنوان جاء فيها :

حينما نقول : ان الاسلام دين الفطرة ، نقصد بذلك انه حقيقة كونية تؤلف منهجا ربانيا يتساوق وطبيعة الانسان في كل زمان ومكان ، يلبي اشواقها الروحية والمادية في حالة استوائها ، ويسارع الى تقديم العلاج لها في حالة انحرافها ، لذلك لا يجد الانسان حين تنفتح بصائره الا هذا الدين القيم خلاصا له من كل تمزق ، ومن كل قلق ، ومن كل كبد ،

لاجل ذلك تتوارد علينا الاخبار في مطلع كل شمس ، عن اهتداء الشباب والشابات في فرنسا وانجلترا واليابان واسبانيا ، وفي طول الارض وعرضها ،

كل هذا يؤكد ان الاسلام بما يحتويه من توازن في النظرة الى الكون والانسان والحياة ، وبما له من منهج رباني فذ يشمل كل جوانب الحياة ،

وان حركة الاهتداء الى البديل الاسلامي في اسبانيا لتبشر بالخير كل الخير . وان اقامة صلاة عيد الاضحى بقرطبة من طرف مسلمي ومسلمات اسبانيا بمشاركة اخوانهم المسلمين من اقطار العالم الاسلامي له دلالة عظيمة تذكر بمجد الاسلام في عاصمة الاسلام ، قرطبة ، التي كانت منارة تجود وتجود ، وتلتف حول اضوائها امم الدنيا بأسرها ، فتنعم بسخائها وجودها (كتب الله لأغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز) .

« الى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الامر عليهم وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، راينا عدم قبول الاشتراكات عندنا ، وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال راسا بشركة الخليج لتوزيع الصحف ص.ب ٤٢٠٥٧ ـ الشويخ ـ الكويت أو بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

مصر : القاهرة ـ مؤسسة الاهرام ـ شارع الجلاء .

السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص.ب (٣٥٨)

ليبيا : طرابلس ـ الشركة العامة للتوزيع والنشر .

المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفة للتوزيع .

تونس : الشركة التونسية للتوزيع .

لبنان : بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨)

الاردن : عمان : وكالة التوزيع الاردنية : ص.ب : (٣٧٥)

السعودية : جدة : مكتبة مكة ـ ص.ب : (٤٧٧)
الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ـ ص.ب : (٧٦)
الطائف : مكة المكرمة :
برحة نصيف / مكتبة جدة
المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .

مسقط : المؤسسة العربية للتوزيع والنشر ـ ص.ب:(١٠١١)

البحرين : دار الهلال .

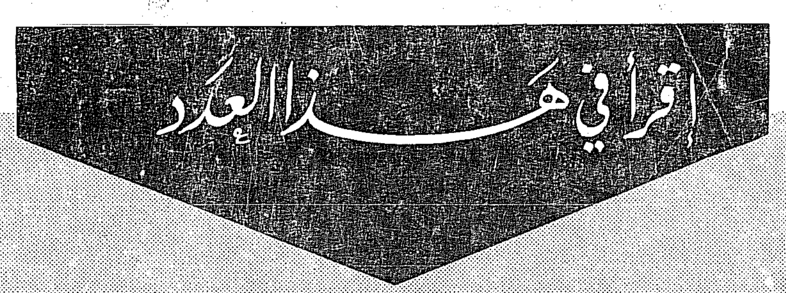
قطر : دار الثقافة للتوزيع ـ الدوحة ص.ب. ٣٢٣ .

أبو ظبي : مؤسسة الشاعر لتوزيع الصحف ـ ص.ب:(٣٢٩٩)

دبي : مكتبة دبي .

الكويت : شركة الخليج لتوزيع الصحف ـ ص.ب : (٤٢٠٥٧)

ونوجه النظر الى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .



صورة الغـلاف : من المساجد الأثرية بلاهور ــ باكستان

طباعة مؤسسة دار السلسلة ــ الكويت ــ